

روایات عبر



فیولیت وینسیر

عروس ابلیس

www.rewity.com



عروس إبليس

لم يكن الشك يوماً حديقة الحب بلا منازع، بل الشك
جسيم الحب ومقصده الفاطمة. وعلى أساس الشك لا يمكن
بناء أي شيء جميل. إلا أن الفتي الممرضة البريطانية تزوجت
روداري فورنونانو الكاتب الشهير الذي ينتمي إلى دم روماني
عريق وعائلة وطيدة الثراء والمجد... وجدت نفسها أسيرة
الشك الذي تغذيه صورة طفل يشبهه وشبح امرأة تركت
توقيعها على ديوان شعر في غرفته.
ووسط عالم السبيل والتقاليد الرومانية كادت هذه الممرضة
أن تمطر لولا حبها الذي لم يفقد لديه حتى النهاية!

العنوان الاصيل لهذه الرواية بالانكليزية
BRIDE OF LUCIFER

kwakeb

© VIOLET WINSPEAR 1971

© 1984 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: فيوليت وينسبير

جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة لهارلكوين
(فيرص) المحدودة

لتراسلات:

Harlequin (Cyprus) Ltd

29 Michalakopoulou St

Athens T.T. 012, Greece

Printed in Great Britain by

Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - عليك أن تقرري

منذ اللحظة الأولى التي ألبسها الخاتم اهتزت ظرياً ولكنها شعرت بشيء من التوجس . وحجر الخاتم هذا منحوت من الجياقوت تحيط به ماسات صغيرة متشعبة الكمال . وذكر عرضاً أن الخاتم جزء من الارث يتقل من واحد الى آخر ضمن العائلة منذ احيال . الذوق اللاتيني واضح في صنع الخاتم كما هو واضح في مظهر روداري .

هل حقاً يريد هذا ويحتاج اليها ؟ ما الذي يمكنها أن تقدم لرجل يستطيع الحصول على عروس كلها جمال وثروة واتزان ودكاء ؟

كانت السيارة القوية تسرع على الطريق ولا تكاد تمكثها من مشاهدة كروم العنب وسطيحات النوبيا والفاصوليا والاخاديد التي حרותها الثيران . السماء غائمة نوعاً ما والشمس تطل على الأرض من بين الغيوم . ألقت إلفي نظرة جانبية على الرجل الذي اتخذها زوجة له بالباسها خائفاً وباعطاء عهد أمام الله والناس وأحست مرة أخرى بقشعريرة برد تسري في جسمها سببها الخوف لا الطقس . ودخلتها رغبة جامحة في أن تهرب منه قبل فوات الأوان . وحتى لو توقف وهي جالسة بقربه وفتح لها الباب لن تمحسر على الفرار منه مع ما هي عليه من رعب .

هذا الرجل هو روداري فورنوناتو وهو يأخذها الآن معه الى الفيلا خاصته في جزيرة فورنوناتو ولكن دون أن يوجه اليها كلمة واحدة في يوم زفافها بالذات .

هل هو نادم على ما فعل ؟ هل تدل ملامحه على هذا الندم ؟ تلاحظ خط نوتر في جانب وجهه وفكيه المطبقين . وقد تكون مخطئة في تمييز ما ينم عنه

هذا الوجه للمسرح من جوار التلج طيلة الشتاء في جبال الألب الإيطالية ، حيث كان الناس في الفندق يتهايمون فيها بينهم انه في طور الخروج من محنة قاسية . كانت إلفي قبل زواجها تعمل ممرضة محترفة في الفندق وتقوم على العناية بالمرضى الذين يصابون في حوادث الثلج . وما زاد هذه الفتاة الانكليزية تعلقا بعملها بينة جبال الألب . قطعت إلفي الصمت بينهما بسؤالها :
- هل ستصل الجزيرة بعد الظلام ؟

كان يظن ان عروسه تفضل قضية شهر العسل في بيت اجداده فاصطحبها الى الجزيرة بالرغم من انه يقضي معظم وقته في روما حيث يمتلك جناحاً في أحد الأبنية . وتم سؤالها البريء عن شعورها بالخوف منه ويحبها له في أن معاً ، انها ترغب في أن تكون له بكلبتها ولكن قصر المدة التي تم فيها التعرف بينهما وتلاحق الأحداث جعلها تشعر كأنها قريبة مطاردة تريد أن تلتقط أنفاسها خلالها .

كان منظر الطريق امامها خليطاً من الشمس والظل وغالباً من حركة المرور ما عدا بعض عربات المزارعين أو شاحنة أو شاحنتين من الطراز العتيق . التفت روداري اليها وقال مازحاً :

- نعم ، بعد الظلام ، غير أن الزورق الذي سينقلنا الى الفيلا سيكون مضاء . ولاني لا آتي الى هنا الا نادراً تقوم على عملية الصمت بمساعدة زوجها . وكما اخبرتك فان والدي متوفيان وفي روما كثيراً ما ترد على اخي الذي تعيش مع جدتي في ضواحي العاصمة . هل انت مطمئنة ابال الآن ؟ في الفيلا سطرنا دفة ونظافة ووجبة طعام لليلة وغرف نقية الهواء .
وضحك ساخراً ثم قال :

- انتم معشر الانكليز تفتقكم التوافق ولكنكم تحتفظون بهدوئكم في الأزمات .

- يختلف مزاجنا عن مزاج الشعوب اللاتينية ، ولا تعني الترتيبات المنزلية في الفيلا حتى درجة القلق ، حيث اني اكيدة من سير الأمور على ما يرام . . . اذ لا اتصور ان شخصاً مثلك يقبل بأقل من الأفضل .
لم يعلق على قولها بشيء وعصت على شفتها تدعاً . هل لا يعتبرها فائتة أو وصيفة كما يريد أن تكون فتاة احلامه ؟ انها ما تزال تتذكر ما كان يقوله نزلهم الفندق عن حزن ألم به من جراء حب ضائع .

مرا الآن بواد تكسوه اشجار اللوز المزهرة بينما تلتصق بأصبعها حجر الباقوت الذي تراه عرياً على يدها أو كأنه ليس في محله . ذكرت ان زهور اللوز باللونين الأبيض والزهري رمزي يوم الزفاف والناس الذي تشهيه كل عروس . . . وفجأة طفرت دموع من عيناها . هل قادها روداري الى الهيكل المزدان بالسوسن والشموع ليعقد قرانه عليها بدلاً من أخرى فقدتها ؟
- أراك التزمت الصمت فجأة .

اجابته بالكتفاب :

- وانت ايضاً .

- هل هذه أول مشاحنة بيننا ؟

- مشاحنة ؟ كلا . كنت فقط أمتع النظر بزهر اشجار اللوز .

رفعت خصلة عن عيناها كانت قد الملت من شعرها الملفوف بشكل كعكة وراء رأسها . والملفت للنظر التباين بين لون شعرها الكستاني الذهبي وعينيهما الرماديتين الصافيتين ، والظل الموجود تحت عظمة الوجنتين والحنو الظاهر في فمها . قال روداري :

- انت بحاجة الى الأكل . يقولون ان الفتيات لا يأكلن كثيراً يوم زفافهن .

توقفا بعد بركة وجيرة عند مزرعة حيث تناولوا غداء خفيفاً تبعه قليل من التين التوسكاني وفجأة قهوة ، وأخذوا معها بطيخة أكلاها فيما بعد على جانب الطريق وتلذذا بطعمها الحلو .

كان الوقت غسقاً وأضفى لونه الأرجواني جمالاً سحريراً على الطبيعة وكانت تصل اليها رائحة محاصيل الأرض من حولها . هنا منبت روداري . . . ووجود إلفي في إيطاليا هو نتيجة اندفاع من قبلها لم ترج غاية من وراءه سوى ارضاء نفسها .

- هل تنوقت فاكهة هذه اللذة من قبل ؟

انفجر وجهه الأسمر عن ابتسامة وقال لها وهو يضع يده على وجنتها :

- ما تزال املنا بضعة اميال قبل أن نصل . فلم لا نغفبن وأنا اسوق ؟

- حسناً .

أحست يده الحارة تلمس وجنتها . انزلت قليلاً في مقعدها وغطت وجهها بفرسو المعطف . . . هي التي لم تعلم بامتلاك معطف من القروش .

وقد رت معطفها الناعم واللامع بشمن باهظ ، وعلمها قدمها لها وضمتها على كعبها بصورة عرضية تماماً مثلها اليها الخاتم الياقوتي ، بجملته أن يقدم لها اللبس ووسائل الجمال . ولكن هل يحيا ؟ وهنا عانت بها الذكرى الى اولى ايام تعرفها به .

هذا هو روداري غورنوناتو الذي تحولت رواياته عن روما في السنوات الأخيرة الى سلسلة من الأفلام السينمائية الجميلة هلت لها الجمهور والنقاد بأنها ذات عمق وواقعية ، وحركت قصصه مشاعر القراء وخصائهم . كانت شهرته وجاذبيته تملآن الأفانق ومع ذلك ارتقى في احضان جبال الألب بحثاً عن السلوى والسيان . وهناك التقى بالقي وصادقها وكثيراً ما كان يضطجها الى هنا وهناك ويعلمها التزلج . وهناك وفي ضوء القمر المشع فوق قسم الجبال نسج العنكبوت خيطه حولها وطلب روداري من القني أن تصيح زوجته . اعتبرت القني ذلك ضرباً من الجنون فضحكت وقالت وهي تنظر الى الجبال :

- لا يجب أن تنفوه بعبارات كهذه بهذه السهولة يا سنيور . فقد تقع على فتاة مستوحشة وتأخذ عرضك هذا بجدية وتتوقع منك أن تتزوجها . هل انت فتاة مستوحشة يا القني ؟ لكم تساءلت عن ذلك كنت تشعرين بالوحشة كونك غريبة بين جماعة السياح الأثرياء تقوين بواجبك بكل اخلاص وجدية . والى لعل يقين من أن بعض هؤلاء السياح يرهقونك وأنت تعالجنهم .

- الى اجل لمة في مهتي يا سنيور وإثارة في العمل خارج بلادي . ضغط بيده على كعبها وأدار وجهها نحوه وقال :
- هل تحبين العيش في ايطاليا ؟ ... معي ؟
- ارجوك ... لا تتكلم عن الزواج .

خشيت أن تخضع لالحاحه تجاوباً مع لسانه التي من السهل الانجذاب اليها في ضوء القمر وتصديق ما يقول ، ومنجد نفسها أمام الحقيقة الواقعة عندها تستيقظ صباح اليوم التالي ويكأها أفانق من حلم . ليست الا مجرد عرضة ذات وجه يطلب فيه مظهر الاطمئنان على مظهر الجمال . ولذا عرمت على القلب على ضمتها أمامه وتلفتها لقربه . قالت وهي تلهث :
- لن تمضي بضعة ايام الا وتضجر مني . ان اندفاعك بعاطفتك الجياشة

وقت الغداه تغلب على عقلك كما انه جرفني معك ، ولكنني لن اتركك تسخر مني ... أو تغريني !
- أغربك ؟ انا اطلب منك أن تتزوجيني ! انا لا اطلب منك أن تمضي ليلتك معي في كوخ في الجبل .

- لا يبدو عليك أنك رجل زواج .
احتدا خوفها وبأسها من الحب للدرجة انها اخذت تتجنب لمسات يده ، ولكن كان ذلك كمن يهرب من المد وهو يجري فيه ، أو كقراءة تضرب شجرة بجناحيها الرقيقين . وروداري أطول من القني بكثير وصاحب غطوة جذابة ولكن مدعرة كما هي مدعرة قوة عزمه في الحصول على ما يريد .

وقالت بدون ترو :
- لم تذكر الحب في حديثك ! من المقروض أن يكون الحب والزواج صنوين متلازمين .

علق على كلامها ساخراً :
- كالشاي والخبز المحمص ؟
- ها أنت هنا من ذلك ... وتتوقع مني أن آخذ عرضك بعين الاعتبار .

- لا يجب أن تكون بهذه الجدية يا ابنة الغابات الانكليزية .
دس يده في شعرها المتطاير وأمسك بخصلة منه وشدها ... ربما ذكره شعرها بشعر أكثر سواداً أو بفتاة أقل تحفظاً وأكثر تجاوباً مع عبور الطبع اللاتيني .

- الحب يا القني ؟ هل تأملت ما هو الحب ؟ انه حالة عاطفية تجعل النبض يتسارع والعقل يضطرب . انه كالحصى وعلاجه يد باردة على الحيين وعناية حنونة .

- كلامك يعني ان الحب يحتاج الى عرضة بدلاً من زوجة يا روداري .
واخذ نبضها وهي تتكلم يتسارع واضطرب عقلها . ارانت أن نستسلم لعرضه لنجعله يشعر بحاجته اليها ... ولكن أين سيؤدي بها الأمر في نهاية المطاف ؟ الزواج القائم على حاجة الرجل الى السلام والهدوء بديل هزيل عن الزواج القائم على الحب . كانت قد تعرفت عليه منذ اسبوعين فقط وعرفت انه وجدها خلالها رقيقة دمته وأنه شعر بحنان نحوها

وتعلق بها . ولكن ماذا سيجري لها اذا مل من عروسه الهائلة التي سيجد انها لا تلائم رجل مجتمع عالم مثله ؟

- لنعد الى القنق - ارجوك . وانسى انك رغبتي في لحظة جنون الزواج مني .

- هل تحاولين ان تجعليني اصدق بانك لا تهتمين بي ؟

كان وهو يوجه اليها كلامه هذا ينظر اليها ويبتسم ابتسامة قاسية . وخشيت ان يسب لها لئلا وهو تمسك بها بشدة خوفاً من ان تهرب منه . كانا وهما واقفان فوق مرتفع من الثلج كأنهما صورة مرسومة في ضوء القمر أو طيفان في حلم يتوسطان سجادة عليها رسوم قعم مغطاة بالثلوج ، ورسوم اشجار الصنوبر وسقف كوخ مويري مخبئ بين الاشجار . اغناظت من احاحه فقالت :

- لي مهنتي يا صنوبر ، ولن اتخل عنها مقابل الزواج من رجل يريدني من اجل لمة باردة مني وبراعتي في الانسحاب عندما يصبح وجودي غير ضروري . لا تنسي تقلبات المزاج وان اي ابطالي لا يقبل بامرأة تنقصها الحيوية . لا تخافي . ستكون لك مهنة مكتملة التواحي . وانا اعرض عليك الزواج هذا المساء لاني سأكون غداً في روما . وعليك ان تقرري الآن . اما ان تقبلي بالزواج مني أو ان تودعيني في الصباح . أحست كأن قلبها هبط الى معدتها ويشعريرة برد تسري في جسمها . لا تريد ان تفتري عنه ولكنها لا تريد ان تجازف بالتخاذل الخيارات الأخرى الزواج من شخص لا يبداها الحب ، وهذا معناه فتح الباب على مصراعيه لمستقبل بلا سعادة .

أخذ رأسها بين يديه واستولت على جسمها موجة من الفشعريرة والارتجاف وهي تنظر اليه وتقول :

- لن انساك يا روداري .

- لن انساك انا الآخر . فقد جلبت الى حياتي معنى الرحمة وهي في مهنتك اسمى شيء للانسان . كنت آمل أن احتفظ بك . ولكن اذا اضرت على أن ادعك تذهبين . . . هل انت مصرة يا إلهي ؟ هل انت خائفة مني أو من اصدقائي أو شركائي الذين يعتقدون بأن على الرجل أن يتخذ له زوجة تناسب حياته العامة لا حياته الخاصة ؟

- انت رجل لك اهميتك . . . عضو في المجتمع الروماني وتتحول في

جميع أنحاء العالم . يلزمك زوجة على مستوى متطلبات نوع حياتك . واذا أصبحت زوجتك سيصيني اخفاق تام كزوجة لكاتب أشهر من نار على علم تحول كتبه الى افلام . قلت لي انك تكتب للأفلام وتخلط بالمثلين . ويخفي مجرد التفكير في هذا .

- ارى انك تترعشين . يا طفلي اللطيفة ، ما الذي يخيفك في مشاركتك حياتي وأصدقائي ؟ لن نكون وحدك كما انت الآن لتردي عن نفسك الحاحات الغريبة . اريدك أن تشاركيني حياتي .

- الان لن ألج عليك في طلباتي ؟

- لأنك نزيهة وصادقة يا إلهي . لست مدعية ولك قلب مكشوف . انت حقيقية ، لا تمثلين دوراً .

خفق قلبها وسألته :

- لا بد انك عرفت الكثيرات

- طبعاً .

- هل تركز اهتمامك على واحدة منهن ؟

- لي من العمر اربع وثلاثون سنة ولست مترهاً . هل تأملين في اتخاذ زوج لك لم يمض امرأة في حياته ؟ لست ساذجة بهذا القدر أو فجة حتى تعتدي بأن رجلاً كهذا يكون زوجاً صالحاً . فد احبب ظنك ان كذبت عليك .

- انت تتكلم عن المغازلة وأنا اتكلم عن الحب .

- هل تحبينني يا طفلة ؟

ربت على شعرها ولكن بلطف هذه المرة وقال :

- هل تخشين من اني لن اجلب السعادة لك ؟ أقر بأنني ذو سطوة

ورفعة . . . ولكن في مقدوري أن اكون لطيفاً .

- لا ، لا تعامليني باللطف !

وفيها هي تحاول الابتعاد سمعاً هديرأ فوق رأسها ورأيا كتلة صغيرة من الثلج تنفصل عن الجبل وتندحرج . ازاحها بسرعة عن مكان وفقتها وارتقت بين ذراعيه وسقط كلامها وكاد الثلج يغطيها . وأحست بعناقه الدافئ . في الوقت الذي كان الثلج ينحرف بالقرب منها ، والقمر يضيء هذا المشهد بتوره المتزج بظلال النجوم .

- لا . . . ارجوك !

ولكن مناشدتها له فعبت صدى وذابت كما تذوب رقائق الثلج .

- روداري . . . لماذا انا بالذات ؟

- لأنه ليس لك أحد غيري .

كلمات فيها سطوة حيقة جعلتها تبدأ بين ذراعيه كطائر وديع ولم يرفع وجهه عن وجهها . كان حلق الذقن والشارب ، ناعم التقاطيع ، اسمر الوجه . بدت لها عيناه فاقمتي اللون الآن على نقيص لون العقيق الأحمر الذي يبدو فيها جلياً كلما حركتها بسرعة في وضوح النهار . وتميزت نقاطاً فضية في شعر صدغيه الأملس . وفي أول لقاء بينهما اربها ما رأت فيه من مزايا . وكانت دائياً تسأل هل يعرف هذا الرجل الابتسامة ما دامت شفتاه تمنان عن شكم ؟ فقط عندما بدأ يظهر اهتماماً بها في لباسها الأبيض أخذت عيناه تدلان على ما يشبه الابتسامة كما لو أنه وجد فيها شيئاً سلباً . واعترض سيلها ذات يوم في الردهة وهي في طريقها لتخرج الى نزلة . رفعت نظرها ورائت صفين من الأسنان البيضاء بينها سكار فانقبض قلبها ، ورائت في هيئة أنه قد يكون رجلاً بلا ضمير أو رادع . ومع ذلك واقفت عندما استأذن منها أن يرافها لأنها لم تفكر مطلقاً أن مسيرة قصيرة في الخيل ستؤدي الى طلب يدها للزواج بصورة ملحة وجدية . قال روداري هامساً في اذنها :

- قولي نعم . قولها الآن دون أن تفكري فيما تتلفظين .

كان الثلج ينساق ويزين سواد شعره بنقاط بيضاء ويزيد من رونق بعض الخطوط الفضية عند صدغيه . نوت أن ترفض طلبه إلا أن الثلج أفقدها حس شفتيها . وكانت تعلم شحوب وجهها . وفشرت التجويفتين تحت عظمي وجهيه تعطشاً الى حب فقدته وبحثاً عن السأوى في احضان فتاة وديعة لا تؤذيه كما أذته فتاة أخرى من قبل ، حسب اعتقده إلفي .

- هل صحيح ان لبيتك برحاً ؟

- هل تحين الأبراج ؟

- اوالها رومانطيقية .

- وانت تحبين ما هو رومانطيقى ؟

- احشي الاجابة على هذا السؤال . . . فقد تعتبرني ساذجة .

- ربما ناشئة ، ولكن كيف تجهل موضة امورا كهذه عن الحياة ؟ يجيل الى

وأنا انظر اليك يا إلفي انك لم تزي طفلاً يولد أو شخصاً يموت ، وما يجيرني

هو أن اوى زوجتي بسلامة العفة . . . التي ليست موجودة الا في الأرمهار ،

هذا اذا استثنيتك طبعاً بعد أن عرفتك .

- انت تقدم اطراء غير عادي يا روداري .

احست بلحسات ربيع المساء تداعب خديها الدافئين . . . انه يعرف

طهرها وجهها التام متطلبات الرجل . . . ويصلان بعد قليل الى بيته حيث

يمضيان ليلة زفافهما الأولى .

- انك نوع نادر من الفتيات واذا تعلقك كياقي الناس فلن يكون هذا

اصولياً . الا تحين مديحي ؟

- لم اعتد سماعه من فم كاتب محير مثلك .

- انا زوجك الآن .

نم صوته العميق ولكنه اللاتينية عن انصهار كلماته بمعنى خاص . . .

زوجها ، ومع ذلك فهذا الزوج غريب عنها في اكثر من ناحية .

تري في غيلتها بيته في الجزيرة تحيط به اشجار الزيتون والسرور ، له سقف

مرتفعة ومصايح من الخشب نير السطحة المعرشة بالكرمة حيث سيتوللان

طعام العشاء ويطلعان الى البحيرة . وتلوح لها الجبال عن بعد .

وبينما كانت تلهف لرؤية المكان وتحاف في نفس الوقت ان تصل الى

هناك ، نظرت إلفي الى زوجها ولاحظت جعدة سطحية في خده ، وكأنه

شعر بتخوفها وهو يسرع نحو جزيرته . ايسم لأنه وجد ذلك سلباً ، كما

وجدها تختلف عن باقي النساء اللواتي عرفهن واللواتي لا يرهبنه كما ترهب

هي بالرغم من انها تعمل خاتم الزواج في اصبعها .

ودت ان تطلب منه ان يترى قليلاً ويشا تعناد عليه ولكنها تعرف سلفاً

ما سيقوله لها . . . سيقول بأنه توجد وسيلة واحدة فقط لتعرف العروس

على عريسها .

بدأ قلبها ينبض بسرعة اكبر عندما اخذت السيارة تنحدر من التل

مقتربة من مرفأ بدت أنواره حلية وهي تضيء أشعة وصواري الزوارق

الاطالية . ورائت امام عينها مجموعة بيوت وبساتين وأرصعة الميناء

الحجرية . ساق روداري سيارته بحاذاته وأخيراً توقف ، والنفت اليها

وبقي عدة وهو ينظر اليها دون أن يتكلم الى أن قال أخيراً :

- وأخيراً وصلنا . اظن انك متلهفة لتشاهدي الجزيرة والبيت ، ولكن كلما لمست يدك أحس بانك ترتجفين وتضيق العصبية كلما كنتك . هل يبدو علي كأي سابتلعتك ، كما يتلع العصفير الصغيرة التي يبيعها الطباخون التوسكانيون جاهزة للأكل ومنافيرها مفتوحة كأنها تتوسل ؟ تماماً كما ندو شفتاك عندما انظر اليك ؟

أحست بأصابعه ترفع يدها وينضات قلبها تحت ضغط إبهامه على معصمها . لا يجب أن تسلك هذا المسلك اذا ارادت أن تكون رزينة ومطمئنة وأكيدة من عاقبته الفاتكة بها .

- يجب أن تذكر يا روداري اني بعيدة عن الأشياء المألوفة .
- من هذه الأشياء المألوفة مثلاً بيت للمعرضات في كنتون ؟ هل نسيت يا عزيزي بأن لك امرأة اب بعد وفاة والدتك كما قلت لي ، وانك لا تستمتعين بحياة بيت عائلي كما تشتهين ؟ البيت العائلي شيء ثمين جداً للمرأة . سأقدم لك بيتاً على هذه الجزيرة وآخر في روما . وانت ماذا ستقدمين لي ؟

شعرت بأن قلبها كالعصفور الذي يخاف أن يكسر جناح له . . . وذلك من وحليها . ولكنها وضعت ذراعها حول عنقه وتحرك في قلبها حب لهذا الغريب لم تشعر به من قبل . قد يتعلم كيف يجربها كما احب الفتاة الأخرى . . . الجميلة الصعبة المراس التي لا تحجز إلقي على عباراتها وصورتها بعد حبة في قلبه الآن .

ابسم لها وهو يحرق فيها . امتلا انهما برائحة حيلة انبعثت من سترته عندما وضعت رأسها على كتفه . قال روداري بصوت خافت :
- انك لغريبة حقاً . اي انسان هل كنت محققاً في ملاحظتك ام لا ؟ فاذا كانت لديك اية رغبة يا مولودي الجديدة ، ما هي ؟ هل تمنين لو انك لم تعرفي علي ؟

وبينما هي مترددة في التعبير عن رأيها من شدة وجلها لوح شخص ما بمصباح الى جانب السبابة وكلم روداري بالايطالية . قال روداري :
- اه ، هذا مراكمي البيت ماتفريدو والذي سينقلنا الى الجزيرة . تعالي . انا في عجلة لأريك البيت حيث وندت .

رأت إلقي وهم في طريقهم الى المركب حدثت على انشائهم . كلها جنة

صغيرة . انزل المراكبي حقائبها وبينما كان شعرها يتطاير احست بقبضة قوية تمسك بها لتساعدتها وهي تنزل الى المركب . كان هذا المراكبي جلست إلقي وأخذ روداري مكانه بجانبها وانتعد الزورق .

برز القمر من وراء الجبال وسطع بنوره الفضي على الماء وكانت حركات الزورق تكسر شعاعه في البحيرة وعمره يعكس صفو الليل . لم يتكلم احد ويذا روداري كأنه يتلذذ بهذا الصمت ، ويعودته الى بيته الذي يعج بذكريات لا تستطيع عروسه مشاركته فيها . وفي وسط هذا الصمت كان المراكبي منهمكاً بقيادة المركب ولاحظت إلقي نظراته الخاطفة نحوها بين الحين والآخر . هل يعتبرها غير جديرة بسيدته ؟ هل ميز فيها وجهاً سموحاً أكثر منه جيلاً وعينين وقورتين لا تليقان بعروس ؟

لاحت الجزيرة تحيط بها البحيرة التي تعلوها جدران الفيلا بشجر السرو وثبات الدفيل العطرة . وذكرتها ابراج الفيلا ونوافذها شبه المخفية بمشاهد البيوت التي تسكنها الأرواح .

شدت إلقي بأصابعها على جدرانها وفكرت بايام آل مديشي وأيام المبارزات والأخذ بالنار ويحب دائني الأيدي لبياتريس . وشبهت الواح النوافذ الزجاجية الصغيرة التي تعكس نور القمر بسطوح من الماس . أحست بجمال وعموض يكتنفان المكان . كيف ستقوم بأعباء سيده القصر وبمتطلبات حياة روداري في روما ؟

أغمضت عينها لتلو صلاة صامتة وعندما فتحتها كان المركب قد وصل الى الرصيف وأخذ روداري والمراكبي يتكلمان بالايطالية بطريقتها السريعة . وفي لحظة رأت إلقي نفسها واقفة على الرصيف تنظر الى الفيلا حيث ستمضي شهر العمل .

قادها روداري من يدها وأسرع بها صاعداً السلالم ومرافق ثق من ثبات الآسن العاطر والكاميليا واستقبلتها صفادع الأشجار بقيقها المرتجف . لمشت عندما لاح لها شبح شاحب اللون وسمعت تساقط قطرات الماء . انه تمثال لجورية ذات جسم وثياب رشيقة ، وكان الماء ينساقط من فوق التمثال ويغسله قبل أن يصل الخوض .

- الحدائق الايطالية غنية بالتماثيل التي تبدو كأنها تستعيد الحياة من جديد في ضوء القمر .

وأراح روداري عصن ذالية عن طريقها وقال :

- سأريك غداً بيت نبات السحلية أو الأوركيد وأشجار السرو
الكشميري التي ينحول لونها ذهباً في ضوء الشمس . وفي القصر كنيسة
صغيرة . هناك زفت والدتي على والدي . انحدرت والدتي من عائلة تزوج
الدراق وسببها دبت الخلافات بين والدي وأهله الذين كانوا يرفضونها ولم
يتمكن من الزواج بها الا بعد معارك كلامية ومشاحنات . اسمها سابينا
وكل واحد في الجزيرة سيؤكد لك انها كانت تفوق زهر الدراق جمالاً .
ماتت وأنا ما زلت طفلاً ابن بضعة أيام . وأكثر ما كان يزعج جدتي في روما
ان ترى زوجة ابنا تمشي حافية القدمين دون أي مراعاة لنظم المجتمع
الروماني الصارمة في تلك الأيام .

- اني لأتساءل ما عسى تقول جدتك عندما قرأت :

التفتت إليّ بعنف الى روداري عندما ألثها قبضة يده وهي تضغط على
الحزام الذي حز في جلدة اصعها ، وعضت على شفتها من الألم .

- هل نسيرين حافية ؟

- كلا . ولكنني لست من المميزات والكونتيسة تأمل بلا شك أن تراك
متزوجاً بفتاة من طبقتك .

- على الكونتيسة أن تقلبك أنت وبرغم كونها مستبدة برأياً ، وهذا تنبيه
لك ، مستجدين شفتي هلين رقيقة ولطيفة . انها ارملة . ومات زوجها
فلافيو الذي كان يعشق السيارات في مباح كان مشتركاً فيه . اتمنى لو
تزوج ثانية ولكنها متعلقة بذكرى زوجها المجنون الذي لم تعيش معه الا فترة
قصيرة . الحب شيء غريب يا إلفي . الحب احساس غريب ومؤلم يجب
تحبه بأي ثمن .

تقبلت إلفي هذه الصدمة التي سببتها كلماتها بصمت ، ولكنها نارت في
داخلها وتأللت . انتزعت يدها من يده ورفضت أن تدخل الفيلا معه .

- ماذا تفعلين ؟

لم تكذب سحب يدها حتى أمسكها من كتفيها وألقها بشجرة ورائها
تفوح منها روائح أزهارها المتدلية من الأغصان ، واختلطت بالصراخ
القائم بين إلفي وروداري .
قالت بصوت مخنوق :

- في امكانك تحبني ايضاً . في امكانك ان تدعني وشأن فابتعد غداً .
وهكذا تسي انك تزوجت مع زوجة صدف انك لا تحبها . . .
- انا تزوجتك لأنني بحاجة اليك .

هزها بعنف وهز الشجرة معها فساقطت بعض الأوراق من أثمارها
الناعمة كما خرجت كلماته ناعمة من فمه :

- لم أزع ابداً اني شاب رومانطيقي ولم اطلب منك أن تتصرفي معي كما لو
كنت عاشقاً في احلامك . نحن فردان مستوحدان . . . وهذا وضع
مشارك بين كلينا . كوني اكيدة يا إلفي من أن الوعد الذي اعطيتاه اليوم
ليس وعداً يمكننا التراجع عنه بضع كلمات أو بنزوة غضب أو بقول
الحقيقة . لك عينان نقيتان تفضلان الحقيقة على التظاهر . انت حقيقية كما
ان حقيقي . وهذا المكان وجد ليكون مكان شهر عسلنا . وشهر العسل
واقع لا محالة . انك تزوجتي ولا يوجد شخص على هذه الجزيرة يستطيع
تقلك بالزورق بغير أمر مني .

- هل تنفذ تهديديك ؟

- لم لا ؟ سأنفذه . انا لاتيقي بين افراد شعبي ومفهومنا عن المرأة هو انه
يجب اخضاعها .

- تتكلم كأنك تنوي تحويلي الى سحينة هنا !

- لا تبالي .

ضحك ساخراً وانحنى ليعانقها ولكنها ادارت وجهها احتجاجاً على
صراخه القاسية . الا انه أمسك بها بقوة . كان كل جسمها يصرخ
استككاراً وتعمد ان يلمس عنقها من فتحة المعطف ومن ثم طوقه بيده كمن
يعمل عنقود عنب . قال موبخاً ومتهاكماً :

- يبدو كأنك تقدمين نفسك ضحية .

وأخذ يمسد فمها كمن يلاطف شيئاً يمتلكه فيما كانت عيناه الواسعتان
تنبهتان على باقي ملامحها . أمسكت عيناه الرماديتان عن البكاء ولكن
قلبها كان يصرخ عاصفاً ، وقد اعتقدت بانها ستقتنع بحب شخص لا
يحبها ، غير انها عرفت مدى الإهانة في اعتبار نفسها شيئاً يملكه .

وأضاف قائلاً بكلمات موزونة كأنه يحذرهما من معاكسة مزاجه
اللاتيني :

٢ - طيف يبحث عن طفلة

دخل غرفة جميلة معتمة قليلاً وضغط روداري على زر الكهرباء فتوهجت مصابيح بلورية في زوايا الغرفة وتسلط نورها على الأثاث الإيطالي الفاخر . ومن يشاهد الغرفة لا يفكر مطلقاً ان صاحبتها تغيب عدة اسابيع ، فقد كانت أنيقة ونظيفة كأن روداري يستعملها كل يوم من حياته . ولما التفتت إليني لتقول انها اعجبت بالغرفة رأت امامها وجهاً غريباً . تناول سكاكة من علبة فضية فيها نقوش وأغلقها بقوة . كانت العلبة محشوة بالسكاك وبجانبها ولاعة . قالت إليني التي تعرف في قرارة نفسها انه يريد ان يحب هذا البيت :

- غرفة ساحرة .

قال وهو ينفث الدخان :

- الصالون الكبير . غرفة التجمعات الكبرى بعد حفلات العشاء .

لكننا نحتاج اليها ، اذ لا اريد استقبال أي احد غير زوجتي

صعد دخان السكاكة في دوائر فوق رأسه وبدت عيناه كأنها تحترقان بهذا الدخان وهما تنظران اليها نظرة خاضعة لم تعهدا من قبل ، حتى انها حولت نظرها عنه ووقعت عيناه على لوحة يظهر فيها مبارز في لباس اسود واقفاً بعنفوان ونمحة . وبانت عيناه في ضوء المصباح متقدتين كعيني روداري . أثناء ذلك كانت رائحة الدخان تختلط بأريج الأزهار الموجودة في اناء خزف صيني .

- يحيم على البيت هدوء كبير .

بالفعل لم تكن نسمع غير طقطقة احتراق الحطب في المدفأة وتكتكة

- عناني لك هو ترخيب بك الى قبلا فورثوناتو . طبعاً أنت مسرورة بأن تكوني هنا بعد رحلة طويلة بالسيارة .

كانت تنظر حولها وهما يصعدان الدرج الى السطحة ، وبعد صف من النوافذ رأت غرفة فيها مدفأة نارها مشتعلة . اعطاها هذا الهدوء طابع غرفة ناعسة في ضوء القمر ورائحة دخان الحطب المحترق . وأخذت عينها تعتادان على جو هذه الغرفة التي وجدت فيها شيئاً من السحر الممزوج بالندير بترويق كشف الغطاء عنه .

وجعلت عندما أطبق يدي على كتفيها وتسارعت دقات قلبها وخشيت من توقفه اذ توقعت أن يحملها بين ذراعيه ويتخطى بها عتبة الغرفة تبعاً للتقاليد . توترت اعصابها وهي تنتظر حدوث ذلك ، ولكنها سمعته يتهدد ويقول لها :

- للدخل . رايتك تلتحفين عندما لمستك اقتربي من النار لتدفئي .

ترددت ولكنه دفعها نحو المدفأة وبدأ كأنه فقد صبره معها كمن ندم على تسرعه بالزواج منها . نظرت اليه مكرهة لتستكشف علام الندم في عينه وإذا صبح انه ندم كما ظنت فكيف تمضي معه الساعات المقبلة خالية من كل فرح ؟ وفيما هي في هذا الوضع تذكرت الحديث الذي جرى بينها وبين امرأة بدنة ثرثرة كانت تعالجها في الفندق بعد أن كسر كاحلها في التزلج :

- ان هذا الشاب المدعو فورثوناتو اكثر جاذبية من أي شخص آخر

ولكنه غامض . لاحظي عينيه السعراوين والمفكرتين يقولون انه كان

مولعاً حتى الجنون بأحدى جميلات المجتمع في روما أو البندقية ؟ أه ،

البندقية ، هل تعرفين هذه المدينة ؟ يا له من مكان رومانطيقي

ولكنك معشر المرضعات ليست لكن حياة رومانطيقية ، اليس كذلك ؟

اجابت إنني باقتضاب وهي تعالج الكاحل :

- ليس تماماً .

هل زواج روداري منها رد فعل ام بديل عن فقدانه ذلك الحب ؟

- تعالي ، لا تناني . ام انك خائفة من وجودك وحيدك معي ؟

- كلا .

لكنها خائفة فعلاً .

السابعة عندما بصمتان . وبالرغم من انها كانت تتوقع ان يترك احداهم الباب في أية لحظة . خاصة المرأة التي هي . كل شيء لسيدتها ، لم يحدث شيء من هذا . فظهرت اليه وسالته لماذا لم يظهر أحد من خدم البيت حتى ولا المراكسي الذي رحل بعد أن غل خزانها .
- كان من المفروض ان اخبرك .

تكلّم وهو واقف تحت لوحة البارز . وبدأ روداري والمارز كأنهما شخص واحد كذا يثق .

أخذ قلب الذي يتنفس بقوة وهي تتظلم منه ان يوضح لها سبب هذه السكينة بدل أصوات الترحاب وجليته ، ثم أضاف موضحاً :

- لا يبقى داريو وزوجته فليسا بعد المساء إذ يعودان الى بيتهما في القرية ، ولكن كما ترى هناك النار في الموقد وغرفنا في الطابق العلوي جاهزة لاستقبالنا والطعام لا يتناول إلا ان ذاكته .

سأله بعصبية ظاهرة الى حد ما :

- لماذا لا يبقيان ؟

اصابتها رعدة صغيرة وهي تشكر في البحيرة المحيطة بالبيت ، تفصلها عن باقي العالم . وأصابت صوتها صوتاً .
- هل في البيت اشياخ ؟

- قليلاً لا ، غير ان الإيطاليين خرافيون . ومنذ ان تركت جدي الجزيرة لتذهب وتعيش في روما ابتعد أهل القرية من غيلا فورثوناتي .

- لماذا . . . ماذا حصل هنا يا روداري حتى جعل هؤلاء الناس خرافيين بالنسبة الى المكان ؟

ألقى نظرة على البحيرة من خلال النافذة ثم قال :

- البحيرة . . . وأنا لم اعرف امي ابداً . . . لم تحصل لي مرحلة التعرف عليها بسبب البحيرة ايها . فقد سمعت والذي جدي تقول بأنه يجب تقسيم العناية فلكية لابناء على يد حاضرة متخصصة وسبب الطائفة المرمية في عائلة فورثوناتي لأن الأمهات يفقدن اولادهم بتدليلهم خاصة اذا تذكرنا ان والذي سابتنا ربيبة مزارع عاشت في محيط يؤمن بان الولد يجب ألا يغادر امه لا في الليل ولا في النهار .

ترفّف روداري عن الكلام وبدأ وجهه في ضوء القمر الضارب على

زجاج النافذة روحانياً ، قاسى النظرات متحجراً والعصب يلا قلبه .

- سمعت سابتنا هذا الكلام من خلال باب غرفة الطفل ، ورغم كونها زوجة والذي كانوا لا يزالون يعتبرونها شبه متوحشة وسدفة وعفوية غلب الجري بين الأشجار خافية القدمين . وعليه قررت ان تهرب مع طفلها الى اهلها في المزرعة . فبعد أن أوى كل الى فراشه تسلّت ولقت الطفل ونزلت الى شاطئ البحيرة بكل هدوء . وضعت على التراب واتخذت تلك جبل المركب ، وإن هي كذلك سمعت شخصاً يجري نحوها ليوقفها فارتجعت وقفزت الى المركب وهي لا تعلم ان والذي عز الذي نادىها وحاول منعها . وقلبكها خوف شديد من ان جدي المستبد سوف يعاقبها على فعلتها هذه وبدأت تحذف بكل قواها وكان وسط البحيرة عميق وتتقاطع فيه مختلف المجاري التي تصب من البحر وما أن وصلت الى هناك حتى تقاذبت المجاري المركب وقلبت . كان والذي قد حق بها سياحة ووجدتها تصب مبنة عندما حملها الى البر ، ولكنها ماتت من ذات الرنة بعد يومين . لم ينس والذي أمي سابتنا ووفاته المليء هو الآخر في الحزن .

مضى روداري نحو المدفأة ورمى نسيكاته في النار وقال :

- حدث ذلك منذ زمن بعيد . ومنذ ان هجرنا الفيلا دارت إشاعات بأن شيخ سابتنا يظهر في الليالي المقمرة ويصبح عند الشاطئ بحثاً عن الطفل الذي ارادت الاحتفاظ به كل حياتها .
- روداري . . .

أخرجت هذه الكلمة من فمها كصرخة ترحوه بأن يتوقف عن الكلام عن ذكريات حزنة وهما في شهر العسل ، وهي تعرف انها تنفاس قلبه مع ذكرى فتاة أخرى ومع شيخ والدته الشابة . ارادت أن تلطّف الموقف ولكنها ايضاً تريد أن تكون أكثر من مجرد وسيلة للسياح .

- عندما نظرين الى تدين وقأنك كللك عيون . هل اقلقت غيبتك الى هنا يا عزيزي ؟ هل تفضلين العيش في مكان مأهول بينما نستطيع ان نكون وحدها على هذه الجزيرة الصغيرة ؟

- الجبنا ، بين الناس ينسى الانسان ما فيه بكل سهولة يا روداري .

- وبسهولة اكبر مما لو وحد نفسه بين الذكريات . تعالي أ

وأمسكها بيدها وأضاف :

- سأريك الغرفة حيث جهزت ذلينا عشاء غرنا . انه لغريب حقاً ان احب هذا البيت بقدر ما اكرهه .
- الحب والكراهية توأمان .

لا مهرب من تأثير لسة يده وسطوة انسانيته . . . الانسانية الخفية التي ارضتها في حبه قبل ان تتحير من انه كان من الحكمة مضاعفها ايطاليا . اما الآن فلا الجبال ولا البحر تحميها من نظره النفاذة حتى لو وقفت حائلاً بينها وبينه . خرجا من الصالون الى الردهة حيث رأت ثنائياً رائعاً رجل واقف على ارضية من الموز ينظري منطفئ فضفاض كتفه وذراعيه المأيسرين . ربما هذا ثنائى ابولو ، رمز الشمس الذي طارد الخورية .
- ما هي الغرفة .

نادها الى غرفة صغيرة ودخلت لما رأت من فارق بينها وبين الصالون الكبير . كان سقفها مقنطراً تعلوه قبة تزخرها طيور من الجص ، وفيها مصباح مستدير يلون الكهزبان يتدل من سلسلة وفي زاويتها مقعد بشكل حلال متوسطه مائدة منخفضة لتناول الطعام . وكان نور الشدة ينعكس على الصحن الممدودة والفاكهة ذات الألوان الزاهية ومن بين الصحن صحن من الصيني عليه باللون اللبني بالسكر وهو الحلوى التقليدية في الأعراس الايطالية .

- هل سيبدأ بالأكل الآن ؟ ام تفضلين ان تصعدى لتغيري ملابسك ؟
- ماذا تريدني ان افعل ؟

استمت له برجل ، فقد هدأت الغرفة المقنطرة من شعورها بالانقباض لأنها اجبرت غرفة كهذه مكاناً مثالياً للتواعد الخادى . ومكاناً يلتجئ اليه الانسان بعيداً عن وجوه الأسلاف التي تطل من الجدران . اجابها روداري :

- احب ان اراك مرتدية الثوب المخمل الذي اشتريناه في روما والذي سيدخل البهجة الى قلبنا في هذه المناسبة .

- اي الثوب الفلورنسي الذي اصبروت على شرائه لي . لكن فسدنا كهدا مقصود لجمال مغر .

قرىبا اليه وبعد ان قبل عينيها قال :
- لك عينان ساحرتان فيها هدوء لون الخمل والبفسج . اخلا

تستحقين ليس هذا الفستان مساء زواجنا ؟

وتأكد لها من كلامه ان هذه الليلة لن تكون ليلة عطية من ليالي حياتها ، وانها ربطت عمودها بعمره في السراء والضراء وامامها اما السعادة واما التلعبة .

صعدا الى الطابق العلوي وزالت على الجدران رسوماً للرجال ونساء من آل فورتوناتو . الرجال وسبحر الطلعة فلك النظار ، اما النساء فزيتون من الطراز القديم وفي نظرات بعضهن علامم البهجة والبعض الآخر علامم الندم . ربما لأنهن تزوجن من آل فورتوناتو .

أثارت كل صورة منها اهتمام إلفي وحيث نظرت ان يدها روداري على صورة والدته أو صورته وهو طفل .

وتوقف روداري في رواق يدرابزون يطل على البهو حيث دفا على رسمين وقال بصوت قاسي :

- هذا جدي وهذه كيا تعرفين ، الكونتيسة التي ما زالت على قيد الحياة ، وكلما حكمت بقضية من حديد حياة افراد العائلة تحاول ان تتحكم بحياتي . أتهدف لتلك اللحظة التي سأواجهها فيها بزواجي الانكليزية بعد ان تأملت - لا بل سمعت - ان تزوج ايطالية من طبقة رفيعة . ولا نعلم

الكونتيسة ما تخطط ان تفعلها لما انقضى

خافتها كلعنة هذه لأنها تريد ان تقيها أسرته وشعبها ، ولكن دل كلامه على انه يريد ارباك اقرابه باختياره الزوجة التي ارادها هو لا هم . سألته إلفي :

- هل تزوجيني يا روداري لتقم ؟
انقذت عينا شراً ولكنها لا لنا قليلاً وقال :

- اي رجل يتخذ هذا الموقف المتطرف حياً بالشار الجليل ؟ اراك ناعمة وحلوة يا عزيزتي عندما نظرين الي وعندما اري التحدي في عينيك والحنو في نظرتي . هل تم حنوك كروادي الرجل ام كروادي الطفل ؟

- لا ادري . انت ما زلت غامضاً في نظري .

نعم . ما زال ذلك الرجل الذي رآته في الليلة الأولى في فندق الألب واقفاً وحده بينما كان باقي نزلاء الفندق يغتوب وينشدون امام المدفأة على انظام الأكروديون وحفظة الكستاء وهي تشوي في النار . كانت حينذاك تقوم باسعاف احد المرضى عندما نزلت لتأخذ كأساً من الخليب لريضها

وموت بجانب روداري بدون أن يراها . وجدته رجلاً نحيلاً مستوحداً
روشحاً كاحد مضارعي الثيران وهو يأكل الليل وشعره يلصق في نور قنجوم
الندانة في قبة السماء .

وفيها هي تنظر الى رسمي جدياً أمستك بينهما وقال معلقاً على
كلامها :

- ليس من الممكن أن يعرف شخصان بعضهما بعضاً معرفة تامة وهما
على عتبة حياة جديدة .

ضغط على خاتم الزمرد في أضعها وقادها الى غرفة النوم . وحين اشعل
النور ادارت عينيها فرأت سريراً عريضاً مغطى بالحرير يتوج رأسه ما يشبه
العرش ويبرها ذلك .

- هذا الباب يؤدي الى غرفة الملابس الخاصة .

- وأين غرفة الحمام ؟

دلفا على باب آخر . يؤدي الى مغتسل الحمام المني في ارضية الغرفة من
حجر المسيلس . وعلى الجدران مرايا طويلة وفي الحمام اباريق عدة .
والتيلا على وجه العميم خلط حيل من القديم والحديث فترت في هذا
الزح من قديم بفضل حيلها وواقعتها .
- هذه رفاهية حققة .

- هذا لا يجعلك تدمين من وجهة زواجنا العملية . وشقي في روما
موجودة في قصر مرمم على نهر التير .

- من غلى ان المعرصة لويد مشرق في عيط اتيق كهذا ؟

انست بمراة لأنها تفضل حبه لها على هذه الرفاهية . ونجاة ادارها
بحركة سريعة وقال :

- انت الآن زوجتي ، السيدة إلني ، بل إلتينا فورتوناتو . من ذا الذي
نكر في سميتك إلتينا ؟ انه بطاني ايسي تماماً .

- لماذا لا تدعى الكونت فورتوناتو ؟

- هل تحين ان تكوني كونتيسة ؟ سأفعل ماخراً وأضاف بيتاً :

- ان لا استخب الألقاب ، وهذا يسبب سخط جدي . فقد اسقطت
هذا اللقب من اسمي عندما أصبحت كاتباً . اردت ان اتجح كفره لا
كقطعة من سلالة .

- انت عبد يا روداري .

- طبعاً نحن عائلة انفعالات وعواطف امراءها دائي اقرباء . رغبات
بقوة ضغائنك ولا تصالح بسهولة . ثم تعامل الكونتيسة والتي بلطف مع
اما تعشق شقيقي هين التي تكرهه سة ربما لأنها اترعتها من أحضان
امي بلا مقاومة . وعندما احبت سايلا ولد اراقة ان يكون وبدأ قوتي
الشكيمة . وغاية المرأة الايطالية في الحياة هي ان تحب صيماً

وبعد هنيهة اختلف وهو يمرر اصبعه على خنقه بختان :

- انني . . . اني لا اسأل اذا كنت مستجيب لي صيماً .

تورد وجهها . لا يتعد غير الزوج اللاتي بكلام كهذا امام فتاة حديثة
الزواج . اما الزوج الانكليزي فقد يتكلم عن الدفء المرتقب في الطقس
وما عليها ان يعملوا التفضية الوقت . لم يعبر وجهها من قبل مثل اليوم
وودت لو تستطيع ان تهرب لتحتفي عن انتظار هذا الرجل الذي قد يفرض
عليها ما يشاء حسب مبررات شرائع الزواج الروماني .

تعدت فيه الاب كما تصعب اليه في الكنيسة أثناء صلاة عقد القران بينما
كانت تراقب اقرباء الشوع وظلت تتلأأ حتى نهاية الحملة تقريباً عندما
اكتت شحنة تشغل بتقطيع وتلفي بقل حرقا وعندما نفوست في وجهه
رأته ذا نظرات الامر الساعي كانه ولد ليامر وليحيه الناس ولم يحرق .

قال مع ابتسامة خفيفة في زاوية فمه :

- لا نظري الى هكذا . لكل شيء وقته ، وعجب ان اتذكر انك
انكليزية كانت لها مهنة ثابتة قبل ان ادخل حياتها .

- ومهنة مفيدة جداً . واعترض بانك يجب ان تدخل عنها الآن ؟

- طبعاً يا عزيزي لك زوج الآن وبيت تعنين به ، وزوجك يشعر
بالجوع ويجب ان يتناول غشام بعد لحظات .

تركها في غرفة النوم وخرج . اما هي فاخرجت الثوب الذي طلب ان
ترتديه ووضعت على السرير . ترى ماذا ستقول صديقاتها في بيت
السرايات لو رأت الآن المعرصة لويد ذات العينين الرماديين والتي كانت
تكتب ثقة مرضاها ؟ جالت ينظرها حولها وتأملت في الاثاث الايطالي
المرصع وسععت الساعة تعلن الوقت بدقات معدية لطيفة . هنا وفي هذه
لغرفة الخميطة ستمضي ليائها القلة مع روداري الذي اتهمها بان تصنع

زوجة له بدون أن يعلن حبه لها حتى بكلمة واحدة .

هل هو مدفوع الى الزواج فقط لئلا ، فقد كان اهل الكنيسة ان يتزوج ايطالية . وتشعر اني بكل تأكيد انه كان يحب قلعة ما ، ولكن حدث شيء يعكس ما قلناه ، لكن آيا كانت تلك الفتاة فقد تلقي به في المستل رجل متزوجا ، تأملت نفسها في المرأة ذات الاطار المزخرف وعكست المرأة الفتاة الكليزية مئة في المئة وعنصر ليس في محله في هذه الغرفة الايطالية . جلدها ابيض زهري وملا عيوب . شفاتها تدلان على الرجل ولكنها تحيلان الى حب الدعابة . عيناها وامعان وشعرها مقصوص حتى الكففين يثني الى الداخل . فليكون من الناس يعتبرونها عادية ولكن أقل من ذلك يلفتون نحوها للاعجاب بها . رسمت لنفسها متسائلة :

- لماذا يا روداري ؟ لماذا أنا ، لا جيري ؟

نزلت الى الطابق السفلي في ثوبها الفلورنتيني المخمل وكانت تحس بوزنه الثقيل على جسمها ورفعت يديها حزمه السفل تسهلا للمشي ، وبروز من تحت طرفة ثمان خفيها المقضضين . كل ذلك تطابق مع السلم الأسود والذهبي . وشعرت الآن انها تبدو غريسا من القرون الوسطى في طريقها لاستقبال عريس يبدو في مظهره وهيبته آتيا من عصور الاحد النار . وصلت عند اسفل السلم وتوقفت لتسكين ووضعت يدها على رأس عمود الدرابزون فلمع خافتها وتوهج كالنار أو كالدلم في سواد الخشب . الهدوء محيم في كل مكان ولا يسمع غير صوت الريح حول البيت وحفيف الستائر المخملية المدلاة على جانبي نوافذ البهو .

- روداري ...

تلفظت بهذا الاسم وهي تبحث عنه . وظلت انه خرج من غرفة النوم ليجوز بعض الأشياء للعشاء فلا خوف عليها من طيف سابينا الحزين . لكن كما احبت سابينا تحبه هي الأخرى وتريد أن تبقى معه . شئت في البهو وانعكست صورها في مرآية في ضوء ينبعث من أفتاف حديدية ويتزوج رأسها بهالة غريبة من النور . وبدأ اكتشافها من خلال فتحة الفتان عند العنق رشيقتين ابيضتين ، ونساءت عما قد يفكر فيها عندما تفتح باب الغرفة . لكنها فوجئت عندما وجدت الغرفة خالية .

أين عساه يكون ؟ اقرب من المدفأة التي كان يخرج منها اربح كالبحور

من احتراق خطيب السرو . وهذا ذكرها بالكثينة حيث انصبا على ان يحب احدهما الآخر ويحترمه . ركعت امام المدفأة على ركبتها ومدت يديها فوق النار لتمدشها كأنها تنصرع الى السماء . وكل عطفة احتراق وكل صوت حفيف من ثوبها يزيد من سطوة السكون الوحشة . حدثت في قلب النار ولكن أفكارها كانت باردة . الرجل الذي يولي امرأة اعتمده المكمل لا يرتقيها هائلة تنظر وتسمع في كل حركة مشية اشباح من حولها .

يقال ان سابينا تسبح نحو الشاطئ في الليالي القموية لتبحث عن ابنها الذي انتزع منها الآخرون . وابيها هو الآل في حوزة الفني التي تلقي نظرة هنا وهناك من حين لآخر وهي متوترة الأعصاب . هل احبت رجلا تشك فيه ؟ هذا الرجل الساحر والمتعطر الذي يرى ان تركه زوجته يقلل كما يشاء في كل شيء ؟

ولها هي تفكر في ذلك المرحلت ستائر الباحة بحركة مبداحة ورأت يدأ سمراء تزعجها وتظهر شخص زوجها . ففتحت مدعورة واصبحت صرخة خفيفة لم تروء ينسم بل كان شعرة الأسود مبللا وتعمل هذه الأخرى منشفة ورأت صدره عازيا معض بشعر اسود وتنبلى بوقه مسجلة . اقرب منها ورأت ان ساقه أطول من المعتاد لأنه كان مرتديا سروالاً ضيقاً . نظرت اليها في ضوء المصباح المائلة التي كان النور يشع منها كأنه يلون القرنفل . حديق روداري فيها وسدت نظراته من حلال وموشه كأنها ليل تنفع فيه البحيرة . قال لها :

- يدان مظهرك كذلك آتية من عصر آخر . ستكونين ساحرة بأذرة هذه الليلة يا عزيزتي .

سمعت غاما ولكنها فقدت تأثير كلامه عندما رفعت نظرها اليه . كان يسبح في البحيرة غير مهتم بأشباح جزيرة فورتوناكو . هناك في مياه البحيرة النعنة وعاد اليها اشبه بالقاصيان

أ أنا مسروقة لأنك احبت الثوب وأبدور رائعة فيه ، ألا اني اشبه امرأة مرتدية لباسا في حفلة تنكرية .

- هل أنتكر أنا الآخر ؟ (سألها متسألاً بهزء) بأي شيء أنتكر ؟ - انك لا تحتاج للتكر اذ تبدو كأنك جيت البحار طرولاً وعرضاً بحثاً عن قطع اصالية ناعية .

- أي أبي قريصان ، أليس كذلك ؟

- بلا ريب .

- هل تريدني أن أرى أن كان بين كنوزي ما يلائم ثوبك الجديد ؟

يشكلم روداري الاتكليزية بلا عيوب ولكن بلمسة تعطي معنى خاصاً

لبعض الكلمات . فقد احرر وجهها علماً استعمل كلمة « خلاب »

مثلاً . وعلمت قاتلة :

- انا . . . انا لا اريد ان تظن تعطيني شياء بلا انقطاع . ارجوك يا

روداري .

- ارجوك يا إلفي (اجاب ساخراً) أنت المرأة الوحيدة التي تستطيع ان

تجعل الكلام يعني شيئاً بل شيئاً لا يظن انك قد فعلت ذلك .

هدايا خاصة اذا كان يحس طرد الرجل أن يقدم وان يأخذ .

- ان افكر عليه الأزرار الجلدية كثيراً ، وأنت تفسين ان في الحياة

الزوجية المرأة تقدم نفسها .

ثبت نظره في نظرها وشعرت بتأثير قوته والاعتماد بنفسه وكما برزت

لحبيها معالم عضلات صدره وكثفيه تحت القميص اللطيف بجسمه المثل

ورأت فيه أيضاً خطر الحوية الفتنة في جسم هذه العذراء والسمات على

مدي وجشته في علاقته معها . وسبق الحرف جلد صحت وهو سحر

بحو الباب قاتلاً :

- قدمي الطعام . لي اتركك لتظن طويلاً .

ذهبت إلى الطول وأضحت رشح أعطى الضحوة التي كانت على دم خضرة

مستعملة قطعة قماش لتحمي يديها من الحرارة . كان هناك الجليون بصلصة

الزينة ، قطر وسلوى بالصليصة الحمراء ، شرائح جبيل مع جزار ، وسبغة

شبهة بالموافاة . رائحة الطعام كانت ذكية وأخذت سيدة البيت الجليلة تهيم

على الحية بحالة ومرور فكتفين . أما الأقداح فكانت من البلور الصيني من صنع

الهندية وما ضربت على أحدها بطرقه اصبعها رن رنيناً موسيقياً ناعماً . ولست

ببعض زغار الزود الأحمر الزينة في أناه جبيل وأثقت نظره على اللوز والملبس

بالسكر الذي قلما تخلو منه مائدة عزيزة في توسكانا .

فتح الباب وتوترت أعضائها ، إذ ليس من السهل عليها ان تكون الحب

لروداري . قلته غار كالحب ذاته .

- نحن محظوظان يا إلفي . لدينا الطعام والشراب ولا أحد سوانا يقلقنا .

اقرب منها والتي تنظر على المائدة وعلى النار في المدفأة والستائر المسحوبة

واتسم نعيماً عن تمتعه بوجود إلفي له يكلتها . هذا أول حب لها في حياتها

ولا تستطيع ان تعرف أي الشعورين يسبق الآخر . . . الشعور بالخوف أو

الشعور بالفتنة .

- من المحتمل أن يكون أحد الجداني قد سقط على دبر وسلب منه هذه

السبعة .

قد بدء وليس السبعة المعقودة حول عبق إلفي وهي مصنوعة من

الصدف المروى بعرق اللؤلؤ وتحملها قطعة زمرد براقه . السبعة جميلة

جداً وزادها حجر الزمرد ثالثاً . إلفي ، وجودة بين يديه وترتبطها السبعة

به . وأثقت في لحظة يوم بأن الظلام اكتفها وأن قوته سقطت عليها

وأدخلت إلى قلبها سحراً مقللاً لا تستطيع ان تسميه حباً . . . حسب

الحب الذي تحلم به .

أوليت اللآلئ والزمرد رمز الطهر والانفعالات القوية ؟ انها تفعل

كلها لها وتحس بالحاجة الى هذا الرجل الغريب المديد القامة الذي

أوجعه . ورسم كل ذلك فقد جفئت قليلاً وترأصت الى الزوا . فحكك

والجبه الى المائدة وسحب كرسيها لها . لا يتوقع تجاوزاً منها الآن .

جلس قبالتها وسكب لها شرباً من ابريق عليه مسحة من الخطوط

الفضية . فهو يحب ان يحاط بأشياء جميلة . وودت إلفي لو تعرف أفكاره

وهو يشاركها في اكل السمالي والعنب واللوز اللبس . هل يفكر في وجه

آخر وصوت آخر ، في امرأة برشفة الزود اخذة الجمال ؟

ربما قرأ أفكارها فأخذ يحذرها عن إيطاليا وعن الأماكن التي سيوزعها ،

ومنها روما . انه ايطالي حتى العظم ويجري في عروقه دم في منتهى الرقة .

أليس ولطيف ولكن شيطان الشر قائم في عينيته السعراوين .

قال لدى أول الفاء لها ان فيها صفة اللطف وان قلبها كبير ، ولكنه بدأ

بسلبه والبقية الباقية من قلبها تستعملها للدفاع عن النفس إذ لا يجب ان

تفنى ان شخصاً غيرها بلبه قلبه .

- نحن متكاملان هنا ولا يفتننا شيء . نحن وحننا ونعيدان عن

الغضب . لا يمكنك ان تقدرني يا إلفي هذه البان في بعدنا عن الناس .

كانت فسمع اليه يتكلم بلكته الإيطالية وعينه الثابت عما جعل
انكليزيته شيئاً مستحيلاً لها وشراً . ولا طقت كيف تناسق القدر العتيق مع
جمال يده النحيفة التي كانت بلا خاتم . وجوهته الوحيدة مائة وجهها
مذهب يربط بين جنس وأرذلو الكسوف مرصعة بحجر فريد أسود . انه رجل
لا يستعمل ثروته لتزين جسمه ولكنه يلبس بزات عادية بمنتهى الكمال .
تكلم عن مسائل الحميميات المحيطة بالحرية كعلاقات بال العلاقة التي
تتحول الى لون الذهب في نور الشمس فيما يتحول لون مرابع الزيتون الى
اللون الفضي . قال لها :

- سأجيبك تذكركين شهر عسلك الى الابد .

بعض من مكانه وأراد ان يمتدحها فارتفعت أنغام الموسيقى وصوت
بعض أصابعها تعرفها . كلماتها بدت غامضة كعظم من زمن غابر . ثم
احتجها من قواعده وارتفعها على أنغام على مسي . وسألها :

- هل تعرفين كلمات الأغنية ؟

- كلا . لكنني أتذكر أنها حورية .

- احزن جرح من الجمال .

أراح الستائر وخرجها في طلال الظلام الفضي . ورأيا أوراق شدة
الانتماء بلونها الأصفر الشاحب . القمر يظهر ويختفي في الغيوم . تأملت
الا يكون مظهر القمر بهذه الصورة جميلة لسوء الظالم .
- انظري هنا وسيحرك القمر .

رفع ذقنها بيده فأصبح وجهها امام وجهه . ثم أضاف :

- هناك شيء روماني في عيناك في العينين الرمانيتين وموشها القليلة . انها
عنا بطول شابة تطرف الى بطور ولكن مع مقدار غشيل من الفرع . ان عيناك
تطرحان مثل سؤال عني ولا تستطيع الاجابة على أي منها في الوقت الحاضر .
ولكني أستطيع ان أقول لك اني لا أريد احداً غيرك هذه الليلة . وإذا صدف
رأى شخص ما ليأخذك مني اعتقد اني سأتحول الى جرم .

- يا رودياري .

قالت بصوت مرتجف ثم توقفت .

يجب ان نطعمه على ما جال في خاطرها ليلة المساء وقالت :

- ماذا لو طلبت منك يا سيدي ان تعطيني الوقت الكافي لا تعرف عليك .

كما يجب ؟

- أوجوك ان توضحني .

تكلم بصوت هادي . الا ان التي أحضرت ليلاً من لحنة الحارمة
تصفط يديها على الدرابزين . وسقطت حبيب أوراق الشجر وصبر
صرار الليل المسمر ورائحة الخياض تلالاً بين أشجار الكرم . كل وجه
البحيرة يعكس صوراً غامضاً عما يظهر حراً على القصب الحزين . ولكن
روداري يتنهي . الى العاطفة التي تجلب السنين .

- انت تعرف ما اعني بطولي هذا . ونفسي .

- ما أعرفه فقط هو ان تروحت اليه وسأجعل منك راحة لي هذه الليلة .

- أوجوك . هل ما أظنه كثير غيت ؟ سألني بعض الوقت لأعده عليك .

- أفضل وسيلة لتعرف علي هي عندما تكونين في حضائي .

كان وهو يتكلم يلعب بخات السحرة ويحجرها الزمري . حجر
العشاق . ثم أجاب قائلاً :

- انت لست خجولة بل وجلة لمحب .

- كلا .

وانترعت نفسها منه وأقلت مشبك السحرة فطارت في الهواء وبدت
تخط على الحبيب وهي تهوي على الصخور . ونبع ذلك سكوت رهيب
وسمعت شقيقة إيطالية تخرج من قعر وأحست بذراعيه القويين يديها
نحوه وهو يقول :

- صبحت عن السحرة غداً صباحاً .

- لكن سيحرفها اليه الى الماء .

- سيؤذي ذلك . لكنني لست مستعداً لأن أكون الآن فأبحث عنها في

فتوة مصباح كهربائي .

وضع عينيها الى عينه وقال :

- هل اعتقدت بان سأبحث عنها الآن ؟

- انها جزء من لوش عريق ولكنك تبحث عنها معاً .

- سأبحثها قبل من العجوز . وستبقين وهي حول غفك .

كانت حركات عينه واضحة ومفهومة ولا يهرب لها من الرغبة فيها

ومن قبضة ذراعيه . انها له الآن ونحت راحته في الفيلافورونواتو .

kwakeb

٣- الشك القاتل

قد لا تعرف نارا أكثر تاحاً من هذه... هكذا كتبت أفكاراً طيلة الأيام التي تلت تلك الليلة، أيام أمضيتها تحت السماء الإيطالية وهي تستكشف جزيرة الحمضيات وزوارقي الصيد ذات الأشعة البراقة والبيوت الصغيرة المنيضة بالكلس أثناء لحارة الشمس التي تلمع منذ بزوغها حتى تغربها تحت القبلة تحت الغسق، ترافقها أصوات الصرصر والسحالي.

كانت تحافظ على شعورها من التطاير في افواه برباط زهري، طرفاء فراشة تتماوج وهي تبيض السلم الحصى لتلافي زوجها الذي يجتمع بها على الجزيرة. وهو يحب ان يقتلهم بهم ويسحبهم الى حكاياتهم وشذائهم حيث يجد مادة لعمله كالمزلف.

رائه واقفاً عند شجيرة نخيل يدخلن سبكاراً وعند قلعيه سلة فيها عدد من القريدس والسرطانات ذات الحجم الكبير. كان لا يمتاً قنعياً مقترحاً وبطلون صيد. ومع ذلك كان يحفظ هيبته. وبروداري ليس من النوع الذي يأتي الى قراشه في سباحة متاخرة من الليل بل تدفعه جيوبته الجائعة الى التلصص بشايطه جنة. وتعرف التي انه يخون في النجاء حدائق القيلان انه ليس قائم يبحث عن شيء. ما... زينة المرأة الأخرى؟

كان يتأمل في الماء عندما اقتربت منه ولكنه لم يلتفت اليها بالرغم من انه لا شك سمع صوت خطواتها على الحصى. ودعا مزاجه على انه هذا الصباح متعبه بالفكره الى عالم آخر، عالم ما وراء هذه الجزيرة التي تشاركه حياته فيها والتي درجت على محبتها.

لاحظت مسحة من الحزن وهي تنظر الى ملاحه الجانية وهو مستفرد

غارقاً في الكاره في وهج الشمس. كنم تحب وترهب هذا الرجل الذي هو بالنسبة اليها محب وغريب في آن معاً. ولم تنصه بكلمة واحدة عندما وقعت الى جانبه يدونه. لانها لا تحب التطفل ولا ترغب فيه. وصل الى انقيا ارنج الاعشاب ونبتت بظفرها فراشة سوداء تطايرت أخرى زرقاء ثم اختفا وراء دورتي العيب التي تلتق الجدر.

كانت تتحقق كأنها مسخرة في مكانها وبدا لها ان الطبيعة تفضل القوي على الضعيف، وجعلت وتأتى عندما رأت مسحة تطيق فكيفها على شيء لا مع ومنحرف.

- انت كثيرة الحساسية يا عزيزي الصغيرة. احبة غابة واحد جوي ولا يجب ان يصدفك ايها أو ان يسبب لك اذى.
- هل تظهر علي اني جندمت؟

حاولت بهذا السؤال ان تظهر في مظهر الشجاعة وخفة الروح. لكنه رفق وجهها بظفر خائفة ثم قربها منه وقال وهو ينهم ساخراً:
- لا تخولي مطلقاً ان تكوني امرأة محتجج. هذا لا يليق بك وانت ثلاثيني كما انت.

- وجهه وحرقاء؟ اني مررت في عدة مشاهد اهل القرية بدأ ليبتها بدلا من امرأة بزوجها. هل تعتقدون انها متزوجان؟
- نظر اليها نظرة حملتها تحمر وفك.

- ارجو ذلك. عينك كلها براعة ويطهر ايدو معها كأي رجل ذي. اتفرعتك من ملعب في مدرسة ولكن اهل الجزيرة يعرفوني جيداً وبعد الغنش شهراً كاملاً معك يا التي بدأت اعرفك. هل استطيع ان اجانقك؟
- كلا... ارجوك.

- عندما تترجيني تزيم رعتي.
- لم اتناول قطوري بعد. لقد استغرقك آمله في الذهاب في ذلك المكان الصغير حيث يطخونه مسك السام على حجم الخطب ويقدمونه مع الخبز الاسمر اللذيذ والقوية.

- يا لك من خبيثة صغيرة! انك تتعلمين كيف تثقين احسن طعام وتحويلين الى طاعة في فوس الحياة الرعيمة منذ ان اصبحت لي.
قالت صاخكة

- تكلم كأنك اشترقت كحيوان مثل مطلوب منه ان يتعلم الكيافة
ليجيب اصدقاءك الاتيين في روما.

جذب بيده خصلة من شعرها ولوح بها كمن يلوح بشراية وقال:
- هراء اريدك ان تقشري رقة البيض. هذا كل شيء. ولا اريدك ان
تقشري شيئاً من حوزاتك الخمرية. واذا تحولت الى مجرد لعبة فاضطر الى
ترويضك.

تسارعت دقات قلبها واحست بشيء يسري في جسمها عندما انزلت
يدنه وشد بذراعه على خصرها.

- منفي عينك عني غدراء وسيبقى قلبك جميل. هذان شيان احب ان
يدوما. حاول ان ترفضي وسترين كيف ساقط الى وحي.

- لن نعطي المجال لأرقصك.

- هل تعين ليلاً زفافاً؟

- نعم.

- هل نكرهني منظر ما تصورين؟

- لا.

- كنت وحيك ذلك متعدي المسحة حول قلبك عند هبوطك من
السوم وما هي ثم لم مع اللاتي المتعدي جملك فاصم. وفي ظني انه
سائد ترك دائماً هذا الشكل.

لمس عبقها عند اللاتي واحست كأن الزمجرة احرقت جلدها وجعلتها
لينة تنفخ. ونسيت تلك العرضة الوجلة الشعرية عصبها وهي تقوم بواجبها
حرقها وتكلم عموماً. هنا روداري فقط بفراجه القويين نظراتها حتى تعبر
وتسقط مع الشمس في العرة المرحلة ورائحة البحيرة. وكثيراً ما تجد نفسها
وحيدة عندما تنزع عينيها وتبقى هكذا الى ان يعود من جولاته المبكرة في خلدائق
الغيا. ونسر الامر معها كأنها توقف كل ذكرى ماضية من اجله هو كلها اندها
من فراجه. انه لا يعملها غيرة لكنه لم يقل لها ابداً انه يحبها. وفي الظلام شعر
بحيرة في قلبها وتود لو تكي. عندئذ يضع رأسها على صدره الى ان يغضض
عينه ويغم. كان بحر احساسات شباب غير المتوقفة وفي كل يوم نفسه معه وكل
لينة انها تطلب المزيد من حبه. وفرد ان تكون الفتاة الوحيدة التي يكن لها
الحب. قال هامساً في اذنها:

- نحن متجانسان. فماذا تريد اكثر من ذلك؟

- تريد فظوراً...

اجابته بمرح. فضحك ودلى سلة المحار عن كتفه وقال:

- ستقدم هذا السزار وبالقابل سيقدم لنا شيئاً نأكله مع سمك اليوم.

- اراك متشرح الصدر يا روداري.

- نعم. في هذه اللحظة لا تلازم السفانة الانسان كما يلازمه الله.

ولكنني اشعر حالياً بانني استطيع ان احملك على كتفي واصعد بك التل. هل

تريديني ان افعل ذلك؟

- لا، شكراً.

وسبقته صاعدة المرتفع المعشوشب الذي يؤدي الى المقهى القديم
الطريق ذي المضارب المهيمة والطاولات المخلفة المنتشرة في حديقة غنية
بالشجار الفاخرة. كان لهذا المكان عذبة الغابر ولكن صاحبه سيزار لم يفقد
براغمته في توفيق المأكولات البحرية. ويرتاد هذا المقهى الكائن على تل
معظم زوار الجزيرة.

لسيزار حفيظة أصبحت محور كلام الجزيرة. فقد هربت الى روما حيث
تورطت مع رجل محال واحبت منه. لكن سيزار لم يفلح باب بيته في
وجهها. فهي في الجزيرة مع طفلها منذ بضعة اشهر وتلقى بالتي كثيرا
هذه الفتاة المسكينة منطوية على نفسها وهي تهمهد طفلها. لم تترك تكولينا
المقهى ابداً كما لم تكلم انساناً. وكلما دخلت التي حديقة المقهى برفقة
روداري جذبت تكولينا فيها بعينها السوداوين. واذا صادف ونظر
روداري اليها انخفضت رأسها وبدأت مثل امرأة تعبر عن توبتها بصمت.

واستولى القلق على جدتها سيزار اذ بدأ الخزال يصيب حفيذته نشوقاً الى
اللعين الذي لطخ سمعتها الطيبة. هل في امكان السيد ان يساعد بصورة
أو بأخرى؟ هل يتكلم هذه الحفقاء ويخبرها الى صوابها؟ فطالما هي في بينها
وفي امان سينسى سكان الجزيرة فعلتها ويستقبلونها كواحدة منهم. هذه
أمر تحدث والسيد من رجالاته المجتمع ويخبرهم ذلك.

قطب روداري حاجبيه وانفتحت الى التي فجأة وقال لها:

- انت من غمرها ويمكنك ان تمنعها بان نهاية العالم لم تأت بسبب

غلطة. اكدي لها انها ستعرف على شخص ما.

ولما نظرت إلقي إليه والشك في غيبتها، قال لها:

- ادعني مع سيزار، وأنت كزوجتي يجب أن تعلمي كيف تعالجن الأمور في الحالات المربكة.

نهضت إلقي ونهضت سيزار إلى غرفة حبيبته، وحدها جالسة على سريرها تبكي والطفل يصرخ فحصلت إلقي وراحت له بحب تغيير ملابسه. كان حذاءه ويتوي اللون وضمره مجعداً أسود وعباءة كستالين بوموش منسنة بالدموع. وبعدما رشته بالمشحوق وراحتته أخذ يحك رأسه بجسم إلقي التي أخذت تلاحقه ريشاً تتوقف أمه عن البكاء على نفسها.

وفي النهاية انصبت لعنة جالسة وصحبت تعرفها بعداً. ثم نظرت إلى إلقي بحزن وتعوّثت شجرة مظلمة بأن هذه الفتاة الانكليزية لا تفهم. لكن إلقي كانت قد درست الإيطالية قبل أن تتوظف في جبل الآلب والمخاضات المتصلة مع روداري ساعدت كثيراً في تحسين معرفتها بهذه اللغة وروداري يرغب في أن يتكلم لغة بطلاقة. ولم يعمل برهنت على أنها تنسبلة جيدة.

- لا تقولي بأني معجبة بنفسي.

قالت إلقي لتكولينا مؤنية:

- اعرف يا هي عاطفة الحب الجثوني وكيف يلقي نتائج غير مستقرة واعرف أيضاً العذاب الذي يسببه.

- أنك تحملين خالقاً من الزمرد يا سيزورا وتوفقت بزواجك الرائع من سيد الجزيرة ولكنك لا تعرفين طماع الرجال الإيطاليين. أنهم ماهرون في اجتذاب الفتاة وأكثر مهارة في التخلي عنها عندما تتورط في مشكلة ما.

نهضت تكولينا وافقة ورأت إلقي أن لها ساقين كسافي الخورية. ربما كانت كثيرة الجمال. عينها منتفضتان الآن وقمها كتيب وتبدل فرحها بالحياة إلى مرارة. أخذت حنظلها من ذراعي إلقي وتطلعت إليها وقالت:

- اأمن أن سيد الجزيرة الوسيم يجب الكثير كي يحصل على ولد مثل ولدي واتساءل إذا كانت تستطيع فتاة شاحبة وناعسة مثلك أن تعطيه ابناً.

هل تعرفين أنه كان يجب واحدة أخرى؟ أم بها إلى هذه الجزيرة في مثل هذا الشهر من السنة الماضية. . . كنت في روما إذ ذاك وقبل لي أنها كانت تشبه كورتيسة كزهرة الكاميليا ولكنها تزوجت من شخص آخر لأنها كانت خطيرة له منذ صغرها ولا يمكن فك الخطوبات. . . ويقولون هنا في

الجزيرة أن قلب السيد الأكبر مخطم.

تبع هذا الكلام جزم من التوتر وشعرت إلقي بما يشبه ضربة دفعتها إلى السير. وبالرغم من أنها كانت تتوقع شيئاً من هذا النوع إلا أن ما كشفت عنه الفتاة أصابها كصدمة. هذه الأقاويل تسعها تكولينا من أفواه الناس الذين يتوافدون على مقهى والدعيا. فإذا كان مرادها أن تهز إلقي فقد نجحتاً أو أن يؤلمها فقد فازت حين رأت شحوب وجه إلقي التي قالت:

- ولدك جميل جداً. أعطني به ولا تكوني تعيسة. أنت كثيرة الجمال وسباني أحب إلى قلبك ثانية.

ثم خرجت وانضمت إلى روداري في حديقة المقهى حيث كانوا يشرحون له فن شواء سمك السلم على نار الفحم. أنه لفن رائع حقاً وله طقوسه الخاصة به. وتظاهررت إلقي بأنها مهتمة جد الاهتمام وأكثر من اللازم بينما افكارها بعيدة عن الطعام وعن الشهية لم تكن تفكر إلا في كورتيسة الكاميليا الحبيبة التي أحبها وروداري وأعجب بها. ويعرف الجميع أن إلقي لم تكن سوى بديلة عنها. . . اختارها على الهامش. ولهذا الكل يتكلم معها كأنها امرأة عادية وغير لبقة. فقد رأوا المرأة الأخرى في حياة

سيدهم، وأوها جميلة وأكيدة من نفسها ورؤها تذهب بحيرة على الزواج من رجل اختاروه ما قبل أن يلقي روداري.

عادات تقليدية قاسية من عصر فكتوريا تقوم على تنظيم زواج بين اثنين بدون استشارتهما. وهذا ما يجري بعد في الطبقة الإيطالية العليا وهو دمج الدم الأزرق أو الأرستوقراطي بالذال وكثيراً ما يتبع عنه تزويج فتاة يانعة إلى رجل أكبر منها سناً. مما جعل روداري يكره هذه التقاليد، عندما رأى أن الفتاة التي أحبها خضعت للزواج من رجل يكبرها بكثير وشعر بمرارة كبيرة

فدفع به الأمر إلى أن ينضم لنفسه ويتزوج من فتاة تصغره بكثير وفقيرة. . .

الفت التي أحبها كان سيزار يقدم لها الطعام:

- هل لنجح حديثك مع الفتاة؟

- تكلمنا، ولكن لا أدري إذا حقاً استفادت مني أم لا. ومن الصعب التخفيف من آلام انسان يتعذب بسبب حب كبير لشخص آخر.

سألتها ساخراً:

- هل يمكن أن يصل الحب إلى هذه الدرجة؟

نظرت الى صحتها وتظاهرت بانها لم تسمعه . وبالرغم من منظر السمك
الشهي كانت تبغضه بغصة . يجب ان تقضي عن روداري ما اخلعتها الفتاة
عليه . ايوجد شيء اجل من تشبه المرأة بالكاملية ؟
في المرة الاخيرة اكلت كالدشب الجائع . هل جعلك حديثك مع تلك
الفتاة الحسنة تعباً ؟

اجابت وهو عمك يدقها بين اصابعه :
- انهم الرجال الذين يدقون بالفتيات الى ارتكاب الحماقة ، وبعد ذلك
يتجاهلون كل شيء ويديرون ظهورهم من غير ان يتعرضوا لاي
مسؤولية .

- يعني هذا اننا نرتكب الخطأ ولا ندفع ثمنه ؟
- نعم . ارتكاب الخطيئة اسهل على الرجل من المرأة .
- هل تمنين ان تكون الامور اسهل بالنسبة الى المرأة ؟
- كلا بالطبع . ولكن لماذا يقسو الناس على فتاة وقعت في الخطأ ؟ لا
ترتكب اي فتاة خطأ كهذا بدون مشاركة الرجل لها وهو يسجل ولا يردده
انسان اخذاً سبيله بدون ان يلتفت الى الوراء بل ويتجه نحو قرية اخرى
فارتقا وراءه فتاة مسكية لتربي طفله ويملكها اليأس وهي تستعصي الناس
نفسها . اي انفس نروم نكولينا . ولو كانت اقل جمالاً لتركها ذلك الوحش
وشأنها .

- قد لا تتركه هي وشأنه . هل فكرت في ذلك ؟
- الرجل هو الذي يطارد الفتاة في معظم الاحيان .
- ما زلت بعيدة عن واقع الحياة . ولانك لا تلاحقين اي رجل انت
بنفسك تدين ان اية فتاة اخرى لا تفعل الشيء نفسه . ولكن هناك فتيات
كثيرات يطاردن الرجال وسين مشاكلهم . ومن يلوم رجلاً يقع في مأزق
كهذا ؟

نظرت إلني في عينيه مباشرة وقالت :
- انك تظاهر بالشك في النوافع الانسانية لانك لا تعتقد باطناً بما تقوله
ظاهراً . وانا اعرف هذا يا روداري . والا لما كنت اجالس رجلاً انانياً . انت
منزعج ومنفذ ولا تلين في بعض الأمور ولكنك لست رجلاً يعيش لنفسه
فقط .

- شكراً .

قال ذلك وهو ينهمر ابتسامة جذابة ، ثم اضاف قائلاً :
- لم اعرف انك تزوجتي لفضائل . هل اكيدة انت من وجودها في ام
الك تركضين وراء احلام رومانطيقية ؟
- المرضيات لسن رومانطقيات . انهن يملن كثيراً .
- اذن ما الذي جعلك تزوجتي ؟
- لاني . . . تعلقت بك .
- تعلقت فقط ؟

مر بنظره على جلدها الاشقر فاحمرت ثائراً ولما تحول لون وجهها الى
الزهرى زادت عيناه تألقاً وبدأ فيها برين الامتلاك . فهي له ويستطيع ان
يضيقها بممارحاته او يسعددها او يتعبها . وقد وجد منعة فائقة في قدرته
على اثارة حبه له . انها له وحده وبها هو يشعرها بذلك .
ولتغطي عجزها عن النظر الى عينيه المستلطين تابعت حركة عصافير في
طيرانه بين النباتات والاشجار . وفي تلك اللحظة لمحت حركة فستان فوق
الصخور فداخلها حاجس بما يتحدث .
كانت نكولينا مرتدية ثوباً أزرق . . . اذن هي الواقعة هناك تعلقت في ماء
البحيرة بالنسبة من الحياة .

- روداري . هذه الفتاة ترى ان ثقلها ينقصها في الماء !
التصبت إلني واقفة وانددت كالبهم بين الاشجار في طريقها الى قمة
الصخور . ولكن زوجها سبقها الى هناك ورائته يتعارك مع الفتاة على طرف
الصخر . وفجأة اندثرت الارض من تحت اقدامها وراى زوجها والفتاة
نكولينا والرغب عملاً غيبها بغوصان متدحرجين على منحدر الصخر
وتخفیان عن النظر . صرخت إلني صرخة مدوية وتجمدت في مكانها ثم
انطلقت بعنف الى حيث كانا يتعاركان غير مبالية بأي اسيار ارضي آخر
تحت قدميها .

لكن معجزة ما حدثت . فقد رآه يسبح في الماء تمسكاً بالفتاة بكتفها وهو
يسحبها الى الشاطئ . وكان شعرها الضويل مندلياً ووجهها بادياً عليه
الاغواء .

- شكراً لله !

نفست إلى الصعداء ونجست الاعشاب وجذورها التي اقتطعت
بسبب انهيار الأرض. ولو ارتطم رأس روداري بالصخر لغرق هو والفتاة
معاً.

بقيت نكولينا فائدة الوعي بضع ساعات وكانت في أطرافها بعض
المروج. اعتصم بها إلفي واعتصم بطنها نيكولا.

مضت أربعة أيام وهي تقوم على عنايتها وفيما كانت إلفي ترتب غرفتها
في غيب نكولينا في الحديقة وجدت رسالة وجيزة تحت الوسادة مطبوعة على
الآلة المكتبة ومثلية عدة ثياب مما يدل على تكرار قراءتها وفي آخرها حرف
(ز) كبير.

لم تشأ أن تقرأ الرسالة في أول الأمر ولكن بعض الكلمات التي رأتها
صداحة استوقفت انتباهها. قالت الرسالة:

« لا نستطيع أن نتقابل بعد الآن. وكل ما حصل بيننا انتهى وأنت لك
في المصروف مبلغاً من المال يكفيك مدة طويلة. وجدت نسلة وتعزية بقربك
عندما احتجت لشخص ما في اتس أيام حياتي. وهذا الوداع حتمي،
صديقي. وقلت لك عند أول مرة أنه من المستحيل أن نتزوج. وأكدت لي
أنك فهمت وضعي ».

هذه رسالة من رجل يحاول أن يكون لطيفاً. رجل تمنع علاقته بها هو
يتصلص منها. تصورات إلفي الصدمة التي سببها المرحل هذه الفتاة التي
كانت تملأ بطبيعة الحال أن حبسها منتهول إلى علاقة شرعية في النهاية.
ولكنه بدلاً من ذلك وضع لها مبلغاً من المال في المصروف وحرر رسالة وداع
مطبوعة على الآلة المكتبة.

طلعت الرسالة من جديد ولكن حرف (ز) شغل بالها، وفكرت في
الطفل نيكولا شعره الأسود المتجد وبصيله الكستانية. وراحت في
ذاكرتها تلك اللحظات التي عاين فيها زوجها مع الفتاة على حافة الصخر
وسمعت يقول شيئاً لها. ما كان هذا الشيء؟ لماذا لم تعد تذكر؟ فتمسكت
بأصابعها على صدغها وحاولت أن تعصر دماغها.

ذهت كل محاولاتها سدى. فقد أنها مشاهدة انهيار حافة الصخر كل
ما قاله روداري للفتاة، ولكنها متأكدة من أن زوجها صرخ كلمات الفتة
وثودع وطوقها بذراعيه وهما يهويان إلى الماء.

ارتجفت فله الفكرة ولكنها استجمعت رباطة جأشها وأخذت ترتب
الأسرار. ومن الجنون أن تعتقد بأن روداري كان عشيق الفتاة وأنه والد
طفلها، ومع ذلك فإن حرف (ز) يتطابق مع أول حرف من اسمه وخاطر
بحيته لينفذ نكولينا. وعلاوة على ذلك فإنه لري وفي إمكانه تعيين مبلغ
عثر من المال ليؤمن حياة الفتاة ويبيع ضميرة.

وفجأة شعرت بحرارة في الغرفة لا تطلق واشتدت رائحة عطر عابقة لا
تستعملها هذه الفتاة الإيطالية. وإلفي التي كان عقلها يغلي بمختلف
الأسئلة اعتقدت أن صورة العذراء المرحومة في كوة في الحائط تنظر إليها
بحزن عميق. خرجت من غرفة نكولينا وأغلقت الباب وراءها بأحكام
وارادت أن تعيد اقترابها إلى رتبها وأن تتعد عن هذا القهن حيث تلذت
بقطور شهني منذ بضعة أيام فقط وحيث يلتقي العشاق ليشاركوا في الطعام
وتشايبك أيديهم ويخططون للمستقبل أو... يفترقون.

لكن إلفي تراجعت فالمعرضة لا تفر من الواجب، بل تتصرف بتعقل
وهشوه ونسبه قبل أن تسرع في استنتاجات غير قائمة على أساس متين.
لا بد من وجود توضيح بسيط لهذه المشكلة. عقيدون هم الرجال الذين
تبدأ أمثالهم بحرف (ز)، أو يعيشون في روما. وإذا عادت نكولينا من
روما بطفل بين ذراعيها وشباب كثيرة من نوع غير لا يعني هذا أنه روداري
فورتوناتو هو الذي وميها الطفل والثياب معاً.

في خلال السنة المنصرمة كان روداري يلتقي بامرأة من غلية القوم
وجيلة ولم يستح له الوقت بالانشغال في مغازلة نكولينا في الوقت ذاته.
ولكن تذكرتي، قال لها صوت الشك، كان في تلك السنة عندما نقلت
عنه الفتاة التي كان يحبها لتزوج من غيره، فوجد نفسه مجروحاً بوجه
الحقيقة المرة وأراد أن يؤاسي الأم قلبه فالتقى بالفتاة التي هربت إلى روما
والتي يكون قد لاحظها في زيارته والتي قبلت ملاقاته وهداياه.

قالت الفتاة إن المرأة الأخرى كانت كالكاميليا. وهذا الوصف لا يخرج
إلا من قم كاتب لا من قم نكولينا التي تعجز عن التفكير فيه وحدها.

— أو —

صرخت إلفي عندما أطلق عليها ذراعان قويان.

— لقد أهملتني في السنة الأخيرة يا عزيزي، وهما أنا هنا لاشتكي.

تدرب الممرضة على عدم الاستسلام للفرع ولكنها تدفع بأفكار جنونية
مثل التي الآن التي حاولت جاهدة لتخلص من عناقته مع أنها كانت حبذته
لوحصل قبل ساعة. وشعرت بفتور بارد وهو يلمسها وبينما كانت الشمس
مشرقة في كبد السماء كانت غيوم الشك تلبد عوارها.
- انا تعب. ارجوك ان تتركني.

لم يتوان لحظة في الابتعاد عنها وهو يقول:
- لقد أزعجتك الايام القليلة الماضية وافسدت علينا شهر العسل.
انا أسف لذلك خاصة اني تسلمت فتوى برقية من روما تدعوني للرجوع الى
هناك للتشاور مع منتج فيلم والخصم، منرحل غداً.
لوجئت بهذا الخير ولكنها صحت باثثة. ليتها تغير ان تسأله اذا كان
الطفل نيكولا ابنه. ولكن حبها له لا يسمح لها بتوجيه سؤال كهذا.
وعوضاً عن ذلك قالت وهي تشعر بالفرح بقرب ابتعادها عن الجزيرة:
- اذن لنتوجه الى الفيلا حالاً ونوضب ثيابنا.
- دلفينا مستقروم بالتوضيب، اما انا فقد حجزت مكانين في طائرة مستقلح
بأكرأ.

اومات برأسها ولكنها رأت نظرة غريبة في عينيها وهو يقول:
- استمتعتنا بوقتاً هنا وسنكمل شهر العسل في روما. ولن اكون كثير
الانشغال هناك الا ان هذا الفيلم يهمني كثيراً واحب ان اتابعه عن كثب.
انك تعرفين ان اقامتنا هي روما في الأخير. وصحيح ان الجزيرة جذابة غير
انها تجلب لي ذكريات تعتم شمسي. واتيت بك الى هنا لتعادي على طوق
الحياة معي في بيئة تختلف عن بيئة المجتمع هناك. اما الآن وقد أصبحت
تعرفيني فستكونين اكثر استرخاء في روما.

- هل انهم من كلامك يا روداري اني لن اتركك حماقات ولن احمز
وجلا عندما ينظر اليها الناس ويتساءلون كيف تزوجت من فارة خجولة
وغير متممة كسواء مجتمعت؟

- يا طفلي العزيزة، لست فارة. فيعد ان يهتم بلباسك مصمم الازياء
ويشعرك المزين المختص سدهلين الناس بطرقك المحشمة. وتأكدني من
ان اصدقائي لن يشفقوا عليّ لهذا الزواج.

- اذا كان مرادك ان تغير في بعض الاشياء، لماذا تزوجتي اذن؟

خرجت هذه الكلمات من فمها بصورة غصية. لماذا لم يتركها وشأنها
تهتم بمهمة التعريض بدل ان يلاحقها؟ الانها ليست من عليه القوم ولا
تذكره بالمرأة التي احبها؟

- بالتأكيد تعرفين الآن لماذا تزوجتك.

- كلا يا روداري.

رفع احد حاجبيه ونظر اليها نظرة جلبت اللون الى وجهها:
- التقينا صدفة ومنذ الوهلة الاولى وجدت فيك شيئاً غير واضح اسرني
واردت ان اتكهن منه. وجدتك تختلفين عن الفتيات الاخريات اللواتي
عرفتهن في حياتي.

- ما تقوله صيغة مبذلة والكاتب ماهرون في استعمال مثل هذه
العبارات.

- انك تتخمين طريقاً لمعرفة حقيقة قد تؤلم.

- حاول يا روداري. سنجعلي اكثر تحملاً عما نتصور.

التفت العيتان بالعينين وشعرت ان خليطاً من الاحساسات يمزق قلبها.
هل هو موقف ضعيف ام موقف معرفتها ان شيئاً في العالم لا يستطيع قتل
حبها لهذا الرجل الغريب عن طبيعتها في كل شيء؟ لا مع انه طالب بحبها له
ومنح حبه لغيرها. هل اكتشف انها تعرف ذلك من عينيها الرماديتين؟ همز
كفبه وقال على ميل الحديث:

- مثل شرقي يقول: ضوء السراج افضل من النعش في الظلام.

ها قد طلبت معرفة الحقيقة وقيلتها، فقلبه مشتعل بأخري، اما هي
فستبرحياته بسراج فقط. . . ولكن في الظلام الدامس، لقد عاش قلبه في
الظلام أيام كان في الفندق في جبال الالب ويضيض من النور بكففي لان
يعرف الانسان طريقه. اراد روداري ان يبدله شخص ما على طريق بيته
وهو في عجلة من امره ليعتد عن الجزيرة ويعود الى روما. . . وتعرف التي
السبب المؤلم لهذا القرار بعدما اكدها انها سيمكثان هنا عدة شهرين، وما
هو فجة يني شهر العسل وياخذها من الجزيرة بسرعة لا تخلو من
الشكوك.

وضع ذراعه حول خصرها وابتعد بها عن المقهى كأنه يقصد ذلك. لم
تنظر الى الوراء ولكنها لا تشك في ان تكولينا تراقبها وهما يتعدان. كان

الوقت متأخراً وأحضت الشمس نعيم وتلوذت الأجواء بألوانها الأرجوانية
والذهبية. وبدأ الهواء يشتد حرارة ورطوبة وميله البحرية تنعكس فعانها
المعدني المزوج بانعكاسات شعاع الشمس في مظهرها.

توقف روداري عند قمة التل وأتملا مغيب الشمس وانصتا الى قرع
الاجراس. حاولت الا تنظر اليه ولكنها لم تصمد. رأت في عينه وهج
السياء وتميزت ملامحه كملامح التمثال المنحوت.

- نظرة الى السياء تدلنا على ان الجو ماطر... وربما عاصف.

العاصفة، اذا انت، تكون في محلها هذه الليلة. وقع البرق وهي ترتدي
فساتينها لآخر عشاء يتناولونه في الفيلا. اجفنت وشعب لونها كلون النسخ
وهي في فستان حرير شفاف موشح بالفضة. ورفعت ذراعها لتمسك
مسحة المزلو خوفاً من سقوطها عن عتقها... هل تستعيد ثقتها في
روداري وايامها به واماها فيه؟ برقت السياء مرة اخرى وسمعت قطرات
المطر على اوراق النباتات في شرفتها. وتحوّلت وحيرة الخوالى برد فارس،
ام هو يريد قلبها الذي جعلها ترقيق؟ اخرجت ذئلاً من الحقيبة التي كانت
قد وضعتها خلفها. كانت المسترلة نفسها قبل زواجها لتلبس في سهرات
تكون فيها خارج الوظيفة وابست وتدلّت شراريتها حول خصرها وبانت
السبحه من تحت ثديها بلول يوم لها في الفيلا عندما التقت من نومها
وفتحت عينها على شمس سطع نورها على السرير العريض ووجدت
عنها وحدها... بلا عروسها الذي يحب ان يسبح في بحيرة صباه
المتكونة بالاشباح. وعندما سمته يفتح الباب اغضبت عيناها وانظارت
بالنوم. اخرب منها ووضع يده الباردة على عتقها وفطنت الى سهولة قتل اي
امرأة بهذه الطريقة. ولما علمت انها ما زالت غافلة وضع السبحه التي كانت
قد مضطت على الصخور حول عتقها واحسّت ببرودتها وبحبيبات الرمل
المنصقة بحياتها. ثم تركها بعد ان مر يده على شعرها.

نرت هذه الذكرى في ذهنها وتسامحت عما كان يفكر فيه ذاك الصباح.
هل وجدها اكثر جمالاً من امرأة اخرى قارنها بها؟ وهل اشتهى والاسى في
قلبه ان تشركه العيش في وحدة وجمال الفيلا؟

وجدت في نفسها تنزل السلم وهي بعد غارقة في افكارها وراحت
نفسها في مرآة مقابلة تغطي تقريباً معظم واجهة الحداد. بدا لها ان المرأة

تستدرجها نحوها وتعكس صورتها من شعرها الكستاني الذهبي الى كعب
حداثتها، وتغطيها مظهرها اغريقياً، وكأنها تأكدت من لون عينيها الرماديتين
لاول مرة فحذقت فيها كمن يتدق في عيني امرأة غريبة وراحت ان للغريبة
جمالاً غلاباً.

ورأت ظلاً في المرأة زوامعاً. كان هذا روداري لايساً طفلاً ذاكن اللون
وربطة عنق من الحرير.

ظلاً مكلفاً معاً مبدع طويلاً في المرأة ولكنها انفصلاً عندما استدارت
والفتت اليه.

- قتلين رائعة. ولكن هل انت حزينة لان هذه ليكننا الاخيرة في الفيلا؟
- انه مكان مغر حقا.

ولم تستطع اضافة كلمة عن منب كآبتها.

- ولن تكون لنا في وقت قريب، فقد اتفقت قراراً بضد الفيلا
فورثوانيو. اذا يحتاج اهل الجزيرة الى بيت للاستجمام حيث يسريح
المسنون ويتلقون العناية اللازمة. لا تأتي جدي الى هنا ابداً وهلين مشغولة
في روما باصاها الاجتماعية منذ ان قتل زوجها الشاب واستخرج الفيلا غداً
من ملكيتها. لذا فلت جميع شريكات لقلبها الى السلطات المحلية
وسيزمن المال الكافي لادارتها ودفع رواتب المستخدمين.

- روداري... ما اروع العمل الذي تقوم به.

ولاول مرة احسّت بشوق لتطوقه بذراعيها وتقبل وجهه السمر.

- لنسمّ ذلك هدية للمعرضة الشابة التي تزوجتها.

- هذا كرم عظيم منك.

تكلّمت بصوت فيه شيء من البحة ودمعة في عينيها. اياً كانت ذواقه
في التصرف بالفيلا فان ما قام به كان عملاً مشرفاً وجديراً بالذكرى.
تكون عشاقهما من طير السمانى الشوي ومن فاكهة الدراق المنطوفة
راساً من الحديقة. ولم يزعمجها البرق بعدما اسفلت سائر المخيل الثقيلة.

- اني استغرب هبوب العاصفة هذا المساء.

كان روداري يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً بتحركة خفيفة كحركة عز
يبحث عن فريسة بضطادها، بينما كانت في جالسة في كرسي مجوف تألق
جمالاً بحجر النافوت على صدرها وبحجر اخري في اصبع يدها اليسرى. ولم

بزمع عدوه ما الا قصف الرعد فوق ابراج الفيلا ونظرات زوجها التي كانت تحاول ان تتجنبها كلها ركز عينيه عليها. وكفي تفعل ذلك حاولت الظنن بالنظر الى المصاييح المعلقة او الى وجه بار الخطب في الوقت وعادت تشعر بالوحدة كما شعرت في ليلة زفافها الاولى.

- خرافة في عائلتنا تقول انه عندما ترصد مشكلات ما واحد افرادها
بب العاصفة

انكأ ووداري على حجر الرخام الاسود الذي يشبه لونه عينيه وتابع بقوله:

- تولاى حاجس طيلة النهار ويبدو لي انه اخذ يتخشم هذا المساء...
واراء بحوم بينا. بدأت اشعر بالندم لاني اتيت بك الى هنا. كان في امكاننا
ايجاد مكان آخر نكون فيه وحيداً.

- لماذا نكرة الجزيرة؟

ربما تسرعت في المقام السؤال اذ حدق فيها قبل ان يجيب:

- نلتقي دائماً بوجوه وامكن تغتبا ونحفظ بنا ضد رغباتنا... تماماً كما
احتفظ بك يا عزيزتي.

لمست حديثاً عنها مصفوها عما قاله من وهي منه ولا حطت شعبه
مخرجان عن استسلمة لا هي بالخلوة ولا هي بالقاسية ولا تستطيع تقبيلها
كما تحب من تحبته هو. وفي تلك اللحظة بالذات ارعدت السماء بشدة
اضر معها سطح الفيلا. كانت العاصفة تطوقها وحدها... مع كل ما
بينها من تقارب وتباعد وعموض. وفجأة رمن بسيكارة في النار وقال:
- بخال لي اننا مسلم مبكرين يا الهي.

قال ذلك مقصداً وبرقت عينها تسوقاً لا عندما تطلعت في وجهه الذي
ولهم ما يخفي من اسرار ما زال يدفع قلبها الى التسارع في عطفاته
ومهمت ما يحيى بحاجبيه الاسودين المسجمين مع تصميم عينه وشكل
انفه الروماني وعزم شعبه.

- اصعدني الى غرفتك وساقص الحاجز المشيك امام المدفأة وساطفئ
الانوار.

تركته بدون ان تبس بكلمة واحدة واتخذت تصعد السلم راكضة،
وعند منتصفه انزلت دثارها عن كتفها وسقط على السلم. لم تلتفت بل

تابعت جريماً حتى دخلت غرفة نومها. اغلقت الباب بعنف واتخذت تنظر
الى المفتاح في قفل الباب. لا ترغب مطلقاً في ان يسلمها هذه الليلة فلم تعد
تستطيع عمله بعدما قرأت الرسالة في غرفة نوم نكولينا. وبحركة ثانية
مدت يدها الى المفتاح وادارته بكل ساطة ولكن بتخوف ثم اسرعت
وافلقت الباب المؤدي الى غرفته الخاصة وبذلك تكون قد سدت في وجهه
المتقدين الى غرفتها، ويوجد ديوان في غرفته يمكنه ان ينام عليه وحده محروماً
من قرب الزوجة التي لا يحبها!

سارت ايمي كالشبح لحمر سرير العرس - كما تسميه دائماً - هذا السرير
الحشوي المحفور ذي السناثر والاعطية الزرقاء. نظرت اليه وقالت في
خسها:

- مستهزئ دموعي غزيرة لو يكتف.

وفيما كان وميض البرق يضيء الغرفة رأت مقيض الباب يدور يساراً ثم
يميناً. ورافق ذلك قصف الرعد ثم تبعه سكوت وصوت زوجها يصحك.
فلو اقتحم الباب شخصها صدمة كبيرة.

انه لا يحبها ولما من السهل عليه ان يدبر ظهره لها ويضحك منها.
ولكنها دعرت عندما رأت باب الشرفة يفتح على مصراعيه ورووداري واقفاً
فيه يضيء شبحه وميض البرق كلما لمع. كان شعره مبللاً ووجهه مقشراً
بالقسوة الظاهرة.

- لا تعرفين هذا البيت بعد. توجد تحت غرفتك شجرة باغوليا عالية
نصل حتى شرفك. قد لا اكون روميو لكني استطيع ان اتسلقها.
- انا... انا لا اريدك هنا (قالت شاهقة من الخوف) الا يمكنك ان
تتركني وشائي؟

- لو طلبت مني ذلك يا عزيزتي، اولو افهمتي بانك تشعرين بالنعب
بعد الاعتناء بنكولينا لكنت قدوت ذلك، اما ان توصدي الابواب لي
وجهي فهذا شيء لا اتساهل فيه.

- لن اتعملك!

عيس ولم يترك لها المجال لتغلب منه اذ اسرع نحوها وامسكها بقوة وشد
شعرها قائمض رأسه بكثفة.

- لماذا هربت مني؟ ماذا عملت لك حتى تسلكي هكذا؟

kwakeb

٤ - راقصة في الحديقة ... وغراب

ظلت اني صائمة معظم الرحلة حتى المطار وفي سيارة التاكسي الى ان وصلا البيت . وكل ما كانت تعمله هو التطلع بعينين واسعتين الى كل شيء . بينما كان فكرها مشغولاً بواقع حياتها في روما حيث ستكون وجهها حديقاً بين الناس . طرية خديم .

هل ستاح لها الفرصة لتعرف الى الرجل الذي تزوجته معرفة تامة ؟ وهل تكفيها من تلك الفرصة وتخرج في نسيان سر غمض تركته وراءها هي الجزيرة ؟ هل ما تستطيع عمله الآن ان تنتظر أملة أن يكلمها ذات يوم فيرر شكوكها أو يبعدها .

في هذا الوقت وصلا الى روما التي يجتازها هو النهر الضخم . . . العارف بالأمور وكاشفها . كانت الشمس تسطع بلعابها اللطيف على شوارعها الضيقة وعلى قمر يد مقوفها ، وبيوت عصر النهضة وعلم جمالها تبدو بالية بجانب المباني العصرية المتعددة الشقق وترى قصوراً قديمة تنوسطها روافد يلعب فيها الأولاد ويتراكمون وينصارعون تحت حبال الفصيل . قامت الشوارع تجمّع بالبراجات المارية المخفضة المرفوعة بالسكوتر وبالسيارات الصغيرة . وبالرغم من ضوضاء الحياة العصرية يشهر المرء بوجود حالة من الرومانسية .

هذه روما اللال السبعة بروجها وثقواها وعشقها اللاتيني . اجتازا وسط روما بجبلته وصنخيه ودخلا منطقة سكنية أكثر هدوءاً ، حيث توقفا عند بوابة مقنطرة لمدخل حديقة ، حيث تشرق الشمس على تمثال ابنه مذهب . وحيث الظل والنور يخططان وأوراق الشجر وأزهارها ترتفع .

- اريدت ان اكون وحدتي .

- في آخر ليلة لنا على الجزيرة ؟ (ابتسم قليلاً ثم اردف) هل التزججت لاني اجبرتك ابتداءهيا الى روما ؟ هل تقبلين اني افضل عملي على زوجتي ؟ - انا فقط متعبة .

حاولت ان تدبر رأسيها فكان ان اصبح خديها ملتصقاً بقلبي . زوجته . . . منك . ياخذها حين يشاء . وليس يقول :

- يا حلوتي الحنفاء . هل انت اقل الزعاجاً مني الآن ؟ ام انت متزعجة من نفسك لانك نسيت ان تقفلي باب الشرفة ؟

ثم حملها كأنها كرة صغيرة ومشي بها نحو السرير . كانت عيناه تشعان في ضوء الصباح وقد شطرتتا عليها وفقدت كل مقاومة بين ذراعيه رغم محاولتها ان تملطص منه .

- روماني لا . . . روماني .

- ضمعي على شيء ما يا عزيزي .

مر بأصابعه على شرايين عنقها وانصرفت .

تسبون بطاير فستا بعد الوقت اللواتي يفس على حوض السمكة لداثة .

وبعد ان نظر في عينيها الرماديتين مملهاً قال :

- هل معامليتي لك سيئة الى هذا الحد ؟

كانت تحت رجمته ولما انشغل بفك رباطه عنقه انسلت من السرير بسرعة وحزت نحو الباب ناسية انها هي التي اقلته . ضحك عندما استدارت وسخر منها عندما حملها وقذف بها على السرير دراسة هذه المرة .

والخيراً نامت وراة حلماً يشبه الكابوسي . كان اعل الصبحرة يهاو وصمعت فتاة تصرخ وتنادي اسماً لم تفهمه . . . كان حلماً قلقها كثيراً واتعب جسمها .

- ابقي هادئة . . . لا تتحركي .

اتخذت يداه تترتان شعرها المنسدل . ادارت هاتان اليدين الوسادة وارتاحت اني لرجولة البرجة الاخر للوسادة وشبهتها بمعاملة لطيفة بعد لطمة . بكت وبللت الدمعة شفقتها . وفي ليبتها الاخرة على الجزيرة شعرت باليأس والحزن من لذة الحب .

التاريخ هنا صارخ في الحجارة ، وعندما تزلجت إلقي من السيارة رأت أن
القصر مبني على قمة تل وتحتة يقع ميدان المدرج الروماني ، وتري عن بعد
سطوح البيوت المسقوفة بالزجاج من النحاس .

أتى روداري إلى جانبها وأسكنها من مرفقها وقال هامساً :
- أه ، روماً ، لا يكفيها العمر كله . . .

روت عليه بأشمانة خفيفة وأخفت توتر اعصابها بالتظاهر بالهدوء .
دخلت ذلك الجزء من القصر حيث توجد شقته واستعملا مصعداً كهربائياً .
تكون شقته من الطابق العلوي برمت وكل غرفة فيها جددت بالطابع
العصري . فتح لها باب الشقة رجل قصير القامة وشيق ذو شارين دقيقين
وعينين لطيفتين يدعى املكار . قال بعد أن تناول الحقائق من روداري
ومعطف القرو من إلفي :

- أهلاً بالسيورا ، أهلاً بالسيور .

أجست بقضة روداري على كتفها سائلاً إياها رأيا في بيتها الجديد .

- إن ظريف جداً وأنيق . . . هل تستطيع أن تشاهد المنظر من الشرفة ؟

- لك ما تريد من ومن تشاء لكن انظري على العنبر .

- تقول لي أنتطيع مشاهدة ذلك وأراك مسمكاً بي لئلا أفعل .

- لأن روما تشبه جميلة تتقدم في السن وتبدو أجمل في حلالها وفروها

التمعن . فهي لم تعد فتاة شابة تنهر العين بجمالها . أتى أحب روما وأريدك

أن تشاهدها وهي في نور ناعم وظل هادي . أنها كالبنديفة وفلورنسيا تحت

التجاعيد وجهها ولكن روحها لا عمر لها .

- من المستحيل تطبيق هذا القول على لندن .

- كلا ، لأن لندن كلها زوايا بيضاء روما كلها دوائر

- ألا يكف إبدأ الرجال الإيطاليون عن التكبر بالنساء ؟

- ربما عندما ينامون .

ضحكت ضحكات مقطعة ومسالمة :

- روداري . . . كم عدد النساء اللواتي عرفتهن ؟

لأول مرة تتجرا على توجيه سؤال أقرب ما يكون لأرضاء فضولها .

واختلت موقف دفاع فيما لوهاجها بأي شكل من الأشكال . لكنه مر

بأطراف أصابعه على جسمها حتى خصرها وأجست بنار تكبرها ثم تركها .

- قلما يوجد رجل وصل إلى عمري هذا ولم يغم علاقات مع النساء .
تأسيهن وتذكري فقط إلى تزويجك .

صغقت بجوابه الوقح . ولكنها أضافت :

- ولكن لماذا ؟

- لماذا نصربن قد يغريني الحاحك هذا على الأجابة في هذه اللحظة

بالذات وقل أن تشرب القهوة . . . شكراً يا املكار . نعم ، أترك

الصينية هناك والسيدة مستهيم بي .

عسى وهو يتكلم وخلعت إلفي قفازها الطويلين وحاولت التقلب على

وجدها . قالت :

- شكراً يا املكار . يبدو هذا الإسكوت لذيذاً .

لمعني لها واتسحب وأغلق الباب . أنها حديثاً الزواج ويفضلان البقاء

وحدهما . جلسا يشربا القهوة وسحبت إلفي رجلها من حذاءها بدون أن تلمسه

بشر بذلك . صحيح أن هذا النوع من الأحذية يلائم ثوبها لكنها تفضل عليه

استعمال الأحذية التي تلبسها في عملها التمريض . رأت نظرة روداري إلى ساقيها

وصعير . وتوجست خيفة من رغبة هذا الأسير الروماني فيها وهو يمالئها برشف

القهوة فقد روت هذا الرجل الذي غلبت على الزواج منه غطرسة روما القديمة

عندما كان الغزاة الشباب يعتبرون المرأة حقاً من حقوقهم . فقد طالعت تاريخ روما

وعرفت منه أن القتلة التي يتخذها القائد تقع في حبه في نهاية الأمر . . . هذا هو

الضفء الأثوي

- أتى أسأله . . . ماذا تتوقعين مني ؟

اشعل سبيكاراً بعد القهوة وأخذ يدرسها من خلال الدخان . ثم قال :

- هل أنت فائرة تبحثين عن الورد والكاس الخرافية ؟

- لست سوى فتاة واقعية تزوجت من روماني وأعرف ذلك . وبعد هذه

الأيام معك يا روداري ، أصبحت أعني واقع الحياة أكثر من ذي قبل ،

وأرى أن الأوهام تنمو وتزهر .

- هذه ملاحظة قيمة تأتي من عروس شابة . كنت أسأله كيف يكون

الامر إذا امتلكت امرأة امتلاكاً كاملاً وكبرمت كل وجودي لها . هل يفقد

كل شيء قيمته ، عداي ، بالنسبة إليها ، لا نظراتها ولا ملابسها أو بيتها

ولا حتى طفلها

- أنت روماني رجعي .

- يجب أن أكون كذلك . عندما غزت الفيالق الرومانية بريطانيا منذ قرون مضت رأيتك هناك . رأيتك واقفة بين السبل الذهبية وكان شعرك باللون نفسه وعندما امتلكتك .

- بكلامك هذا تريد أن تقول أني لم أنج منك حينذاك وما حصل عندك عند فحصل ثانية ؟ وأنه حتى إذا هربت منك في الفندق ستلحق بي ؟ طبعاً . هربت مني بين السبل العالية ولكنني أمسكت بك .

أصابها رعشة خفيفة لأنها تلقت حقيقة في نفسها : أنه في حياة غير هذه الحياة رأته هذا الوجه من قبل وأحبته بلسانه وفكر لها أن تحبه . وانخفضت رموش عينيها لتجنب نظراته السليطة بقدر استطاع . أنها امرأة ولا تمتلك نفسها من تقاضي سيطرته عليها . ومع ذلك قالت تشعر بحاجة ماسة إلى قليل من العطف والحنان وليس فقط إلى تلك الأشياء وشقرة جلدتها وشعرها . ومعته في هذه كتمته في حراقة قطعتها من الشجرة . وقبلاً يتخلص من بقايا الذراقة هكذا يلقي بها جاثياً عندما يظن . عليه .

- آه ، أني أسروا جداً بوجودي في روما مرة أخرى .

مد سابقه الطويلتين وأجال نظره في السماء العرقة ، وتساءل الدخان من بين شفثيه . وتنهت اعصاب التي عليها سرت أصابعه من بعضها أقل طول ذواعها حتى عنفها . عندئذ قادها وألقاها بجانبه وراحت شعلة النار الثقيلة من خلال رموشه . وفجأة حجب كنفاه العرقة عنها وتالت من ضغطه عليها . وحاولت تعزيزتها أن تقاوم رغم تحول جسمها لكن عظامها ذابت وقلبها فتر من مكانه .

- أنك وشي أقيم .

- لأنني أعانقك يا أني ؟

- لأنك تعاملني كعبدة .

- اعاملك كأميرة وكقوي صعيدة بذلك . من الرجال من يتزوجون ثم يفقدون الأثارة .

- أنك لا تهتم بي كأنسان .

- هذا هراء . أحب فيك لطفك وفراحتك . . . أنك بريطانية صميعة . أحب

طريقتك في الاستماع إلى الموسيقى خاصة وأنت متخفية برأسك الأشقر وأنت تعلمين بعينيك الرماديتين . وأحب فيك أنثيتك الصغيرتين .

- لا . . . يا روداري . . . لا . . .

- متبكين إذا توقفت يوماً عن هذا الحب .

ويسهولة كثيرى وقتها وأخرج بها من غرفة الصالون الصغير وتوجه إلى غرفة نومها .

- سأغيباً عن البيت مدة ساعة . خذي مطلق حريتك وتذكرني أن هذا

هو بيتك حيث يروق لك أن تفعل ما تشائين . أرفضي حافية وتسمعي إلى الموسيقى وكل المعكرونة .

أزاحت شعرها عن عينيها وسألته :

- هل لي أن أعرف ساعة عودتك إلى البيت ؟

أعاد ربطه عنقه إلى مكانها وقال :

- عند موعد العشاء . فقد وعدت لانشياني بأن اجتمع به لتكلم في

أمور تخص بعض الأشغال . في تلك الأثناء تعرفني على من في القصر ،

ومتجدين في الطابق السفلي بأرونة حفاء لذيدة ولدينا أيضاً راقصة باليه

كانت ترقص أيام فياضرة روسيا . متلصقين بها في الحداق وأنا متأكد من

أنك ستحبها .

- ومعنى ما تعرف عن عاداتك ؟

حذق فيها ونجاة مالت نظره إلى المظهر الجدي :

- سترونا حلين عما قريب . أما الكونتيسة فمن الأفضل أن تكون

المقابلة معها رسمية نوعاً ما . طبعاً ستقيم حفلة عشاء وستدعونا إليها .

- لماذا هذه المقابلات المعتدة ؟ ألا نستطيع أن نقدمي إليها فقط ؟

- هذا ممكن ، لكنني لست على علاقات طيبة معها لأنني قلدت أقوم بشيء

يجبها . وأنت بصورة خاصة سوف لا تعجبنيها أكثر من كل ما فعلته .

ولذلك أرى من الأفضل أن تواجهيها في حضرة غيرنا من الناس فيجبرها

ذلك على اتجاك منك اجتماعي لأنني .

- أنت تحبني يا روداري .

- نعم . أنا أخيفك في كل ما يتعلق بك . لم أقل أبداً أنه من السهل

تفهمي أو تفهم عائلتي . نحن مترفعون . متفطرون . واقطاعيون

واعتبري حياتك هنا نعمة لأنك لن تعيشي كما عاشت سابقتاً تحت سقف

واحد مع جيلتي .

- يبدو ان جدتك مرعبة . هل يتحتم علي مقابلتها ؟
- نعم .

أخذ ينظر اليها وهو واقف وجعلها قوامه تشر بضغف ومداخلة . ليست
سجينة عنده وفي إمكانها رفض مواجهة المرأة التي أشقت حياة امه ، ولكن نظرية
خسيرة اني ذقتني كنها تصميم وعزم انقضت من قوة ارادتها . انه تروجها تحدياً
وينوي الاستمتاع بسخط جدته لدى تقديم عروسه لها .

سجدتها عروساً بعكس ما غتته لحفيدتها : نحيلة ، شقراء ، بلا القاب
ومن مجتمع آخر . ممرضة شابة ليس عندها غير الحب تقدمه له .
انجني فوقها وأمال ذقنها . ثم ضحك وقال :

- قد لا اكون فارساً مغواراً يا عزيزتي ، لكني ساكون الى جانبك لاصحيك
من الاثنين . تعرف جدي انها تخيف كل انسان ما عداي .
- لا انصور أن هناك شيئاً يخيفك .

تفحصت إلفي وجهه بكل تفاصيله ورأت انه لم يكن كثير الوسامة
بسبب انه الروماني والنحيفة في أسفل ذقنه لكنها تفضله كذلك ، اذ تزيد
هذه الملامح طابع وجهه قوة . وحاولت أن تقع نفسها بأنه ليس من النوع
الغاوي . وثبت قلبها له كما يشك كذا نصمت فيه واجهة رفعت يديها
وجذبت وجهه اليها .

- انت فتاة غريبة يا إلفي ولا تعرفين انها طريقك البسيطة الجذابة هي
التي دفعتني الى التعلق بك . انا لا استحقك ومع ذلك احتفظ بحقي لأن
تكوني لي .

- عروس ابليس ؟

نصمت على تسرعها في قول ذلك . فقد ضحط بقبضته ثم تركها لكنه
ألفها .

- نعم . فما لا شك فيه ان الناس سيعتقدون ذلك عندما يرونك .
سأعود عند المساء . الى اللقاء يا ملائكي الصغير .

تركها وحدها وأغلق الباب بعناية فائقة عندما خرج كأنه يريد أن يؤمن
على سجينته . استلقت على السرير وأخذت تلامس خاتم الزمرد الذي
تلصق منه نازلورثونباتر وسحره . عروس ابليس . لقد بصح هذا في أكثر من
ناحية واحدة والزمن فقط سيرهن على مدى صحة ذلك .

نهضت وذهبت الى طاولة الزينة ورأت ان املاكوا افراغ حقيبتها ورتب
كل شيء امام المرأة ، امشاطها وفراشيتها وصناديق صغيرة مرصعة
والصندوق الموسيقي اللذي اشترته في الألب . رفعت غطاءه وتنصت الى
موسيقاه العذبة وهي تشرح شعرها . ونصفي هذه الموسيقى سحراً على
سحر الأيام الأولى منذ ان تعرفت على روداري الذي وجدته فوق مرتفعات
الجبال أروع من أي رجل آخر .

جدلت شعرها بشكل ذيل حصان صغير وارتدت ثوباً صيفياً ألوانه من
زرق البحر والرماد والصوبر . كان ثوبها بلا أكمام ولا حظت كدبة صغيرة
في ذراعها تحت الكتف فارتعشت . ماذا سيحدث لو انضطرت ان تسأله
يوماً عن حقيقة نكولنا ؟ روداري قوي وكفيرة من الرجال الأشداء لا
يدري انه يؤلمها بقبضة يده وهذا ما يجعلها تتوقع أي شيء منه .

اجتمعت عن المرأة وتحولت في انجلى غرفة نومها والحمام المجاور . كل شيء
يراق وعصري وكم كان سرورها كبيراً عندما اتت الى غددع صغير مستلير له شرفة
زجاجية وفيه اثاث من الخيزران والنوع الثبات الأخضر . ورات كتاباً صغيراً على
طاولة بين النيات مجلدات بجلد احمر . انه كتاب اشعار بالاطالية ويقلب نابض
فجته ليري ما اذا كان هناك اسم مانون في داخله . وجدت اسماً تحت صورة
عصفورين ملتصقين ، رمز العشاق للذهنين .

- كاميللا .

ما كادت تلفظ هذا الاسم حتى أحسست بسيم عليل ينهامس في
الحديقة . اسم حلو كالعطر ، كأوراق الكاميليا عند الغسق . كاميللا .
هذا اسم المرأة التي احبها روداري . حتى كانت في هذا المنزل كي كانت في
الجزيرة ورحلت ناركة وواها تذكره لا بد لأمرأة أخرى من ان تراها .
اطبقت إلفي الكتاب بسرعة كمن ينظر داخل غرفة محرمة وأعادته ثمأ كما
كان على الطاولة . لا تشك في أن روداري غالباً ما يطالع في هذا الكتاب
ويطيل النظر في العصفورين المذهيين اللذين لم يعودا ملتصقين الآن .
تهللت وبعثت عن مخزج من الشرفة فوجدت سلباً حديدياً
يؤدي الى الحديقة ويدون أن تبالي بأي خطر هرولت بسرعة ووجدت
نفسها في مبنى وسط فناء حديقة والمبنى من الآجر به بعض الأزهار ،
وحول الحديقة سور مع برج في كل زاوية منه كأن

المكان غزل لتسهيل مراقبته . اعتقدت بأنها كانت وحدها في المكان عندما فوجئت بامرأة صغيرة الجسم تبحث بعضا عن شيء بين الشجيرات .
- آه من هذا الطير اللعين . سيأتي يوم أحطم فيه رأسه !
- هل من مساعدة ؟

عرضت إلفي المساعدة من قبل الفضول ولغت نظرها لباح المرأة الغريب المؤلف من معطف فضفاض مثبت بسلسلة ، وعمل رأسها قبعة سوداء كانت فيها عصى أكثر رونقا بكثير . التفتت جالسا لثرى من التكلم معها وبدأت بتحويل العاج إلا أن عينيها السوداوين فيها دلائل الضجوع والحكمة . وظهرت عصل شعر أبيض من تحت القبعة وفاح عنها مزاج ظريف ساحر ملأ خيال إلفي بشئ التصورات .

- عندي غراب . ويظن هذا اللعين أن يسرق القليل الذي تبقى لي من كنوزي . فإنه يفتح الصندوق بمنقاره ، وهو يتعلق بصورة خاصة بقلادتي وسلسلتي . وما أنا أبحت عنه كما قرين وستكون مصيبي كبيرة إذا لم أعمل عليه . المصيبة مصيبة قلب ، اتفهمن ؟

تكلمت المرأة الصغيرة الجسم بالانكليزية وكانت لغتها طريقة إلا أن اللبنة ليست إيطالية . وحذفت في إلفي بعضا واستعملت بعضا غراب في يوم صيف حار .

- مساعذك لايجاد قلادتك . ليس من الممكن أن يكون قد طار بها إلى شجرة ما ؟

- آه طير شريز وقد يقدم على أي عمل !
- أرى في شجرة الماقتوليا هذه غبا جيدا بأغصانها المتشابكة . كنت أحب تسلق الأشجار وأنا صغيرة في واندزويرث .

تسلقت إلفي الشجرة واختفت بين أغصانها وأزهارها المترامية وأخذت تبحث عن القلادة في شقوق الشجرة وتحويها . وفجأة سمعت شيئا كرفرفة جناحين قريبا منها ولما التفتت رأت جناحين اسودين وشيئا يلعب في متقار الطير . وعندما تحوكت بسرعة نحوه أجفل منها وسقطت القلادة من منقاره . . .

- ها هي على الأرض يا طفلي .
اندفعت صاحبة القلادة لتألفها وهي تصيح كالطائر المدعور

وايتمت إلفي ورأت نفسها طفلة سعيدة وبلا هموم . كما كانت قبل موت أمها العجائبي . صحيح أنها أرادت أن تصادق امرأة ايها محاولة إرضاءها واتباع النظام الجديد . ولكن لم يبق بينهما أي نوع من الانجذاب . كانت إلفي تحب أمها كثيرا ورأت أن تترك منزل والدها في نهاية الأمر وذهبت لتعلم مهنة التمريض .

لم تندم أبدا لقرارها هذا وأصبحت امرأة ناضجة وظلت مفتحة بعملها إلى أن دخل روماري حياتها وغير نظرها اليومي . وحوله إلى نوع من تعيم غريب ومذهل .

نزلت عن الشجرة بهدوء وبسهولة ووقفت قرب هذه المرأة التي عجزت عن مزحها بوضع القلادة على خدها العجائبي المجهن فبدأ يبعث أمام خليط الجواهر البراقة .

- فقدان القلادة هو بمثابة فقدان حيائي . هذا كل ما املك ليذكرك بأيام الشباب عندما كنت فتاة جذابة وخفيفة لدرجة كنت معها بفقرة واحدة اجاز نصف المسرح على رؤوس اصابع قدمي .

- انت راقصة الباليه ؟ كلمني زوجي عنك وقال انك كنت ترقصين أيام دوسية الصغيرة .
- نعم . . . منذ سنوات طويلة .

تلقت المرأة جوقها وجلست على جدار منخفض وأشارت إلى إلفي لتجلس بالقرب منها . وضعت القلادة على قلبها وأخذت تتفحص تزيينة القصر الجديدة .

- أذن انت متزوجة . اتسمعين لي ان اعرف اسمك ؟
- أنا متزوجة من السينيور فورتوناتو .
- وهل انت سعيدة حتى الافتتان يا حلوة ؟
- طبعاً .

ولكن إلفي اعترت قليلاً لأن عيني المرأة كانتا تشعان حكمة ومعرفة وهي تدرسها عن كثب وبصراحة .

- كنا ونحن فتيات نقول ان السعادة هي من السماء كعموية الرقص أو الغناء . بعضهم تأتيهم السعادة الحقيقية والبعض الآخر تأتيهم في شكل الطمأنان . معظم الفتيات العاقلات يطلبن الاطمئنان والقناعة ويرفضن أية

فتاة متعلقة الزواج من رجل مثل فورتوناتو .
- الا تحب يا سيدتي ؟

- بل . احبه . الرجال من امثاله لطيفون جداً مع النساء بخاصة اللواتي
هن من عمري . اما بالنسبة اليك فقد يكون لنا أو شيطاناً مجسماً . انا
اعرف ذلك لاني دخلت من هذا الباب وأنا فتاة . . . انظري الى هذا .
كانت يداها العاجيتان ترتعفتان وهي تفتح علية مرسعة في القلادة . في
جهة واحدة من العلية صورة دينية صغيرة وفي الجهة الثانية صورة شاب ذي
علامع بارزة وعينين لوزيتين كبيرين الكثيرين من الشرقيين .

- كان اميراً روسيا وصاحباً في الجيش الامبراطوري . وكنت فتاة فقيرة
راقصة باليه في مسرح ماونسكي . كان يحبني وكنت احشقه ولكن متعتنا
الفوارق الطبقة من الزواج ، فخططنا للهروب الى بلد حيث لا يعا
للمجتمع هذه الأمور . ولكن هبت الثورة وقتل ايغور وهو يدافع عن امه
واشواته عندما اقتحم الفلاحون املاك والده . تركت روسيا هرباً من
الانتقام لانهم كانوا يحسبون اني كنت عبدة الامير واخذت معي هذه
القلادة التي قدمها لي عذبة ، ولم افط بها مطلقاً ، وبالرغم من ان ارهنها في
كثير من الأحيان لادفع ايجار غرفتي ولأمد رمقي ، لكن المرأة التي تتخطى
عن عذبة حبيبها هي امرأة بلا روح . ولا يوجد شيء اخر اليه عوضاً عن
القلادة . لم اوشخصاً يشبهه أو رجلاً يشبه الجنون وسب البهجة في آن معاً .
سألني اني بلطف :

- ألم تحبي غير تلك المرة ؟

- لم احب انساناً بعد ايغور . بعض الرجال . . . يتكون غرفتك كمن
ينس الملح على المائدة أو الشراب في حفلة عرس . ويشعر بالجليد من
يقع يدي في يده وستكون قبلاي منجمدة كالصقيع . كما قلت لك يا
طفلي لا يمكن أن تحب فتاة متعلقة رجلاً كثير الرجولة وذا سطوة . بينما
يمكنها أن تتلامس ورجل لطيف وعادي .

- ولكن سيقص الكثير هذه الفتاة .

- لم تنع ما قاله واخرت عندما تنبهت الى ذلك . ضحكت الراقصة
القديمة وأطبقت علية ذكرياتها وقالت :

- الانكليز ماهرون في اخفاء انفعالاتهم ، ومن الواضح انك لمحيين

رومانوي حياً كبيراً .

- اعتقد بأنك تستغربين زواجه من فتاة مثلي .

- كلا . . . نادني باسمي ، ليدنيا . كنت راقصة ولكني لم أكن صاحبة
جمال لائق . وليس صحيحاً . وربما تعرفين ذلك . ان الرجال الجذابين
يرغبون في النساء الجميلات . من صفات ايغور انه كان يعرف كيف يختار
النساء ، ولم افكر او حتى أمل في انه سيحبني الى حتى احدى الليالي عندما
خرجت من المسرح الى الثلج في الخارج ورأيت واقفاً يتخطى وفي يده
معطف اسود القوي به على كتفي . قال بأن صغر جسمي جعله يبدو عملاقاً
امامني . وجلس الى عربة الترويكافا وهي مزينة بجوها حصان واحد .
سارت بنا العربة في شوارع سانت بطرسبورغ المظلمة بالثلوج على طنطنة
أجراس الحصان . كان ذلك سحراً ، حلماً بلا نهاية . رأيت تدف الثلج
كحبات اللؤلؤ على معطف القروي . وقال بأن المعطف لي ويريدني أنه
احتفظ به . ولكن وجلي في حبه دفعني الى الجدل معه بأن فتيات الباليه
الأخريات سينهمنني بالي فتاة متعة ليس الا . فهذه ايغور ضاحكاً ،
واستلقى الى الوراء ورث ضحكاته بحيث بدا كأن الثلج في الشوارع
يتجاوب معه .

توقفت ليدنيا قليلاً وهي تنظر مبتسمة الى اني ، ثم أردفت قائلة :
- يا له من رجل منطرس وعيد ، عاطفي ، برئ الخسوع . كان
اميراً ينال العروس التي يبتغيها . . . ما عدا راقصة باليه . ولكني شعرت
بالسعادة في تلك الليلة ولمس الصقيع كل شيء بعصاه السحرية الفضية .
اخذني الى مطعم حيث تناولنا عند نصف الليل عشاء من الكافيار وغيره .
وأخط يناديني دوشكا أي عزيزته الصغيرة ، ولم استطع مقاومة سحره
الحديث ، ولكن كان علي أن اقاومه لان سعادتنا لم يكن مقترناً أن تدوم .
وتفجرت الثورة في جميع انحاء البلاد كما انتشر التهامي عما قد يحدث لمن
يجري في عروقه دم القياصرة . كنت احب ايغور حياً جنونياً وفي رقص
الباليه اتبعت لي فرصة الاختلاط بطبقات الفلاحين الذين كانوا يطمحون
الى احتلال مكان من ولدوا ليحكموا . وكنت اعلم ان اسم ايغور كان
موجوداً على قائمة من ثمر قتلهم . توصلت اليه بكل قواي ان يرحل من
روسيا وهو بعد في عتوانه خيراً يرزق . واخيراً خططنا للرحيل معاً . أه كل

هذا أصبح من التاريخ ، وأنا ابتدو مضجرة أمام فتاة حديثة الزواج .
- كلا .

مدت إلفي يدها ولمست يداً نحيلة ذكرتها بكل تلك السنوات التي
امضتها هذه المرأة في وحدة تامة بعدما أعطت حباً لم يبق لها شيء منه . أنه
شيء مدعنى بعد ذاته ولكن عزون أيضاً . تدوم السعادة ما دام الحب
الكبير .

- يسوف ان تعيشي هنا في القصر معنا ، هذا اذا كنت لا تبالين لو
انجرفت وراء ذكرياتي عندما نكون معاً .

ركزت العجوز على إلفي عيني سوداوين ثائفتا في الماضي البعيد
كجوهريتين في وجه فائن وهذا الوجه الذي ليس فيه جمال بقدر ما يحتفظ
بقسط من الجاذبية يلفت الأنظار .

- ما زلت تتساءلين كيف حصل لك ذلك ، أي كيف تزوجت من رجل
غرف الحياة وله جاذبية خطيرة . الحقيقة يا بنية ، فأنك الألوان لأن تنعقل أو
تدعي . اقبل وأعطك وهو ان زوجك من النوع الخارج عن المألوف . تقبل
العاصفة والدموع ، ويستحيل على امرأة تحبها اذا اختارت أن تحب
شيطاناً حبلاً . ولولا الرجال مسكن يقع بين الأرض والسماء ويذيقون
طعم كل منها للمرأة التي يقع عليها اختيار حبيهم .

لم تستطع إلفي أن تنظر الى العجوز لأنها ليست اكيدة من أن حب
روداري لها هو كحب الأمير لليديا . ونساءت لو التفت الراقصة القديمة
بكاميليا في القصر ولكنها لم تجسر على سؤالها ، فليس للناس أن يعرفوا كم
هي غير اكيدة من هذا الرومان الأسير الذي اتخذها زوجة له . ليديا لطيفة
ومدركة ولكن كثيرات غيرها لسن يلققها ولذا يتوجب عليها أن تتعلم
تمثيل دورها . قالت إلفي :

- اعتقد بأن خصميري يؤمني قليلاً . كنت دائماً وأنا عرضة لمشكلة
بالتيام بواجبي اما الآن فلدي أوقات فراغ كبيرة ولا ادري كيف اشغلها .

في هذه اللحظة بالذات روداري غائب عن البيت في مهمة .
- واستنكار الطيب يهتم بشفتك ، اليس كذلك ؟ اعدائي بالأيا عزيزي
والرحي كونك مدلة رجل اعمال ناجح . تعلمي مقدار حاجته اليك ليس
في الطبخ أو لحياطة الأزرار بل في مساعدتك له في خلق جو استرخاء

واسترخا في نهاية نهار مضمين ، ولا حاجة بك لأن تشعرى بأي ذنب من
جانبك .

- قد ابتدو غير واقعية يا ليديا أو امرأة لا تلائم رجلاً من نوع روداري ،
ولكني احاول ان اكون المرأة التي يريد مع العلم بأن سواي من النساء
الأكثر إثارة دخلن حياتهم .

- هل تغاوبن معهن ؟ هذا شيء طبيعي . كثيراً ما كنت أقع فريسة لغيرة
جنونية عندما كنت اواجه غيري من النساء اللواتي عرفني ايفور .

اتجه فكري إلفي الى المرأة التي لم تواجهها بعد ونحوت من امكانية حدوث
ذلك يوماً ما ، بل سيحدث ذلك ، هنا في روما ، في حفلة ما أو في مطعم
حيث يلتقيان بكاميليا ومشكون ساعة عذاب لا يطلق عندما ترى شوقه
العظيم لتلك المرأة وعندما ترى نفسها عبيرة على النظر الى جمال الكاميليا
بسرعة شعر تلائم وجهها المتكامل بشفتيه الحمرائين وبانسانامة
الرونايزا .

هكذا كوّنت إلفي صورة لتلك المرأة وعشيت انها ستبدو غير ثابته
وساذجة أمام امرأة مرنة رشيقة القوام صنعت خصيصاً لروداري وولدت
لتحبه اليافوت ولتدخل جمالاً الى اسمه والى بيته وتواجه حبه الجنسي
والعقل بكل هدوء .

- كنت عرضة اذن ؟ وهل رأك روداري في بزة العمل ؟

- نعم .

استمت إلفي وتذكرت كيف لمعت عيناها السوداوان ليزتها البيضاء
والزرقاء وكيف ركز نظره عليها بخاضة على ساعة الجيب المعلقة تماماً فوق
قلبها . وكانت هذه المرة الأولى التي تغير فيها وجهها . قد يحدث أي
شيء في مهنة التعريض ، لكن الاحراز ارتباطاً ؟

- من المؤكد ان حياة الرقص مثيرة جداً .

تجمعت خطوط التجاعيد في وجه الراقصة لنتم عن ابتسامه :

- نعم ، مثيرة . كانت الراقصات يتجهجن في الحفلات التي تكون فيها
المقصورات الملكية مشغولة . الراحلة منا تحاول جامدة أن تبرز الأخرى وأن
تنافسها لأقصى الحدود . وأحياناً كنت اسمع بعد عرضي الفريدي على
المسرح ضحكة خافتة في ظلام المسرح . وكان يجد ايفور تسلية عندما كنت

اعرض مهارتي في وقفة الأرابيسك مدة أطول من الأخريات وهي القطة التي تقف عندها الراقصة على قدم واحدة مادة أخلى ذراعها إلى الأمام وادة القدم والذراع الآخرين إلى الوراء . وكثيراً ما كان يردد على مسامحي أثناء البحث أنه سيظل يجني حتى ثورقفت مثل البطة . ولم يقطع عن سؤاله لماذا اختاري أنا من بين الأخريات لأكون فتاته عندما كانت الراقصات الأخريات في تياترو مارينسكي أكثر جمالاً بكثير . تعرفين جوابه ؟ قال أن ليس لي في العلم أحد غيره . ومعنى هذا أن أعطيت كل شيء . نعم . أنه منقطرس ، ولكن أي فتاة تستطيع أن تقاوم رجلاً يأمرها أن تكون له بكلينها ؟ لم يسمح لي أن اتني حتى قطة . قدم لي حصاناً صغيراً وعلمني ركوب الخيل . ومرة سقطت عن خشبة المسرح فحملني إلى حمام بخاري وأبقاني فيه حتى انقضى ألمي . كان يقسو أحياناً ولكنني كنت مستعدة لأمر من أجله .

وتأملت ليديا القلادة التي وضعها الأمير منذ زمن حول عنقها وقالت :
- كان يأخذني إلى كل مكان ما عدا بيته وكان هناك يوم ثار الفلاحون وهاجموا النظام القديم . ولم يكن والد رجلاً فاضلاً إلا أن الحصان حرف كل شيء . وسمعت فيما بعد أن ايشور مات جالساً بين ذراعيه جثة مائلاً فيفتته الصغيرة . لذلك كثيراً ما حدثت ناتاليا .
- لا تتكلمي هكذا . بقيت راقصة مدة سنوات طويلة وقدمت البهجة للعديد من الناس .

- صحيح . رقصت للرجال والنساء ، والآن اكتب قصصاً للأطفال . ولا أريد أن أفاخلك إذا قلت لك أن زوجك تكرم وقلمي إلى أحد الناشرين والآن يساعطني دخل لا ضلقة شيء على رأسي المتاعلي وهذا تمكن من قضاء أيامي في هذا القصر الرومانطيقي القديم . وأمل أنك ستجني العيش هنا . من هنا نطل على المدينة التي يبدو منظرها مخزياً في الليل .

- حظر عليّ روداري مشاهدة المنظر قبل الليلة الأولى .
- وهل عصيت أمره وتطلعت ؟
- كلا ، ليس لأنني أريد أن أطيع رغباته بل لأنني أحب أن أشاهد روما عند الغسق .
- أعطيني الذكرى في ذمك ؟

- ربما .

مدت إليّ يدها وضمت فيها تفتح زهر الليمون الذي ذكرها بالجزيرة .
- لا يعرف الإنسان شيئاً عن مستقبله ، وما هو واقع اليوم قد يتحول إلى حلم غداً .

- أنت خائفة من المستقبل .

- نعم ، بعض الشيء ، لم التقى بعد بشركاء روداري وأصدقائه وقد لا اتلام وجباته . أنه رجل غير عادي . لم أتوقع أن تقع عيني على مثله فاهيك عن الزواج به . أشعر بللي غير ودية تماماً .

انضمت ليديا وربت على خد القى :

- هل يظن هو كذلك ؟ جلدك جميل وعيناك ملبذتان واسعتان . أنت رشيقة ورجلة ولم يلمسك أحد غير نورتونايز الكبير ، الأسمر ، المميز . ربما يعتبر نفسه عطفولاً لامتلاك عروس مظهرها هادي . قلبها الانكليزي حار . الا تعرفين كم تعجب بالبريطانيين ؟

- هل يكفي أن تكون الزوجة هادئة الأعصاب ومتساعة ؟

- يبدو لي أنك تشكين في حب زوجك لك .

- لا يسعي إلا أن يشك .

- ربما لأنه كانت هناك أحد غيرك ؟

- لأني اعتقد بأنه تزوجني ليستقم من قاصيلا .

- آه . . . تعرفين اسمها ؟

- رأيت اسمها مكتوباً داخل كتاب في شقتنا . أنا أكيدة من أن الاسم

على المسح ومن أن جمالاً يطابق اسمها وله الروعة نفسها .

- نعم . أنها كثيرة الجمال .

ارتشعت إليّ قليلاً لا غيرة بل استسلاماً ، وقالت :

- اعرف أنها تزوجت من رجل آخر .

- طار صيت هذا الزواج وكتبت الصحف عنه المقالات المطولة ، فزواج

كونتيسة جميلة شابة من أحد أقطاب النفط الأميركيين حدث غير عادي .

سألت إليّ ليديا بلهول :

- ولكن قيل لي أنها كانت مخطوبة للرجل الآخر منذ طفولتها .

- هذا صحيح . وقد هاجر الى اميركا ليجمع ثروة ويحضر بالجنسية
الاميركية . وبعد ان اثنى عاد الى ايطاليا ليأخذ كامبلا زوجة له . واشبع
انه مصاب بمرض عضال ولكنه شفي الآن بفضل دواء جديد وهما الآن
زوجان غنيان . . . معلومات استقيها من الجرائد التي تكتب عنها الكثير .

- الكل يعرف عني . . . اصداقاً وغيرهم . . . وعلى ان اواجههم
جميعاً . وللقيام بذلك يجب ان اعمل بالشجاعة . . . انا الممرضة
الانكليزية التي تزوجها عشوائياً وتحديداً . مستغفون علي ، وقد
يحتقروني . وأشعر اني اكتمه . . . بأي حق تزوجني ؟

- اكنتم شعرت بالارتياح لو كان غليظاً لك ولم يتزوجك ؟

- ما كنت سمحت له بذلك !

- لا ؟ (ضحكك ليدبا ساخرة) هذا النوع من الرجال يمتلك موهبة
الاغواء ولو اراد روداري لورفونانو اغواءك لنجح في ذلك قبل ان تفكري
حتى في الرفض . النساء ليس كالرجال في كل ما يتعلق بالحب ، فهن
ضحايا ضعيفة لهن . والاذكياء من الرجال يتزوجن ويعرفون ذلك ، ولو
اراد روداري لامتلاكك بخاتم أو بلا خاتم .

- ان يجب ان اتم بحبيبه لانه تزوجني ؟

- اذا كنت تحبه طبعاً .

- لا . . . لا اعرف بالضبط .

ونتيجة ففرت لفي واقفة وحذفت في القصر كأنها خائفة ، اذ بدا القصر
لها كسجن بأبراجه وشرقات الشبكة وقالت :

- لا انقطع عن التمرس لحياة الماضية .

- هل توقعت ان يكون ملاكاً ؟

- لا ، هو نفسه يسكن عروس ابلي .

- هذه مزحة طبعاً ؟

- . . . اوه . . . لماذا لم يدعني وشائي لاتباع مهنة التمريض ؟ كنت

مقتنعة بعمل ولم اشته ان اعيش في قصر روماني مع رجل جذاب لا يقاوم .

- كثيرات غيرك يشتهن ان يكن في مكانك .

- كانت مهنتي مهمة ومثيرة .

- وهكذا كانت مهنتي ايضاً ، وكنت افضل ان انا من كسر في ساق علي

ان اخبر الرجل الذي اخبته ! لا يبلغ أي رجل حد الكمال خاصة في
متصف الثلاثينات وله وجه روماني جميل !
- ولكن وجهه ليس مثال الكمال .

- اوافقك . وآلان كفي عن الظهور بالحنق وافتخري بخاتم اناقوت
الذي يسلك اياه . دعني يحملك بثياب انيقة ويمانفك الليل بطوله اذا
رغب في ذلك . انه رجل أولاً وأخيراً . غشني بذلك وساحبه على بعض
طباعه الشيطانية . فكري في الاشياء التي كنت ستفقدنها لو انك تزوجت
من طبيب عادي مهووس بالقيام بواجبه فقط !

- انا مسرورة بوجود صديقة في القصر .

- تعالي الي كلما خطر علي بالك . شقي في الطابق الأرضي ، والعرف
شامع بين رقعة غراب ورقعة صبية تغيد الي حين الماضي الرومانطيقي
الذي بدونه قد اشهر بالضياح .

كادت الدمعة تظهر من عيني لفي . فهي ناكرة للجميل . روداري لها
وسعايشه في السراء والضراء . وأخذت تقول لنفسها انها لا ترغب في ان
تكون عرضة لخدعة في بلد غريب . . . لن يأنخر في العودة الي بيته الآن
وسيدخل الصالون الصغير ويدخل معه غنوائه وروحه التي تفرس حبه
رغم كل شيء .

- يحسن يا أن امرد الي شقي . مررت بمحادثتك يا مدام لينديا .

- سرلي اتعرف اليك كما كان يسري الرقص في الكليزا حيث عرض
عني مرة رجل انكليزي ظريف ان يتزوجني ، ولم او من العدل ان اكون
زوجه وقلبي وجسمي يتلفان الي عزيزي ايفور .

بدت لديها لحظة وحزينة في معطفها الواسع وهي جالسة على الجدار
المكسور بالطحلب . تحولت الشمس ارجوانية حمراء في سماء رومانيا كانت
الطيور تزقزق على الأشجار والنسيم يرتفع في الحديقة .

- طابت ليذك يا صغيرتي . الي ابتقاء .

٥ - هل بين فثاب

كانت أنوار روما تلالاً كاضواء الجحاح في ظلام الليل . ولم تنتظر
التي طويلاً لتشاهد هذا المنظر بعد تناول الطعام . فلما رأت أن روداري
لم يخرج من بيوت الحناء حلت وحدها وكملت الطعام اللذيذ الذي أعدته
املكار . خرجت إلى الشرفة في لسانها المزركشي بالفضة وتاملت روما في
أول ليلة لها . وبما أضاف على هذا المشهد رونقاً من انطلاق نبات الماغوليا
على درابزين الشرفة لكن عاصفة من الانفعالات تأججت في قلبها . إلى
يكن في مقدوره أن يفضلها في أول ليلة لها في روما على أمياله العليل ؟
هذا إذا كان حفاً مع لالشبابي منتج الأنلام القالمة على مؤلفات روداري .
ما أوحى وجودها في ليلة عادية وسط شفتها فوق المدينة التي تبيع
بالناس وتثاق بالأنوار . نصرت الناس جالسين على مطابخ المطاعم
يستمعون إلى أنغام الموسيقى الشجية وهناك تلاحق السراء وتسايرك
الأيدي

أجست إلى بنضة في حلقها . فقد وعدتها روداري بأن يرجع عند
الضيء وبها هي الساعة التاسعة وأكثر ولم يعد . نظف املكار المائدة وأعطى
الشموع وقال أنه سيعتظ بعشاء السيور ساخناً لكنه يريد أن يتناول شيئاً
من الطعام لدى عودته . لكن من المؤكد أنه لم يبق بلا طعام حتى هذه
المنطقة إذ لم يبق بوعده في العودة للعشاء . ربما هو الآن برفقة أمياله
قدماه . . . أو امرأة أخرى .

وخزنها الشكوك بشدة وذكرتها أزهار الماغوليا بوجه أبيض ووجه آخر
أسمر متلازم الواحد مع الآخر . من المحتمل أن يكون روداري مع كامبلا

الآن . هل دفعته عودته إلى روما للبحث عنها ؟ أم لم يعد يطبق الوعد عنها
برغم زواجه من امرأة أخرى لم تكذب تبدأ شهر عسلها ؟
سيلي ؟

استدارت نحو الصوت وراحت املكار واقفاً في مدخل الباب . مرتدياً
مئة الخروج وقبعتة المستديرة في يده .

هل ستكونين بخير يا سيلي إذا تركتك الآن ؟

طبعاً يا املكار وكان الطعام لليلة . . . شكرًا لك !

تعرف إلى أن والدته املكار بانتظاره ولا تحب أن تكون وحدها في
الليل

شكرًا يا سيلي . تركت لك بعض القهوة . طابت ليلتك يا سيلي .

وليلتك أنت أيضاً . تحياتي إلى والدتك .

سيلي لطيفة جداً .

نظر ملياً إلى هذه المرأة النحيلة في لسانها الأبيض الذي كان يعكس لونه
بصورة ضئيلة في ضوء النجوم . وأدرك أنها وانسحب وبعد قليل صنعت
إلى الباب يغلق خلفه . أصبحت وحيدة في روما تراقبها أفكارها فقط
واحياء بين أوراق الماغوليا . ورقة الأفكار العذبة ليست مرغوبة بما في
حسب بل هي شديدة عن كثرة قلة عندما صنعت أحسن
الساعات على إحدى التلال تطل على بحيرة عذبة ليلاً . ونمت والحديث
البحيرة الصغيرة التي كان طعام روداري عليها . فقد لا يحتاجه . . . كما
لم يكن بحاجة إلى رفقته .

ذهبت إلى غرفتها لتنام . ووضعت في منبتها صوت موسيقى في مكان ما
في القصر . أنه لحّن من أوبرا بونشيني وتلام هذا اللحن مع مزاج إلى
التي كانت تمسك شعرها أمام المرأة . كان نور الصباح يسمع بضوء أزرق
خافت في الشرفة حيث ستنام وحيدة إلى مستطاعه بالنوم لو عاد الآن
روداري .

تدلى شعرها الجميل حتى تغطيها وأدارت وجهها عن المرأة لأنها لا تحب
هذه النظرة التي في عينيها فهي تعكس شقاءها .

أخذت تمشي في أنحاء الغرفة على البساط الناعم الرمان في القصر
اللون . أما السرور فهو بشكل غير عادي وخطره من الشيعون الناعم قائم

على منصة لها عدة من التدرجات وله خاف مطرز بالنصب القصي . في
الغرفة مصباح واحد فقط يلقي ظلالاً جمة كظلال رقص الباليه . أما
دولاب ثياب إلفي فله أبواب عليها مرايا طويلة ولكنه ليس فيه الكثير من
الجهاز . ورتت في أذنيها كلمات زوجها عندما قال لها في زيارتها للشقة
لدى وصولها :

« متعللاً هذه الخزانة ثياباً من الخائط إلى الخائط اذهبى نفسك زوجتي يجب
أن تظهرى بظهور أبيض جداً ، وأريد أن يكون لك كل ما لم تتمكنى من
الحصول عليه .

وترافقت الأفكار المتضاربة في مخيلتها . أبواب من حرير وقلب مثالم .
ملابس تحمية ناعمة وشقة نخوية من وجود من هو موجود الآن مع كاميللا .
خفت صوت الموسيقى وسمعت صرير مصراع نافذة في الشقة . ولم
تغضب رائحة الورد المخمل من منظرها وكأنها فتاوت كتاباً واستلقت على
كرسي طويل لتقرأ . دلت الساعة الموجودة بجانب السرير والممتلئة إلفي
رجليها تحت ثوبها وبدأت صغيرة الحجم كالطفل وغطى شعرها جانب
وجهها المتفرق في التفكير . وعزمت على الذهاب إلى سريرها عندما تنق
الساعة ثالثة ولكنها سأل أولاً على هذا الفصل بكامله من كتاب روداري
أعله يجنيها على فهم زوجها . كانت طاعة هذا الكتاب بالانكليزية ، عندها
« الأميرة كابريريس » ، وانتهت به كلياً ولكنها لم تفهم الرجل الذي تحبه
كابريس (وكلمة كابريس الفرنسية تعني بزة أو هوى) . فبينما ترى فيه
رجلاً عاصياً ترى أيضاً أنه ضحية ولكنها تعاطفت مع كابريس عندما
صرخت هذه الأخيرة في وجه رجل حياتها قائلة :

« اني اكترلك لأنك آلتني . ليتني استطعت الخلاص منك وحتى لو
استطعت فسأترك لك قلبي حتى تستمر في تحطيمه .

رفعت إلفي رأسها عن الكتاب . نعم . هذا هو وضعها . مهما
سهرت بالحرب معه وسها أهدت ذاتها لمن ظلت معه لأنها بكل هائلة فسمت
له قلبها ليغالب به أوليخطمه . ألم يسخر من قلبها هذه الليلة متعمداً ؟
إن يجدها ساهرة تنظره إذا عاد الآن . اخفت كتابه تحت إحدى الوسائد
وذهبت إلى سريرها . خلعت ثوبها والاندست تحت الأغطية وأحست ببرود
الحرير من ذراعيها العاريين وازدادت رائحة الورد في ظلام الغرفة ، ولكني

تمام دفنت رأسها في الوسادة الحريرية الكبيرة وأغمضت عينيها وأملت أن
تغفو لكلاً لحس ينجيه عندما يعود .

كانت شبه نائمة عندما سمعت صوت مفتاح يدور في باب المدخل
فاستعدت كل وعيها وانتصبت جالسة ثم ما لبثت أن علمت فتعددت
وأخذ قلبها يخفق بقوة وتوترت أعصابها وحسنت عندما سمعت روداري
يصغر ويعيدخل الصالون الصغير . عرفت أنه سكب لنفسه بعض القهوة
اذ سمعت صوت ملعقة في فنجان . والمسافة بينهما لم تمنع رائحة سيكاره من
الوصول إليها . ومرة أخرى سمعت صوت المعلقة ، فهو لن يتوانى الآن
عن الانتهاء من رشف قهوته وتدخل سيكاره ليدخل بعد ذلك غرفتها
فيغمر الغرفة النور الآتي من الصالون وعندما سيقترب من السرير ليرى أن
كانت نائمة أم لا .

أطبقت جفنيها بشدة وهكذا سيخيب ظنه في زوجة لم تنتظره حتى
عودته .

زاد توترها نوعاً لدخوله الغرفة . وفتح الباب وانبرت الغرفة وتخلت
واقفاً في الباب متحصصاً .

اقترب من السرير بكل هدوء والحنى فوقها وأحسبت بنفسه فوق شعرها
ولفحتها رائحة غريبة فيه .

صدمتها هذه الرائحة واختلج تواتر نفضتها فلاحظ ذلك .
« اعرف أنك لست نائمة ، تكونين وأنت نائمة هادئة كالسجنية في

الشمس ، أما الآن فأنت ترتعشين .
« انا لا ارتعش !

ازاحت يده عنها وابتعدت إلى الطرف الآخر من السرير . وبصورة
فجائية رفع المصباح في يده وأخذ يملقان في عيني بعضها البعض . قالت
له بصوت لا حياة فيه :

« انت شربت !
« قليلاً ، احتفالاً بانتصاري على لانشيانى الذي كان يضر على أن تقوم

بالدور الرئيسي في فيلم « الحصرم » ممثلة صديقة له وأنا اصبررت على أن
تلعبه روزا انجيلكا ولا احد سواها . والا فلا أقبال على شبالك التذاكر ولا
وسام الأسد الذهبي ليضيقة صديقي المدير المنتج على مجموعته .

- للمرة الثانية تنصرف كما تشاء .

- نعم يا عزيزتي .

ضاعت عيناه وهو ينظر الى وجهها الذي كان يعبر عن الالهة والغضب
الذي قاتلها منها بسبب هجرها طيلة المساء بالاحياء الى عذاب الشك ومع
ذلك لم تستطع مقاومة السهم الناري في عينيه وانضت تشك في صحة
انها هي له . انها بشايبا ومذاجها اضعف من ان تقاوم هذا الرجل
الجذاب صاحب الخبرة وابن المجتمع والحاضر اللهن .

شدت يقيظتها على غطاء السرير وشجرت برغبة جامحة لترد له ضربته
ولتهيه بدورها :

- من الغرض كمعروض صغيرة بسيطة ان اعتقد بانك استغرقت كل
هذا الوقت لتنفذ رغبتك المنيية بيما لا يلزمك اكثر من ساعة واحدة .

- هل تشكين في كلامي ؟

- الوقت الآن بعد منتصف الليل وكنت وعدتي بان تعود في موعد
العشاء .

- انك تحاولين ترويضني .

- كنت اأمل فقط ان تحترم وعيدك .

- لم اتوه مطلقاً بانني الزوج المثالي الذي يأتي الى البيت عند الساعة ثمانية
ومعني امسيته مع الفليون والجريدة . انا مرتبط بجماعتي بضرورة نصف
الليل وقت الاستماع والاسترخاء .

- بالنسبة الى نصف الليل انطيتته ساهرة انتظري .

- في روما انه ساعة السمر . وبالفعل اقيت الى البيت بنية خلع ملابس
النوم عنك والبانك فستاناً للرقص نذهب معاً وترقص عدة ساعة او
ساعتين في مقهى الكازانوفو .

- هل انقلبت على ضعورك حتى تذكرني فجأة ؟

- كلا يا عزيزتي . قلنا افكر في أي شيء غير عملي وأنا منهك له .

- لا زوجة للسير لانثاني حتى يعود اليها ؟

- انه مطلق .

- ظننت ان الايطاليين لا يجذون الطلاق .

- كانت زوجته محلة انكليزية . وهي التي طلقته .

- طهيت . اهذا تزوجت من فتاة انكليزية ؟

كانت وهي تكلم تمرر اطرافها في المظلة المطرية وهي مضمومة على
بعضها كالكرة في وضع دفاع عن النفس .

تردد عليها صمت ثقيل . كانت تكتنات الساعة تزيد ثوباً . ليت
روماني عابثاً فيها واكتسب وجهها حيث وجد قطع . ثم أخذ يتحول من
مكانه الى انما سيطر بطوله على الجسم الصغير الذي شعر بأنه تلقى ضربة
بدون ان يصرب . احست بقوة شديد وبخفقات قلبها تسارع وتقل
سكونها الذي حانها وهو يصرخ طالباً حباً ينكره عليها . من غير المعقول ان
يعب شخص ما انساناً بهذه العظيمة ومع ذلك فانها تحب بكل جوارحها .
قالت له :

- لم اتوه يوماً الى تزوجتك لانك لا تستطيع شيئاً بدوني . انما سحرك
اعمال ولكن عيني فتحت الآن .

- واتسعت بنوعها الرعادي لي وحدة تكاد تؤدي الى الدموع . قولي بالي
طائش وعديم التفكير . الضربيني بالوسيلة ان كان يخفف عنك ذلك ولكن
لا تفهميني بدون ميراث ولا تلمحني بأي فن بدون وجود رائحة عطر على
ستري . وما شئتم لي لم يكن مطراً .

- هل سيكون عطرًا المرة المقبلة ؟

- قد يحدث ذلك اذا لم تحاذري وتوقفني عند حدك !

- هل تحرم علي التعبير عن فكري ؟ هل هذا امتياز يوقف على الزوج
الايطالي فقط ؟

- انه امتياز موقوف على البالغين . وانت تصرفت كطفل مزعج هذه
الليلة .

- هل من النياقة ان يعد الزوج وفي ليله عدم الوفاء ؟

- اهذا الحقد خائب امك لاني لم اشاركك اول امسية لك في روما ؟ اذن
اسمح لي بان اعوض عليك ما خسرت في شبلي .

واسرعة فتلقت تحية قولها واترجعها في مكانها وهي بها الى الشرفة
حاملة ايها بين فراعيه ووضعها عند الدرائزون بحيث شاهدا معاً أنوار
الانديف الليلة التي ما زالت تشع بأضوائها .

- هذا جنون منك يا روماني !

تثبت بكفيه مرتبة وعندما أحسث بقوة ودفعه . اخني رأسه
وابسست عيناه لها وعلمها أن يعانق رجل امرأة بهذا الشكل ومن مرتفعات
مدينة روما .

اهتزت الشرفة وبدأت الأنوار كأنها تغطس وتارجح وأندفع روداري بها
عبر غرفة النوم فالمرحى وصلا المدخل المقنطر وهنا اهتزت الأرض مرة
أخرى وسمعا صوت أحجار تنهات في الشارع .

- هذا زلزال (قال روداري متعجباً) زلزال صيفي سيزعزع بعض
الحجارة فقط ويحطم بعض النوافذ . . . هذا إذا كنا محظوظين .

التصقت به إلفي بينما كانت مصاريع النوافذ تضرب بعض الناس
يهرولون درجات القصر الى الأتية التي كانت زلزلات في الماضي البعيد .
لم يفكر روداري بالانزول الى الأتية وبقي محظوظاً بها معه حتى بدا لها أن
المدور عاد كالسابق فعاد بها الى السرير وغطاها .

- استريحى الآن يا صديقتي . لن نهتز الأرض بعد الآن .

رفعت نظرها اليه وفجأة بدا لها أن شجارها معه أنها أكثر مما كان عليه
قبل الزلزال .

- روداري . . .

- إلفي ؟

- الى أسفة لسوكي كطفلة . شعرت بالوحدة ولكنني تحفقت الآن من
أن العمل له الأولوية على كل شيء .

- اني لاأسأل عن المهمة التي طلبت اني فعت بها . مغالبة سرية مع
امراة اخرى في بيت خارج اندية ؟ يجب أن تعرفي قوة محرك . جلد ناعم
عجلي كالذراق . . . هل عفووت عني لتركك وحدك ؟

- نعم . . . لا يجب أن يفرق الناس بدون نسوة .

- هل نحن على وشك أن نفرق ؟

- ألم تمنعني لي ليلة مفيدة ؟

لم تستطع تجنب نظره النارية عندما تطلعت اليه واختلط عليها الأمر
بعدما غضبت منه .

- كان ذلك منذ خمس دقائق يا صديقتي .

جال بنظره على وجهها وثبته على ذراعها وعنتها الجعيل . وجشها نحوه

لا لمعانها بل ليمتلكها . . . كما لو تحركت الأرض ثانية رغم مرور
الزلال .

كانت إلفي تتوقع الانخماص في حياة زوجها الاجتماعية . ولذا لم
تعترض عندما عرض عليها ووداري أن ترافقه الى عرض أزياء روماني
لتتاح لنفسها ثياباً لجميع المناسبات .

ذهبا في عيارته عبر شوارع كان فيها السير سريعاً كثيفاً مارين بين ابنة
ذات أبراج وأقباب . وجدت إلفي متعة في التناقض بين المارة العصريين
وابنة الكوليسيوم التاريخية الرائعة الصيت حيث توقفنا لالقاء نظرة على
خرائب هذه الأبهة الغابرة . وهناك مارا تحت الأسوار حيث كان الرومان
يصخبون والأسود تزأر والشهداء يموتون . ارتعشت قليلاً لذكر هذا
التاريخ وأحسث بأصابع روداري تضغط على مرفقها وهو يقول :

- يا لها من مشاهد رهيبه !

- مشاهد وثنية .

رفعت نظرها اليه ورات جانب وجهه في زرقة السماء وشكل انفه المهيأ
وتكوين فمه المتكامل وعظمة وجته التي تدل على أجيال من النسل الرفيع
والعزيم في عيشة . وكانت قريباً منها امرأة تبيع كرزاً . إلفي
روداري فيها بخفي وثنية واشتري سلة مليئة بهذه الفاكهة الطعواء التي
تلذذا بأكلها في طريق عودتهما الى السيارة .

- شغفك تلذعان بعصارة الكرز . متفكر اداليا ثوماني اني تزوجت من
حفلة .

دخل بسيارته جادة جميلة تكتنفها أشجار تظلل واجهات المخازن
وأوقفها على أرض عشية وانجده كلاهما الى مبنى عرض الأزياء القائم خلف
أبواب مذهبة والفروش يبحر من السجاد السميك والمزين بترابيا عكست
مكتباً ملالي الشكل تحمله مضيقه ما أن رأت روداري حتى ابسست مرتبكة
وسرعة تناولت سماعة الهاتف .

- نعم يا ميني . مارسلها لك حالاً .

توردت وجنتا المضيقه وهي ترافقهما الى مصعد مذهب أوصلها الى قاعة
عرض رائعة ثرياتها فطلع فضحة من الجواهر تدلى منها قطع جواهر أصغر
حجماً . اما جدران القاعة فتمج بالخص المرسوم بالحوريات وتناهد البحر

والشواطيء . رأت إلفي أن القاعة أشبه بصالة رقص وتراجعت أمام نظرة زوجها الحية وضجكت :

- أما زلت تحبوك ؟

- أنت قلبك أمة امرأة نظر إليها .

ولتجنب نظراته انخرجت عتبة التجميل من حقيبتها وجندت حمرة شفها الزهرتين . فهي أكيدة من أن المصيفة ظنت أنها كانت يتبادلان القبيل . نالت إلفي بعصية :

- إن هذا المكان بأعظ الكلفة .

- أحد أغلى المحلات يا عزيزتي . أنه اطراء لك أن أقدم لك أجمل ثياب في روما بأسرها .

تقدم نحوها خطوة ولكنه توقف إذ اقتربت منها امرأة طويلة القامة ، سمراء ، بالغة الرشاقة ترتدي تنورة طويلة من الخمير الأخضر وفمصباً من الحرير الكريمي تفصيله رجلي أكثر منه نسائي . مدت المرأة يديها إلى الأمام وقالت مريحة :

- أهلاً يا صديقي . أنه بلنيل جداً أن أراك ثانية . سمعت بعودتك إلى روما التي تبدو أكثر رومانية بوجهك هذا . هل أصبحت بطونك ؟

- جداً جداً .

رفع يد المرأة الرشيقة وقبلها .

- وجدت لنفسني عروساً إنكليزية . . . هل وصلتك إشاعة هذا الخبر الشير للفضول ؟

- سمعت الإشاعة ولكن . . .

انضمت المرأة ونظرات إلى إلفي بعينها السمرائين وقالت بصراحة :

- صحيح . إنكليزية بكل ما في الكلمة من معنى . تريد أن أجبرها ؟

- من فمة رأسها إلى أخمص قدميها يا أدايا . من أفتيها حتى كاحليها ،

ولتكن الملابس ملائمة لكل المناسبات .

- يا بني العزيزة . دعيني أوجب بك في روما بخاضة كونك عروس

فورتوناتو

- اشكرك يا ستيوزا .

احست إلفي بخراثم السيدة تنغرز في يدها وأعجبها ضغط اليد

اللطيف المخلص ورائت في هذه السبلة مصممة الأزياء الرومانية امرأة غير مترددة وفي عينيها نظرة دعابة وأثراً من الزد الروماني .

- وأخيراً يا روداري تراجعت عن تحديك للزواج . وستكتب وجوه عديدة هذا الصيف في روما إذ كنت دائماً ذلك الأعرج الذي يثير أكبر الاهتمامات لدى عائلات المجتمع اللواتي هن مصلحة في عرض بناتهن في سوق الزواج .

- سوداوية الضكير يا أدايا . الكل يعلم أنك تجهدين متعة في تجهيز العرائس أكثر من متعتك في السياقات .

- تمنحي مطلق الحرية في لباس عروستك ؟

- لك تفويض تام .

- وبدون مراقبة ؟ يعني إن استطعت توديعك لنذهب إلى عملك ؟

- في نيتي إن أترك إلفي بين يديك الماهرين والساحرين . وستخديتها غداة سهلة الانقياد ، وإذا حصد وأن غرزت خطأ ديوساً في يدك فأنها مصالحك . كنت عرضة عندما وجدتني ، ولكن لا تجعل ليأبها رائحة الكهنة والشمع لا استطع معها .

نظر آل إلفي نظرة ود عميقة وحيمة . ثم أضاف :

- فاجتني عندما أعود عند الغداء يا أدايا لأرافق إلفي إلى شقيقي في حدائق أولو .

قالت إلفي مندعشة :

- ولكنك لم تقل شيئاً هذا الصباح عن مقابلة هلين !

رأت في عينية نظرة البهتة والخوف . قال :

- صحيح . كنت مشغل البال . . . في الواقع تلفت لي ياكراً عارضة

علي أن تنقذ معها ، وهي متشوقة لتعرف إلى عروس شقيقها الجديدة .

- اعتقد بأنها فضولية كغيرها من الناس .

ضحك روداري وقال مرجحاً كلامه إلى أدايا :

- تخشى عروسي أن يعتقد أصدقائي بأن تزوجتها على عجل فأندم في

أوقات فراغي . وما يساعدني على أن تثق في نفسها بخزائن عشوة بأجل

يأب من مؤسسة دوماني . والآن أنا ذاهب إلى الستوديوهات . تختلف أنا

ولا نشاني في كل شيء . عند بداية أي فيلم ولكننا نثق فيما بعد فتشج الشياء

مذهلة .

- الشاغر المألوف بين وجلين وفيري المراهب بتعاونان تعاوناً كلياً لكنها
دوماً على وشك الشجار (وتابعت للاحها وهي تنسم إلقي) أحياناً
يتحول امهر الرجال الى صبية وأحياناً الى شياطين . من أين أتت الشجاعة
لشروحي من هذا الرجل ؟

- انتزعها من خطري اننيار كل الثلج . . . الى اللقاء .

- اخذ يد اداليا وقبّلها ثم اتحنى وقبل صلح إلقي . واستدار وتركها
تخطى واسعة وبرزت رجولة في لوك الحصن ثم اتحنى في المصعد .
تطلعت اداليا بكل صراحة في إلقي التي تزوجها بسرعة وبسرية تامة
وقالت :

- هذا الرجل ديناميكي . ووقعت مثل قطعة غطية الغطاء واحتفظ
بها . لا اعرف يا عزيزتي ما اذا يجب ان احببك او ان اعزبك . هل
انت . . . سعيدة معه ؟

- السعادة مجرد كلمة ذات عدة معان .

- تحببه . . . كثيراً ؟

- احبه . . . بغض النظر .

- بغض النظر عن عدة اشاعات ، اليس كذلك ؟

- من المستحيل على رجل كثير الحداية كهذا ألا يكون قد قام بعلاقات
مع عدة كثر منه .

- هل تخمين ان تظهرني امامه في مظهر فائن ساحر ؟

- احب ان اكون مليحة بقدر المستطاع .

- اذن ، تعالي معي ليرى أنواع التماش ونفور أي زي يلائم مظهرك
الانكليزي المادي . والميزة التي يستمتع بها هي انك شغراء بين النساء
الرومانيات . ولا تخزي ما اذا سبقني ووداني اذا ما أرسلتك عند
مزين الشعر ليحسن تسريحة شعرك . قصبتك التي يلف فيها شعرك نحو
الداخل حلوة لكنها عتيقة الطراز نوعاً ما . وأفضل ان تكون لك حصة
متدلية فوق هاتين العينين . دعيني اتأملك . اظن ان الوانك هي النضى
وارجوان الغسق ومسحة من اللون الناري ، وهذه الوان الشجاعة
والثاقوة . تعالي يا عزيزتي . اني اعتقد بانك ستعجبين رجلك بعد أن

انتهى منك

وفي لحظة وقعت إلقي شبه عارية خلف جسمها أطوال من الخمر
والأطلس والشمر عند المصعد والصوف الناعم . وكانت اداليا
ومساعدتها الشاب يشوران حول إلقي وشاحشان بالاطالية في تسكاتها كشها
دمية لا حمة فيها ولا دم يصعد الى وجتها وهما يقفان صدرها وشهاد
بوردين .

- يمكن التخفيض عند الخصر اما وركها فيلائمها القماش المتعطل
بالعشرات من الثنيات الدقيقة .

- التقت عينها بعيني الشاب وذهشت لدلالتهما على منتهى الرجولة مع
شيء من فلة الحسة فيها . فهم الشاب الحاد أفكارها وصحك منها في
سره . انه يساعد اداليا في تصميم ثياب رائعة لجميع أنواع النساء ولكن
ليس فيه أي أثر من النحت . حل العكس . كان والثما من نفسه كل النقة
ولكنه قبيح . ولاحظت شعرة الخشن المجدد وابتنامته العريضة الحداية
وعينه المولتي الشكل .

- تساعد اداليا باسم راف في حركته بعض الحلاعة الا ان لمساته في
منتهى الرقة .

- اريد ان المعطف البصري الضعاض يناسب السيدة غلاماً .
تذكرين المعطف الذي قمناه لأمراة السير ورفضته فيها بعد صحة انه
يحبها بغير فيه باهتة كرا قالت ؟

- نعم . انك قطن يا راف . ارجوك ان تأتي به لتجربه على إلقي .
ابتعد عنها بخفة ورشاقة الراقص وبخطوات الفهد . ثم ما لبث ان عاد
وعلى ذراعه المعطف وانثرب كثيراً من إلقي قبل ان تحتجبها طياته المخملية
ذات لون السماء بعد الغروب والمزين بالفرو الناعم من الباقة حتى
احشيتها .

- رفع الشاب الباقة حول عنق إلقي وأخذ يتفحصها بعينه اللوزيتين
التي تعطينه جبهة رعن شرقي أو روسي اذا كانت تنسك في انه ايطالي .
وبالمقارنة نجد أن لزوجها جاذبية ايطالية صاخرة بينما جاذبية هذا الرجل
فطرية تذكرها بموسيقى بوردين وخبول سهول روسيا اليرية .

- انك حبة في هذا المعطف يا سيروا .

تكلم بأدب ولكن نظرة عينيه جعلتها تجفل منه . قالت اداليا :
- سيعجب ووداري بهذا اللباس . خفيه يا عزيزي وخذي معه هذا
القميص الفضي الذي الطراز كي يبرز عائل المتكلم . انه طقم متكامل
للأوبرا .

- أو لحظة بآله (قال راف بصوت خافت) في مقصورة فوق المسرح
مع وردة واحدة فقط مغرورة في المتكلم .
كانت اداليا قد انشغلت مع اثنتين من الخياطات وتكلم راف بصوت
هامس متقصداً إلا يسمعه احد غير القى .
- كفى !

انتهرت بصوت منخفض وقد هالها هذا الرجل بمغازلتها بهذه الطريقة .
- هل تستطيع ان البس يا اداليا ؟

أثت جسمها علفوقاً بالمكلم بعداً أحدث بأن راف لمها
وتصورت ثورة زوجها لو يعرف تلك والطلمات التي سيكملها لهذا الرجل
السائل . ومن المحري حقاً أن يكون رجل كهذا في عالم يتعلق بسرية
مطلقة لخص النساء وجاهل .

- نعم يا فتاتي . وبفضل صبرك جعلت منك ثوباً صالحاً . وسير الفلك
راف لتصر في كل موسم شعر النساء ولود أن نأني يوماً ما في الأسرع . طبعاً
يحد من حريتك . ليا من تسريحة شعرك مع ثيابك الجديدة . في هذه
الآناء البسي النظم الكريزي لأنه جاهز للاستعمال .

تناولت القى القستان ودخلت مخدراً صغيراً مقصوفاً عن القاعة يستائر
وبعداً لسته ورات نفسها في المرقاة اعجبت بروقة البهج والأنير . ولكنها
تطالبت جداً بسبب معره المرتفع . ورضم أن زوجها يتقاضى دخلاً
مرتفعاً كيف يمكنها ان تستغل أكثر من عشرة أبواب للنهار ونصف هذا
العدد للشهرات وفي ذلك من مختلف الآلية للسياحة والمكولف
وللمطاعم والبياترو ؟ ومن اشتر أن يجهزها زوجها بكل تلك الأشياء المحبة
الاحياء الى الاحدية والحجاب والقفازات والمجوهرات . ولكن هل
ستلبس كل هذه المشتريات ومتى ؟

خرجت من المخدر لتجد نفسها تقريباً بين فراشي راف متيفاتو .
ضحك ودعاها لدخول المصعد الذي أسرع بهما نزولاً الى الطابق

الأسفل . قال راف :

- من النساء من لا يلبق حين حتى أفضل التصاميم ويلعبب القماش
التيين ضيقاً . اسبحي لي أن أقول يا سنيورا القى انه لك جسماً كاملاً
يتناسق وتصاميمي . وأحدما ذلك الطقم . فقد تصدعت الخطأ في قياساته
لغلا تنعم به سيدة لا تستحقه كان جساً أناني بأنك ستظهريين يوماً وينطبق
الطقم عل مقاسك .

أثت بنظرة صارمة لأنها ارنابت بلهجة ساخرة في كلامه :

- انا محنة جداً لصنيع زوجي وكثرة .

- باعتقادي انه هو الذي يجب أن يكون المتن . السحر موجود في كثير
من النساء لكنه مصطنع خاصة في مجتمعات روما . ان بك الى روما كزهرة
جميلة التفتها في طريقه . اشك في أن تكون روما مكاناً يلبق بك .
- ارجو أن تلبق بي اذا اتيت لأعيش فيها .

توقف المصعد وليس فراغها بحجة انه يدلها على الطريق :

- من هنا . يحمل زوجك اسماً لأمعاً يا سنيورا .

- هل نفلن ان هذا هو سبب زواجي منه ؟

- انت ؟ (ضحك ضحكة مأكرة ، ثم أضاف) عليك قبل كل شيء
أن تحبي الرجل ومهما فكر الناس هناك يرونك في رفقة فانهم يكونون رأياً
أكيدا بأنك باحثة عن الحب .

- وأنت . ماذا تفكر يا سنيورا ؟

- انك مثل رباً التي تاهت في الغابة والتفت بمارس ومن الحرب عند
الرومان .

- هذا ضحيف .

- يسخر الناس من شيء لأنهم لا يستطيعون مواجهة الحقيقة . ها قد
وصلنا .

توقف عند مكتب الاستقبال في صالون التجميل وطلب تعيين موعد
للسنيورا فورتوناتو . وسجل الموعد ليوم الخميس . الساعة الحادية
عشرة . وعندما خرجا من هناك نظرت القى الى نظرة ساخرة وقالت
ساحطة بعض الشيء :

- الرجال الايطاليون يتزعون الى السيطرة !

- أنا تصعب ايطاليا .

مال بعينه اللواتين وهو يتسم قيدا صيبانيا ولكن حكيميا في الامور
الدنيوية . وازدق يقول :

- والذتي من باقاريا وهي جزء من لانايا حيث العادات والتقاليد
الرائعة . وكانت عجيبة اكثر منها المانية وانا اصبها في بعض الاشياء
هل ابدو عجريا ؟

- نعم . واتصور قرطين متدلين من اذنك .

ثم حولت انفي نظرها عنه واتخذت هيئة عدم المبالاة . انه جذاب
غيبث يحب نجيب الارتباط بأي صداقة معه وهو من النوع الذي يحب
النساء والنساء يحبونه . تصحها روداري بان تقيم صداقات لها في روما
ولكنها لا تظن انه عني صداقات مع اشكال راف متفلقو .

- لقد جان موعد القداء . لن يتأخر زوجي . . . اوه ، اذكر
الذئب . . .

ضحك راف عندما رأى شخصا طويل القامة قادما نحوهما بخطى
واسعة كله حيوية وتشايط يتفلسف امامه أي رجل آخر . قال راف :

- انا مصروف . . . الى القلعة .
ليتها استطاعت ان تزد عليه رافطة لتعلمه بلهجة خاصة انه لا يجب ان
يعتمد على أي رغبة عندها لمصادقته ولكن المصعد كان قد احتواه تماما
عندما اصبح روداري بجانبها .

- حسنا . اراك جاهرة تنتظري !

استمت ربما له او اعجابا بيزقة الرمادية وقالت :

- نعم . الي متشوقة لأتعرف على هذين .

- شيء ممتاز . وانا متأكد من أن هذين يتوق لمقابلتك . . . لا تنك

تقول اني لن اجد السانما بتحمل استبدادي .

كان يتكلم ونظرو يتبع المصعد المذهب الذي اختفى فيه راف
للمفويت .

- من هذا الشاب صاحب بتلون الباليه والمفهمس البني ؟

- مساعد اداليا . هو الذي صمم الطقم الذي علي . هل اعجبك ؟

- جدا يا عزيزي . انت متشجعة تمام الانسجام مع الزى واللون حتى

لبيحتي لي اله يملك حاسة خاصة بعد النظر .

خرجوا في شمس روما وثابت روداري ذراع زوجته وانجها الى موقف
السيارات . وكانت لمسة برسل مياما ناعمة في جسمها واستلاما
لعماطتها تحو بالريح من الشكوك المؤلة التي عاودتها بصدده .

مع من ان الى هذه المؤسسة من قبل ؟ مع كاميللا أو مع الفتاة التي
عادت الى الجزيرة تتبعها حفاث من الباب الجديدة ؟

فتح لها باب سيارته السوداء وبعدا دخلت تجلس خلف المقود وأشعل
محرك السيارة وبدا كل شيء عاديا ظاهرا بقدر ما كان مشوشا باطنا .

- ضمني يدك في جيبي . . . اشترمت لك شيئا ولوناها لتباهي به امام
شقيتي الشوقة .

ادخلت يدها في جيبه محاولة الا غتلك بخصمه واخرجت غلبة صغيرة
بعذر شديد كمن يتخوف من الاحتراق .

- افتحها لن نجد في احدى اعمى في داخلها .

وجدت فيها اسوارة من ذهب . ناعمة مع قلب من الباقوت معلق بها .
اراد هذه الحلية لها ليهنحها وليعطى شقيقته انطباعا بانه نجيب نرسمه ويقدم

لها زينة جميلة من هذه .

- انها جميلة جدا . شكرا يا روداري .

ارتعشت اصابعها وهي تضع الاسوارة حول معصمها وقد لفت نظرها
قلب صغير معلق فيها .

- مححرك يا حلو . هو انك تظنين ابدا لطيفة معي ومهذبة ومتحفظة

تقريبا كما لو انك نسيه اني احتوتك بين ذراعي الليلة الماضية !

- وهل هذه الاسوارة مكافأة على ذلك ؟

لم يجب على سؤالها وكان الضمت ثقيلتا بينهما ولا تجرات ونظرت اليه
رات فيه ملامح متضخمة غاضبة .

- اني لانساه اينها الضيبة الساخنة اذا كنت تتجاسرين على قول شيء ،

مثل هذا لو لم تكن في سيارة في شارع مزدحم . هل تتجاسرين ؟

- اعتقد الي لا اشعر بالرعب منك .

- احيانا اسأل نفسي ما اذا كنت تعرفين شيئا عن شعورك نحو .

اقربا من حدائق ابولو ودخل روداري بسيارته من بوابتها الكبيرة .

٦ - عقدة اللسان

انزعفت بسيارته حول شجار مزهرة ونباتات زاحية ومر أمام الفناء حيث جلس الناس إلى موائد الطعام يأكلون في أفناء المظلات الشمسية . ترك سيارته في باحة قرب منصة الموسيقين وتوجهها إلى حيث حجرت هلين فالتفت للثلاثة .

نشقت إلهي هواء الأزهار العطر ولبست البوغضلية المعرشة ولكنها كانت مترتبة الأعصاب قليلاً توقعاً لمواجهة سلفتها هلين لأول مرة . هل يا زوري تشبه أختها روداري ؟
- ها هي هلين !

انصهبت الفتاة التي كانت تنظرهما بالقرب من إحدى الموائد وانصهبت ابتسامة خجولة ، كأنها غير واثقة من نفسها في لحظة انتقاء زوجة شقيقها . وما لا شك فيه أنها قابلت في الماضي بعضاً من نساء حياة روداري الرومانطيقية ، ومنسجبتها السخنة لدى تعرفها إلى المرأة التي اختارها غيرها زوجة له .

بالفعل ، رأت الدهشة ثللاً عيني هلين التي أصابتها شبه صدمة عندما وقع نظرها عليها لأول مرة ، وهذا ليس اطراء ولكن إلهي حاولت أن تتجاهل ذلك عندما قدمها زوجها هلين كياناري رسمياً . وجدت في هلين جاذبية ولكن بدون جمال ، وكان فتاتها بنفسجياً بامتاً وعلى رأسها قبة من القش ولها عيان جميلتان لامعتان يحيطان النظر كما يجب أن تكون عينتا الفتاة الإيطالية الحقيقية . قالت هلين :

- كم كنت انتظر هذا اللقاء يا إلهي وكم تساءلت عن شكلك وكونت

صوراً لك في ذهني . لكن الواقع أجعل يكثير من الصورة التي تخيلتها . يا ألسان ! قال روداري متسا ابسامة عريضة وشيطانية (هل توفقين على اختياري للمعزوس ؟) إلى ثالث من أن الحدة تبهتك إلى التي تزوجت روما من نجمة ميمانية صغيرة !
قالت هلين :

- أرى أنك . دعنا من النقاش اليوم . فمن تبقى أبدأ بصدد جفتنا ولذا من الأفضل ألا نتكلم عنها . لنجلس الآن ونستمع بالخبر .
- كما تريد (يتسم بحر وانحنى وقبل أخته على وجعتها) مظهرك جذاب يا هلين ولكنك شاحبة . وأقترح عليك مرافقة إلهي في جولة لزودة صالات العرض الفنية في روما ويتابعها الرخامية والآثار القديمة . ولذا قدمان إلى لازيو للاستحمام ؟
ابسمت هلين لإلهي وقالت :

- سيعطيك ذلك . لا تعرفين روما طبعاً .
- أنا غريبة عن روما ولكني مفرقة بها . أحب أن أرى كاتدرائية

التي هي مشغولة بأعمالها الاجتماعية يومي الاثنين والأربعاء وحرة في غير هذين اليومين إلا إذا طلبت مني جدي أن أقوم بالتسوق أو أن أرافقها إلى مكان ما . ومن المتوقع أن يشغل أخي بغيره الجديد .
- سببرني كثيراً إذا تصادقتا . . . هل ترغبان في بعض القبلات قبل أن نخرج طبعاً ؟

داخل إلهي ارتياح وسرورها أن هلين ليست من نوات الجمال المتعاليات . فقد وجدتها هادئة ورصينة ولون ثوبها البنفسجي دليل على أنها ما زالت في خداد على زوجها . ونظرت إلهي غلسة إلى هلين ثم إلى روداري واستوقف انتباهها مظهرها الاستوفاطي الروماني الجلي . وسرت لأن زوجها اشترى لها هذا الطقم الكرزي اللون ، إذ من اللطيف أن تبدو أنيقة في رفقته وأن تكون معنوياتها مرتفعة . سألت هلين عندما وصلت صبحون القبلات :

- وما رأيك في روما الجميلة ؟ أنا أعرف أن روداري اختار السكن في

القصر بسبب المنظر الجميل من مرتفعاته .

- انه مشهد الخيال .

تعلم انها توافقتنا هذه استدرجت ابتسامة ونظرة من زوجها الذي لا شك انه تذكر غضبها من طجيرة ايها ليلة امس وحيدة على شرفة تطلع الى آلاف الاصواء تحت قبتها .

- هل تشعرين كغريبة في روما بانك اكثر حيرة عما كنت عليه سابقاً ؟
اعرف ان هناك مدناً اخرى مثيرة ولكن لروما قلباً ينبض بالحرارة وجمالية تؤثر في الاحاسات . . . هل انت من هذا الرأي ؟

لم تحب انني بل نظرت الى صحتها . وتحرك في قلبها وعي جديد وهو انها تعلم تدريجياً معنى كونها زوجة ارجل يغلي حيوية وعاطفة وانها تتعلم ذلك في مدينة الحب . . . الحب الحسي والحب العذري . مدينة الشباب والابراج التي ترمز الى الحب الديني والحب السماوي . كل شيء فيها يعيد بالاحاسات كما يعيد ماء النايغ بالحجر . وهنا تتأجج العيون السمرات نارا اكثر من العيون الزرقاء في بلادها . ذلقت نظرها في عيني

روحها السود ومن هو يقدم لها قائمة الطعام فقال :

- اختاري غذاءك بنفسك . هكذا تتدربين على قراءة الايطالية .

- هل تعلمين لغتنا ؟ سألتها هلين ؟ اختيأاً منك ام لانه يضايقتك ؟

- قولي هلين اني لا اضايقتك . عندها وسواس اني بحكم طبعي زوج رهيب . . . ابحتي عن كلمات في جعبتها بـ هلين ولكنك لن تجدي الكثير منها .

شدت انفي عن اسنانها لانها تذكرت كلمة او كلمتين . آه الرجال ! انهم لا يدرون متى يؤذون امرأة في جسدها او في عقلها . انظرون ان العذاب هو في آلات التعذيب فقط بينما هو في الشك . . . ذلك الشك الذي بدأ ينخر فيها مع شيخ طفل بعينين ايطاليتين حقيقتين ورؤية جهازه المفلر يحرف (ز) .

حولت نظرها عنه الى قائمة الطعام وقالت :

- انظر اني سأتناول دجاجاً متبلاً وبعض قرون الفلفل .

قالت هلين .

- هل هذا تقارب في الأفكار ؟

- ربما . . . ولكن اول شيء اتناوله هو البطيخ الاحمر .

أحست يدان روداري تلصق بساقها ولكنها تجاهلتها وأضافت :

- هل تذكر البطيخة التي اكلناها في طريقنا الى الجزيرة ؟ ولكن .

كلا . افضل صحن حساء كثيف .

- البطيخة اربط .

دس صوت روداري على شيء من البرود كان تغير رائحتها المفاجيء . ذكره

بالجزيرة وأسرارها .

- . . . احب الحساء .

- اذن اطلب الحساء .

مر كثيف وتحوّل الى هلين :

يبدو لي انك تعيشين على رشقات من العسل والأعمال الانسانية يا

صديقتي . ما قولك في بيتزا كتلك التي كانت تطعمنا ايها مارييا في الجزيرة

وتحن صغار ؟ كانت تأتينا بها في عربة الخضار التذكيرين ؟ وكانت

الكوكيتسة تقسم جازمة انها رائحة .

- كانت تقرأ البحث . وقالت لي وأنا في الثانية عشرة اني سأزوج مرتين

ولكنها اخطأت بزوجها . ولئن التزوج مرة ثانية ابداً .

كان روداري يتحصى اساء الاطباق في القائمة ويحال هلين غرضاً :

- هل تلتقين بالاميركي الطيار لدى شركة الخطوط الجوية الايطالية ؟

اتذكر انه استاجر الفيلا الصغيرة على أرضنا خارج روما ودهنها في اوقات

فراغه .

أخذت هلين تلعب بخواتمها ولم تلحظ انفي عينيها بسبب حرق قبعتها

الشملي .

- بسميه اصدقائه الايطاليون غويدو . اما اسمها الحقيقي نهر غاي

ستايسي . ما زال يسكن الفيلا ويقوم الحفلات ويرسل لي دعوات ولكنني

لا اذهب ابداً . ما الفائدة من ذلك فانا لا اقبل الى الرجال . اما من آل

فورتوناتو ونحن نحب مرة واحدة فقط . . . هذا في دمناء

- ستعيشين يوماً وتجدين نفسك وحيدة اذا ما حدث شيء للكوكيتسة .

انها تستخدم في السن وتستعمل العصا الآن لتجلى .

- وعصا مقبضها مؤلوة .

- انها عتيقة .
- أوليت عتيقاً يا روداري ؟ أنت تشبه الكونتيسة اكثر مما تشبهها اني .
وهذا ذاتاً تشاكس في اجتماعاتك . افضل أن يتزوج الانسان شخصاً
مزاجه يعاكس مزاج الآخر اذا اراد أن يعيشاً بالسجام . من لا يلاحظ أنه
مزاج باقي معاكس تماماً لمزاجك ؟
- هل تعتقدان بأن تزوجته بحثاً عن الانسجام ؟
- ايا كانت اسبابك يا صديقي ، فأنا مبرورة الآن بالتعرف الى
زوجتك .

ونظرت الى باقي وأردفت :
- ارجو ألا تستفدك عائلتك في الكلثرا .
- لا اعل لي ، وهذا ما دفعني للمجيء والعمل في ايطاليا . وقلت
لنفسى ان السفر يستل العلي .
- أعتقد بأنك حقا ولست جذاً قلت هل انت متسمة ؟ يروا بك من
رجل مثل اخي .
كان روداري في تلك الاثناء مشغولاً مع حليم المصمم وتلاصق هذين
كلامهما :

- احياناً يثير غضبك كما يسحرك بلطفه احياناً اخرى . الرجال
الايطاليون اعذب رجال في العالم ويعيدون الغناء ايضاً . هل سمعت
صوت روداري ؟
- فقط في غرفة الحمام (قالت متسمة) يظهر انه يحب لادونا اي موبلي
لموسيقى فردي .

- يجب أن يأخذك الى الأوبرا . انتهى الموسم الآن لكن هناك احتفالات
نقام ليلاً في الهواء الطلق في حمامات كركلا . لا شيء تقريباً يعوقها روعة .
يجب أن ترافق زوجتك يا روداري لتري وتسمع الأوبرات الايطالية
الاصيلة .

- في تبني ان اجعلها تحب كل ما هو ايطالي .
كان يندوفى ثلثه الرز بالفطر والزعفران وهو يدكلم عني موسيقى فردي
ويوتشيني التي يفضلها عن غيرها لغناها وانساق انغامها . وتحول من
الغابات عن اوتس الذي يلوحه شمس من موسيقى ان جوجو جوجو

السهرلة مرعاً وحلوا وبعد تناول القهوة نهضى الثلاثة ومشوا في اتجاه
حدائق ابولو .

الحدائق جميلة جداً وفيها كهوف طبيعية وبرك ماء تطلها نباتات
مزهرة ، ومشوا في غمر واسع تمرشها اشجار سرو وارفة حتى وصلوا الى جسر
مقوس من الحجر الاسمر المصغر اكل عليه النهر وشرب . . . وواصلوا
سيرهم الى ان توقفوا امام معبد تروستكان قديم قائم بين مختلف شجيرات
الكاميليا الحمراء والفرنطليات اليرقة الزهرية منها والبيضاء .

تأثرت باقي باختلاط الألوان وحس لها قليلاً بأن هذا مكان مثالي
للعشاق . ولكنها جفقت عندما نساها روداري واخضعاً اصابعه الحمراء عل
فستانها الكروزي اللون . . . ورغم خفة لمسة فذت الى جسمها كذايرق .
تمكنت هذه اللمسة منها وذكرتها بانها له رغم اراءتها في المقاومة لتفهمه انها
ليست شيئاً يمتلكه كاحدى الدسي .

أولتت من ونحفت داخل الآثار مقلعة تسبح المنكوت الذي كان
يعارض المدخل ، فأراحت عن وجهها يدها ورتت المنكوت بحفر خفيف
احد الرسوم الخفية . ولاحظت ان المدخل تنضم ، فاستدارت ورأت
روداري واقفاً امامها . فلا مهوب منه . . . لا مهوب من الحب الذي
يسكره على شامخ المناسج . بقي كل منهما بدون حراك بضع لحظات
ثم تقدم روداري نحوها كأنه مثال ابولو دخله الحياة وراح يطاردوها داخل
الآثار .

- انت تعذبتني (قال وهو يشدها من كتفها) متفرك يغربني ثم تجربين
عني . اري الخوف في عينيك واريد أن اعرف منيه . اقدم لك كل شيء .
أعرفك على اناس متحيينهم . احاول ان اعاملك بلطف وبالحنى . ماذا
تريدان اكثر من ذلك ؟

- ارجوك . لنخرج من هنا . متساءل هذين . . .
- انا الذي اتساءل (اجبرها على النظر في عينيه) هل انت حلوة وعادة
وبينة ام غداة ؟ هل تبدو عينك الرمادية ان حاليين لاني لا استطيع فهم
كنهها ؟ ام تفضلين الاسم وانك على الرجل الذي تزوجته ؟

- كلا .
- كلا يا عزيزي . هذا ليس حياً . المرأة التي تحب لا تنكح بسبب

لما لم تشجبه نفسك هذه مسألة لك انت مرشدة حسب الشرع
الروماني برجل ترفضين عناقته . هل تصورت حقاً ، انني سأعاملك كاتبة
لي ؟ لم اصل الى سن الشيخوخة بعد حتى لا اثار بظهورك . لكل هدية
أقدمها لك أتوقع مكافأة منك . . . هذه هي اللعبة يا عزيزتي . شئت ام
أبيت .

- انت وحدك تدبر اللعبة ولا اريد ان اكون حجر شطرنج .

- حجر شطرنج ؟

- نعم . لكي نتقم من جدتك . . . وانتك المرأة المدعوة كاميليا . قيل
لي انها في منتهى الجمال ، ولذا تزوجتني ليرهن انها ليست الوحيدة وان
لست ببديلة عنها .

- انا اكره البديلات (قال ببجدية صارمة) وفي كل حال انت تقبض
كاميليا في كل شيء . انت شقراء وهي سمراء . انت متواضعة وهي واثقة
من نفسها . انت نزيهة وهي مأكرة . . . وهي من الجمالات التي جعلها
بالمساحيق امهر المصورين وصوروها . فاذا اردت تصريحا بذلك ها هو
التصريح الذي تريدن .

- انا امسة باروداري .

وانسبت من امانه وخرجت الى الشمس الساطعة حيث كانت هلين
تفتح النظار في الكاميليا القرمزية وهي تدخن سيكارة . ابست لالفي
ولكن هذه اعتبرت الالبسة نوعاً من اشغال البال . هل سمعت ما دار
بيننا وبين روداري ؟ قلت هلين :

- اري ان الكاميليا اصطناعية .

انجھوا الى موقف السيارات واوصل روداري شقيقته الى الدائرة
الاجتماعية حيث تعمل . وانفقت وهي في طريقها الى مكتبها ان تلقي
بالفي في اليوم التالي لزيارة بعض الصالات الفنية والحضور حفلة كوكتيل
بقيمها بعض الاصدقاء .

- عليك أي مانع يا دارتي ؟

دارتي . . . اسم مصغر لروداري ، اسم تحب وقدليل . احسنت
بطعة حسد . كم وددت لو تعرفت عليه قبل ان يلتقي بكاميليا ويقع في
حبها .

- لا مانع ابداً . يستني ان تكون إلقي وحدها وأنا غاطس في
الستديو . ولكن سيختلف الأمر حتى ياخبرت وراي الجديدة . عندها
ساحل في المنزل .

- ما موضوع الكتاب ؟

- الرجال والنساء . حبهم وكرههم . ليس أروع من التلاعب
بالمواقف ومعالجتها

- ارجو يا دارتي ان تحصر نلاعيك بالخيال فقط .

- ماذا تعنين بقولك هذا ؟

- سألتني عن غويدو ستالسي ، وأظن انك ترغب في الارتباط به . . .
بطريقة شريفة طبعاً .

- انت شابة يا هلين وجذابة ايضاً . لا يمكنك الاستمرار في العيش مع
حب ميت .

- امك في امكانية الحياة مع شخص لا احبه . سيكون ذلك رهيباً لي .

- الرحمة لتظرك بدون صدر تشكين عليه وتبكين أو بدون احد

منشاهرين . . . انت شابة في الوقت الحاضر وتشعرين بانك تستطيعين

تدبير امورك بنفسك . ولكن ماذا عن المستقبل عندما تعودين الى بيت خالي

الإ من خادمة ؟ صحيح ان لك صديقاتك ولكن لمن ازواجهن . . .

- انت عتيق الطراز يا دارتي ، رجعي من نوع الرجال الاستبداديين

الذين يجزمون بأن المرأة تغير الرجل ناقصة . قد تكون كذلك لكنها تختلف

عن الرجل في انها لا تهد السعادة خارج الحب ولا الجاذبية والتقارب بدون

نوره الساطع .

- حتى النساء يجدن جاذبية وتقارباً خارج الحب . اني اتكلم عن خبرة .

- عندما انظر اليك يا دارتي اري انك تعمقت في كل سر يخص المرأة .

ومع ذلك لست كل النساء منشاهات ، ولا أرغب في حب أو زواج قد

أندم عليها لاحقاً . سأندبر امري . . . والجدة متمسكة بالحياة ولن تتركني

وحدي الآن .

- نعم . متشينة يا . من المؤسف ان سابينا ماتت وهي بعد شابة

وجيلة .

- ارجوك يا دارتي . هذا من الماضي البعيد ، وكثيراً ما تعبر الجدة عن

تدعيها على عدم تفهمها للأمر . وهذا ما سبب لها خسارة حبك لها . لماذا
لا تنسى الجراح القديمة وتتصافق معها ؟
- يا بني . لو تروغب الكونتيسة في ذلك لماذا تجاهلت عودتي الى روما مع
عروسي ؟ فهي لم تتصلب تلفونيا أو حتى ترسل كلمة هينة ، باقة صغيرة من
الأزهار ، تكون دليلاً حسيباً على حسن النية . كلا . بل تجاهلتنا وانت
تريدين أن أرفع غصن الزيتون ؟

- نكل منكماً كبريالا ، المتعادي . . .
دلت ابتسامة هلين إلقي أنها ساخطة تماماً . ثم قالت لها :
- لا تنسي يا عزيزتي لقاءنا غداً عند نبع نريثون حوالي الساعة الثانية .
وأمل أنك تحبين مشاهدة اللوحات والنحت ؟
- أحب أن أرى كل ما هو روماني .
- الى الغد إذن .
- وداعاً . سررت جداً بالتعرف اليك .

انفتحت إلقي ولوحت بيدها الى هلين أبقفاء التي كانت تسرع على
الرصيف المزدهم ثم أسرع روداري بسيارته وظل صامتاً طيلة الوقت حتى
وصل الى البيت . تعتقد إلقي أن غضبه عائد الى الأمر الذي شرحت
منه . قد تكون إلقي أي شيء إلا كاميللا السراء الفاتنة الأكيدة من نفسها
والخادة للذهن . هذا ما يحب الرجال في المرأة . انهم يستمتعون بإثارة المرأة
لهم . . . حيل وخدع لا تتعلمها الممرضات اللواتي يعاشرن الآلام في
مستشفى لا فتنة الجمال .

حين دخل البيت فوجئاً بهدية عرس كبيرة مختلفة تغليفاً جميلاً كانت في
انتظارها . تلهفت إلقي لتري البطاقة وقال روداري بجفاء ان البطاقة ربما
تكون في الداخل وأفضل شيء لمعرفة هوية المرسل هو فتح الطرد . وأخذ
يفتحه وهو يراقب إلقي تنطق الخيط وتخرج الأوراق الى أن وصلت الى
العلبة وأخرجتها . قرأ اسم مصنع شهر للزجاج في البندقية ودفعت إلقي
نظرها الى زوجها الذي قال بنفاد صبر :

- افتحي العلبة !

- يا من سيدة البندقية

قالت ذلك بعد تردد بينها كان قلبها يخفق بسرعة .

- هذا واضح . ارمي غطاءها لتري محتواها .

نظرت اليه مرة أخرى ثم انحنى وبدأت تفتح العلبة . ولكن بدون
لغة . أزال ورق الحريري وانفطحت انفسها عندما اخرجت جندولاً
من زجاج مصصاً لوضع الفاكهة وعلى كل جانب منه كأس من البلور
الصافي له جذع رفيع . وتناولت الغلاف الصغير وأخرجت منه بطاقة . . .
وفي الحال عرفت صاحب هذا الخط مع انها رآته مرة واحدة فقط قبل
الآن . كان الخط في منتهى الأناقة يتعني صاحبه لها زواجاً سعيداً .
والبطاقة تحمل توقيعين لا توقيعاً واحداً ، هما النسيور لوشيبوس دي مونتي
وزوجت الكونتيسة كاميللا ملفانومس دي مونتي .

بالجراتها الرقيقة ، قالت إلقي لنفسها وهي تحلق في البطاقة . ترسل
كاميللا هدية من بلور لتذكر عروسه بأنها كانت تعرفه قبلها . وهذه خدعة
ماكرة للتغافل عن حياتها وعلى بيتها . شيء نادر لتذكرهما بجمالها النادر !
ابتعدت إلقي عن الهدية كما لو انها غشيت انه تؤذيها بينما رفع روداري
أحد الكأسين وبدأ كأنه بلاطفه بيده النحيلة كما بلاطف كاميللا ذاتها . قال
إلقي :

- يجب أن تردي عليها بكلمة شكر . انه لطف من عائلة مونتي .

- انا موثقة بأن الكونتيسة لم تفكر في شيء آخر !

أدارت له ظهرها ودخلت الى غرفة نومها متخوفة من انه سيلحق بها
وسيشير عاصفة ولكنه لم يزعجها . ودخلت الحمام حيث أخذت دوشاً فاتراً
وقالت لنفسها غاضبة وهي تحت الماء ، انها ستحطم الهدية لو أمكن ذلك
وستجئ اذا اجبرت على قبولها . ولكن رفضها - حتى لو سمح لها روداري
بذلك - سيفسر بأنها تغار من كاميللا .

بلور لامع يذكر روداري بأشياء لا تعرف إلقي عنها الكثير . ربما أحدها
رحلات في جندول البندقية .

بدأ لها هذا المشهد حياً في مخيلتها واندفعت خارجة من حمامها بحركة
عصية وشعرها مبتل ومتدل على كتفها . ذهبت الى الشرفة وحاولت ألا
تنظر الى ديوان الأشجار حيث يوجد الاسم الجميل ولكنها التفتت ورائت
الطاولة خالية منه . قد يكون انكار قد أخذه من هناك فرحاً يعرف تلك
الفترة العديدة التي أمضاها روداري مع إحدى أجمل نساء المجتمع

جلست إني على أحد كراسي الخيزران ذي الشكل المروحي واستندت رأسها على مخدة . كانت بحاجة قصوى للاستجمام والمهدوء والتأمل في واقع زواجها . ليت روداري يطعمها عن هدية كافيلا ويقول :

الله من عدم النياقة أن نعيد هدية كهذه إلى أصحابها . . . لكننا منيها إلى إحدى المؤسسات الخيرية .

اغضبت إني عينيها وأحست الشمس المعصر دافئة على صدرها فقلب عليها التعاس واستسلمت إلى نوم خفيف . أحاسانها تنائم كثيراً من واقع زواجها لرجل تعشقه ولا تنق به في أن معاً . والمربك في وضعها أنها مستجد عنها في عوامة علامات زوجها عالم عصري كله ملامحة . حيث اللطافة والكناسة في الفن طما الأسقية على إيلام الشعور في السر . وإن هي اعجرت في غفوة فلأنها تعبت عاطفياً .

أفادت وهي تشعر بشعيرة برد وكانت الشمس قد غابت . نهضت عن الكرسي وتغطت ثم دخلت إلى غرفتها . كل شيء كان عادتها مستكيناً إلى قبولة روميا في لحظاتها الأخيرة . مشعلت شعرها وأبنت خلف رأسها ثم وضعت حرة شفاة زهرية وشعرت الأرنياح بعد قبلولتها على الشرفة ثم تزلت إلى المطبخ فصاح لصها فتجاءت لها .

سرها أن استأجر ليس من أولئك الخدم الذين يبتكرون عمل المطبخ لأنفسهم فهو يقول أنها السيدة الصغيرة وسعده جداً أن يعلمها كيف تجهز أطباق زوجها المفضلة .

المطبخ عصري ولا مع وتعجبها رائحة حبات البن المسحوق والاصغاف إلى خوخة غلبان الماء في الأبريق وهي تخلص خواص البن كما يعجبها زخرف المطبخ بلونه الأبيض والأسفر .

أفرغت إني القهوة في إبريق من الفخار ففاحت نكهتها الذكية ويوجعت على الضربة شداً من الكرمي والسكر والبسكوت . جلستها إلى قاعة المكتبة والجلوس ، وودتها غريزتها وهي في طريقها إلى هناك بأن روداري موجود فيها يعمل . وجدت الباب مفتوحاً جزئياً ولما فتحت بفتحه سمعت صوت زوجها وجمعتها كلماته في مكانها . ربما كان يتكلم بالهاتفون وسمعت يقول بكل وضوح :

لما طرنا بدافع غريزي إلى البندقة أنت عرفت أننا متصيح عاشقين هناك . وهذا كان محتملاً كوجود النجوم وأمواج البحر وبما أننا كنا عشيقين في ذلك الحين لا نستطيع الآن حتى الالتقاء كضديقين وطالما مستولين في حفلة الرقص الخيرية هذا الصيف سألقاك هناك وسأتعرف عليك مهما تلمت في التخفي وراء قناعك . . .

لم تطلق إني البقاء للاستماع إلى المزيد من ذلك . عادت راقصة إلى المطبخ وبقيت واقفة جامدة تحلق في الجدار . أحست بثقل الضربة مرصتها على الطاولة . أن كان ذلك في مدينة البندقة حيث اعتز زوجها كافيلا والهدية التي أرسلتها هذه الأخيرة هي لتذكره بحبيبها الذي قام هناك بين القصور القائمة في الماء وعلى رنين الأجراس وبين الحشائم . . . وفي سحر بحر البندقة الذي يفسر انعكاس نور القمر في مياهه الخضراء المائلة إلى الزرقاء .

ابتلعت إني ريقاً جافاً وبحركة آلية سكبت لنفسها فنجاناً من القهوة وطب خلفها ولكن كانت اعصابها متوترة وزاد توترها عندما سمعت وقع أقدام تشرب . ملا طول روداري مدخل الباب قبل أن يدخل المطبخ . هذا حسن وككل بت عاقلة عملت قهوة وأنا ذاتها اتعطش إلى شيء .

جلت إني بالقرب من الطاولة وسكبت له فنجاناً . وجدت نفسها بحاجة عن الكلام إذ لم يكن هناك ما تقويه به غير الشعور بالأم والسخط . كانت عيناه منصبتين عليها وهو يرتشف قهوته وكان فيها باهة وخول معاً كأنه يشارك القطط في ارتجائها وتعجبها في الوقت ذاته . يشيل الناظر إليه وشافة الحرة في جسده وسرعته في المحوم وجاذبيته القاتلة .

وأعدت تخلي النظر إلى الثوب الوردي المتصق بجسمها الرشيق والذي كان يكشف بشكل ناعم حيوية بعض أنحاء جسمها ولكنه لاحظ قوتراً لثوبها والنزولاً ومثلهم حق . ادعى بأنه كان منهمكاً في عمله طيلة الوقت وليس في مشكلة هاتفية بعيدة مع امرأة لن تتخلى عنه . . . عن الرجل الأسمر الذي عادت ومدت إليه يدين جشمتين تحت غطاء الصداقة مع العم . أنا حبيها لروداري هو بعد من أن يكون مجرد صداقة . زادت حدة حننها عليه لجرائه على النظر إليها بهذه الطريقة فيما ألكاؤه

متجهة نحو تلك المرأة التي عطلت ان يقابلها من جديد في حفلة الرقص
الخيرية التي هي من امير اللقاءات الاجتماعية في بداية الصيف حيث يتضع
المدعوون ويخرجون ويلتقي العشاق منهم سرا .

تأول قطعة سكوت بالشوكولا كان ليس في فكره شيء سوى تسكين
جوعه . رفع حاجبه وقال وهو يتضع السكوت :

البت بالفعل زوجة شاة تحبني . فبما تعملين لي قهوة لذيذة لا
تضهرين بكلمة واحدة هل ما زلت في خصام بسبب هدية العرس ؟ ماذا
تريدن ان اعمل بها ؟ اهدف بها من الشقة لتعطلم على الصخور ؟
هل ستفعل ذلك ؟

تعتبرتها كزوا من السم ؟ لك بعض المسك الضياني . ولكن
اكراما لعينيك الرماديتين سأناضلي عن حقيرتك هذه .

اشكرك .

أدارت عينيها لتجنب ابتسامته . من الصعب التمايح معه ومن
المتحيل عليها ان تنسى كيف تصرفت بصرف الاطفال ووفقت فيه
وأحبت صاحب الوجه الأسمر المدمر مختيرة الزواج به اعجوبة . تزوجها
غير بسبب براءة قلبها . كيف سيكول رد الفعل لديه اذا قالت له ان الزايرة
لا تقوم الا عمل شخصين في أقل من ربع ساعة في عابطة كامبلا من
نظلي قابعة في زوايا حياته لاسية السحة التي قدمها لها ليلة زفافها .
واليوم ، بالذات ، اهداها قلباً من حجر الباقوت وثألت كثيراً عندما
ظفرت اليه .

سيكون لك عماً قريب مجموعة كبيرة من الباقوت بدءاً من اقراط
الأذن الصغيرة .

لاحظ ان اسمرارك في تقديم الهدايا لي هو تعبير عن اضطراب في
ضميرك .

وفي الحال وضعت يدها خلف ظهرها لتخفي عنه الاسوار ذات القلب
المعشق . ألم يقدم لكامبلا قلبه النابض بالدم والشرابي ؟ ما زال جمال
كامبلا الخالي من العيوب مالكا مشاعره وشرى إلقن نفسها عاجزة عن
مقاومتها . وليس في مظهرها الا ان تكون عابطة لا تسرها اذا استحوذ
ال جليلك عندما يلبسها متخيلاً انه يجري كامبلا بين ذراعيه .

تتكلمين عن ضميري . كيف لي ان اعرف الحقيقي من المزيف
ليك ؟ ما علي الا ان انظر في عينيك فأرى وجهي معكوساً في يوزيك
لتكلمين .

نهض وتقدم خطوة نحوها فراجعت عنه رائحة رأسها الى اعلى مع
تصميم لي وجهها ووقفت في الحرف الآخر من الطاولة لتسلي له يدها
المخلووع اليه . اتخذت من الطاولة ترساً لها فلم يفس بعد وقت طويل بين
الافصاح عن حشفه لا صدافته تكامبلا وبين تحركه نحوها الآن .

ما عليك الا ان تسأل نفسك يا روداري اذا كنت دائماً تقول الحقيقة لي
ام لا ؟

هل تخمين ذلك . . . ابي كل الحقيقة عني ؟

حدثت في عيني اللامعتين فاحسث ذنات قلبها كالمطرقة . كلا . .
منها فزعها المفاجئ . من الموافقة على كلماته الصاخوة في هذه الغرفة .
قلن يبقى لها شيء . حتى ولا يصحس امل اذا وصف بضوته العميق الوثائق
شعوره نحو تلك المخلوقة الجميلة التي زيناها ومصورها غيره من الرجال .
لما لا اريد ان اسعد ؟

لحمي الدم من وجهي وأصبح صوت اللبغون وبرزت ملامحه . وهي
تعرف تمام المعرفة ان الحب يكون حقيقياً فقط عندما لا يستطيع المرء
تحمله .

شيء واحد لا يملكك تحمله هو انشائي الشعاري . هيه ؟

وفر علي ذلك على الأقل .

لمست شعاعها كيمراً كان الحال وأخذت تنسل فناجين القهوة وعمل
شفتيها ظل ابتسامة . كما ربت المطبخ لتعيد اليه نظافته كما يحفظ به
املكار . وبالرغم من انها سيده هذه الشقة تشعر نفسها غريبة فيه . نهض
روداري وهي مشغولة بنشيف الفناجين . سمعت وقع خطواته واغلاق
الباب . فمرر صوت هذا الاعلاق الى اغلاق قلبه في وجهها .

kwakeb

kwakeb

٧ - ظلام آخر التزوية

خرجت إلفي من سالون التزيين وعلى شعريها المنقى اللامع غطاء رأس من الخمél لي وضع جانبي . بدا مظهرها في أحسن زني ورشاقة كما يجب أن تبدو كل امرأة قلبها مضطرب لا تريد أن تظهر للملا جلالتها الغنية . عبرت قاعة البهو الكبيرة واقتربت من مدخله الواسع وكانت على وشك أن تشير إلى سيارة ناكسي بالتوقف عندما سمعت شخصاً يتكلم خلفها قائلاً :
- هل تخطب السرايكون التتغل في عربة الكفر الثارة من ناكسي سريع ومزعج ؟ أنا أكيد أن السيراكيبست في عجلة لتعود إلى شقة فارغة .

دارت حول نفسها بسرعة ولكنها لم تفاجأ برؤية زوج من العيون يشبه عيني البطل الميرتش في وجه له سحر مضحك .
- رالف . . . انت ؟
- أنا في خدمتك .

وأشار بيده إلى الجهة الأخرى من الشارع حيث كانت رافعة عربة ذات حصان واحد تزين رأسه بعض الأزهار ويقودها رجل يرتدي سترة زرقاء . اعجبها منظر وسائل التنقل القديمة البهيجة وقالت مبتسمة :
- في ظني أنك تقصدين التطاري .

- لا شك ذلك .

ضحك وهو ينظر إلى عينيها الواسعتين المتناقضتين بلونها الرمادي مع لون غطاء رأسها الكروزي وهو تناقض جميل ليست إلفي واعية له ، لكنها تخفي عنهما برموشها الناعمة حشمة كلما تطلع رجل إلى هاتين العينين

المتكيزتين الناعقتين الوجود في مدينة تعج بالعيون الفاتحة والسترات الخرية . اتسعت إلفي وانسمت معها عيناها لراف ستيفانو الذي بدا جذاباً بسترته البنية والسوداء فوق بطلون صيني وكنترة ليمونية بياقة مرتفعة صيفة وشعره السمكت ذي اللون الأسود المشوب بخطوط بيضاء والذي يختلف عن شعر روداري القائم السوداء . وعند تذكر زوجها تولاها الفزع لبرهة وخيرة وفكرت في أن تسرع بالابتعاد عن نظرات راف الجملة أو شكت في أنه مطن لوضعها المقتل في الحية الزوجية واستقل الشمس المشرقة عارضاً عليها شعة النجول في عربة لحيل . فقالت له :

- بالرغم مما يمكن أن تصوره ، أيا في عجلة من أمري لأعود إلى البيت . لا اعتقد ذلك . وصلت أداليا مكانة هاتفة من السورسو تطلب منها أن تصمم ثياب الفيلم الجديد . وكانت المكالمات من زوجها الذي تناديه باسم داري وهذا يعني تصغيره . . . بالنسبة إلى هناك عاطفة قائمة بينه وبين من يعرفونه بهذا الاسم !
- ولكن علي تحضير وجبة غدائه .
- هل خادمك الأمين في إجازة ؟
- أنت شخص وقع حقاً ؟

- كلا . أنا فقط رجل يجب أن يرافك في جولة وقد يعرض عليك في نهايتها أن تتناول غدائك معه . نيتي حبة .
- أنك حيوان في شكل إنسان يا سيور .
- أو كذلك أن المظاهر خداعة أحياناً . لك مظهر فتاة يربكها العالم ومع ذلك فأنت عروس روداري فورنو .
- تقول ذلك وكان روداري لا يتزوج إلا بامرأة متكلمة .

- يعرف المجتمع الروماني أنواق زوجك في النساء . فهل من المستغرب أن تسري الأناويل عن عروسته ؟
- وأنت ، ما هي أقاويلك يا سيور ؟ لم تحكم علي بعد بأن انتهائية

استغلت مهمة التعويض لتعوي رجلاً رومانياً شهيراً بوائه لخصه قرابه صديها ؟

بانت أسنانه عن ابتسامة عابرة وقلب نظره غطاء الرأس الكروزي الميت في شعرها البني الذهبي وقال :

- تشبهين يوماً عادئاً قد يتحول فجأة الى يوم عاصف . . . ولعلنا على غطاء الرأس هذا بعد أن تركت محلنا وأرسلته الى صالون التزيين هذا الصباح آملاً في أن تلبسيه . انه منسجم تماماً مع ثوبك .
- شكراً .

سارت الى جانب واجتازا الشارع لي اتجهوا العربية . وهكذا التزمت بركوب العربية وتتاول الغذاء الذي رتب له سلفاً . وما إن وصلا الى منتصف الشارع حتى فاجتهدت سيارة مسرعة وأسرع راف بحركة آلية في اجتذاب انفي اليه من طرفتها . شعرت بقوة جسمه التحيل وجاذبيته ووعيت تفهمه للمرأة اذا ضلت طريقها . فهو لا يطلب من المرأة أن تكون ملاكاً ولا يتوقع ذلك منها . ومن جبتها فأنها تطمئن اليه وتحشه في الوقت ذاته . واما هو فليس ملحاحاً ولكنه قد يحاول تطوير هذه الصداقة لصالحه .

ظننت اليه عندما وصلنا الرصيف وفكرت في تركه قبل بلوغ العربية ولكن عزمها هذا مات في مهده عندما رجع الحصان رأسه المرتين بالأرض وصعدت طين أجراسه . هل من ضروري جولة في العربية ؟ وكانت ترفعت أن يحدث ذلك عندما ارتدت مستاناً صليماً يكون أكثرهم قطعاً بالأرصاد الطعراء كانت قد اكتسبته السنة الماضية في لندن بسر زهيد . وشعرت وهي تضعه على جسمها بأنها عادت نفسها كما قبل زواجها من رجل لا يمكن التنبؤ عن عمق طبيعته وعما قد يفعله في أية لحظة . فأحياناً يغرقها في الشكوك وأحياناً أخرى يفرغها بتيارات الشجار ومرة يستحوذ عليها بسحره وأخرى يذيقها مر العذاب .

كانت قبل زواجها ترى الحب عند الغير غير معقد . كما رأت بعض صديقات لها من المعرضات يعرضن على شباب مخلصين ويتزوجنهم بدون أن يشيروا في ازعاج حياتهم الزوجية على الأقل .

- ادخلي العربية . . . هل تسمحين لي بأن ادعوك انفي ولو ليومنا هذا فقط ؟ وأنتك بالتأكيد متحمدي في متهى التحفظ اذا وجدنا بين حاجة فأناديك عندئذ بقلب زوجك .

التفت غينما يعني راف وهو يساعدها على دخول العربية التي وجدت مقاعدها مريحة رغم قدمها . ولم يلب عنها انه يمارحها ويغلبى بتخطيها

الانكليزي ويشعورها بالذنب لوجودها معه وهي الفتاة المتزوجة من رجل يمار على اسمه لا عل حبها . قالت انفي بحية :

- من الصعب أن يكون الانسان رصياً مع صديق .

ضحك وقفز الى العربية وجلس بجانبها . وجه كلمة بالابطالية الى الحوتى ووقع هذا سوطه وأطلق العنان لخصائه . كانت تسبح حوافر الحصان في معصرة السيارات والدراجات النارية التي تهر من حوقها كالنحل الغاضب . اقرباً من عين ترفي بتماثيلها الجميلة وبما لها المناظر فوق تماثيل الحوريات .

- هل زرت هذه العين وقذفت فيها بقطعة نقدية ؟

- اعتقدت بأن السياح فقط هم الذين يقذفون بالقطعة في العين .

كانت انفي وهما يدوران حول العين تراقب الناس ورأت بعضهم ينحني الى الامام ليروا سقوط القطع في الماء ومن بينهم اثنان متشابكا الأيدي ربما كانا في شهر العسل ويأملان في أن يعودوا يوماً ما الى مدينة الحب .
- ربما سيث يا راف اني اثبت هنا لأبقي .

- صحيح ، ولكن الرومان أنفسهم يؤمنون بالخرافات . يأتون الى العين ويؤمنون بقطعة نقود لا مسترخاء القوى الخارقة قبل كل رحلة بيوت القيام بها .

- هذه القوى الخارقة جشعة . . . الا تمنح رغبة بدون مقابل ؟

- لكل شيء مقابل بطريقة أو أخرى .

- انظر يا راف (اشارت بيدها الى السماء) السماء صافية .

- الى حين فقط ، وعندما غطر السماء ينهمر المطر في شلالات صغيرة من كل سقف مائل ونرج فتحتا يتابع روما الصغيرة .

- تروق لي الأيام المعطرة هنا .

- ولكن الليل يصيب كل واحد منا .

- وفر علي يا راف طريقة تفكيرك اللاتينية المنطقية 1 كنت اعتقد بأن

الايطاليين هم أكبر الرومانطيقين في العالم بآثارهم القديمة وأنغامهم وبنائاتهم المزهرة ناهيك عن وجوه تيتان التي تراها في كل مكان . فقط الفتاة الانكليزية تتكلم هكذا . اما النساء الايطاليات فهن طاهيات ماهرات . ويعطين المعكرونة نكهة لذيذة جداً . بخلاف الفتاة

الانكليزية التي رجعها تميز باللون السماوي في عينيها .
لم تعلق إلفي على ذلك بشيء بل تلهت بالنظر الى الريف الإيطالي حيث
كانت هرتها تسير على مهل . وبعد برهة سأله بلطف :
- الى أين نحن ذاهبان ؟

- الى الشاطئ . على بعد بضعة أميال حيث يوجد مطعم قديم قائم على
جانب التل وستزل بعد ذلك الى الشاطئ

- الا يتوجب عليك أن تعود الى العمل ؟
- لذي كل الوقت بعد أن اخذت اجازة نصف عام .
- ارجو يا راف انك لا تنظن بأن لي . . . رغبة في علاقة معك . . .
- هل تعتقدين بأن اقيم علاقات مع كل فتاة اصطحبها لتناول الغداء
معني ؟

- تناول يدنها ورفعها برفق ، ثم أردف قائلاً :
- هل تحبين من أن يصنعني زوجك لاني دعوت زوجته الشابة الى
الغداء ؟

- يجب أن يكون هذا اليوم . . . طمعاً بيتا . ان احبه يا راف .
- عدد النساء اللواتي يحسن الزواج من كثير .
- لا تنكلم بسخريه كأنك تضي أوقات فراغك في اغواء الزوجات .
سأطلب من السائق أن يعود بي .

- رفضت له اجراً كاملاً . وقد نجدين الخوذين الإيطاليين هتلمين .
- والساء الانكليزيات أسوأ أقل صناداً .

- غيبات وساحرات تحمين طيبة قلبهن . صدقني . لي وجه
مزيف ، ولكني أقل خبثاً مما يبدو علي .

- اقتبعت بكلامه وضحكت . ثم أضاف قائلاً :

- حسناً . استرخي واستمتعي بيومك . انظري الى صلاء النساء
وانظري الى تلك الطيبة التي تركز مبتهجة بهذا الصيف .

- وانطلق يفتي بالإيطالية وهما ما زالا على الطريق الري . مرة بقرية
ليونجا طابع شرقي ولون ايضاً وعبرا شوارعها الضيقة حتى وصلتا ساحة
السوق . ومن القرية عبرا مزارع زيتون اشجارها قليلة ومعوجة وورقية
المنظم ترمز الى عباد اهل الريف الذين يكادون ليلي نهار لاستخلاص لفحة

العيش من ارضهم .

- تشقت إلفي ورائح البر الإيطالي الذي يختلف كثيراً عن مروج بلدها
الواخرة الاخضرار . الشمس هنا أكثر دفئاً وأريج الأرض أكثر طيبة
والعصافير أشبه بصقور صغيرة تنقض على الفاكهة الناضجة . قال راف
هائلاً :

- ما اجل هذا المنظر !

- نعم . وجماله فطري .

- انكلترا ليست فطرية على ما اعتقد .

- كلا . انها قديمة وحلوة وعادنة خارج المدن . هنا في إيطاليا تظل
الحواس منتبهة .

- آه ، هذا اعتراف مهم .

- لا تسمي "تفسير كلامي يا راف ، لم احسن بأن اريد أن ابقى . . .
رومانطيقية كل الوقت . ما عنيته هو الشكر والامتنان لوجودي حية ومدرجة
لكياني . هنا يتعلق الانسان بالحياة كمن ينشئ بفاكهة طيبة .

- ففاحة ؟

- نعم .

- ضحكت لهذا الحوار وشعرت بترافع في اعصابها بعد التوتر الذي
استولى عليها منذ أن بدأ يلاحقها يوم أمس . صدقت الحكمة القائلة :
" اغلق بابك واحفظ سررك " . لو اغلق ووداري باب مكتبه لما سمعت
حديثه التلقوني مع المرأة الأخرى . . . ولكن يجب أن تتوقف عن التكبر في
هذا الأمر الذي يزعجها كثيراً فطقت به .

- يجب أن تنسى وتنتعج بهذه النزعة التي تسطع فيها الشمس في كل مكان
كانت تبتلع بوجودها على شاطئ البحر وهي صغيرة في الكلترا ، وفي
إيطاليا لا يفكر الانسان بالغد قبل أن يأتي الغد اليه .

- هذا الفضل . فلن تعود شفتاك تشجان كلما التمت وأنت متوترة .

- لم اعتد على الشخفي والتهرب يا راف . كنت عرضة نحية لعملي .

- هل ذكرت الحب ؟

- كلا . انك سمعت ما قلت تماماً .

- بهذا تعين انك ستبتين زوجة نحية ، أليس كذلك ؟

- طبعاً .

- لاحظت انه سخي جداً معك .

لمس راف يدها ثانية ودس اصبعه تحت قفازها حيث اسوارتها التي لم تستطع غسلها بالبارحة . وتذكرت قول روداري وهما يتناولان طعام الفطور بأن الاسورة ابدية ولن تفك بعد شبكها حول المعصم ، واكد لها بانها لا تفقد بريقها وظل منظرها جميلاً .

- ولكن ...

شعرت بأن الاسورة ترمز الى سلسلة الرقيق .

- لكن ماذا يا عزيزتي ؟

وبعض وتركها بعد التطور مترجها الى الاستوديوهات تصويره الآن واقفاً في هو الشزل واحسث بقلبه على يدها ويدنه لسته ويضغفه على قلب الاسورة على جلد معصمها .

في هذه الاثناء ازاح راف طرف القفاز لينامل في الاسورة .

- لكن ... كيف تفكيها ؟

- لا تفك .

- انه لو ما عطفي حذ أن تحمل قلب رو حك على معصمك وان تشعري كيف يحرقك في جو الشمس الإيطالية . هذه هدية من تقاليد عصر النهضة ، ولكن يبدو روداري كما بدا داني أو ... مكيا في .

- كفى يا راف !

انزععت يدها منه وقالت :

- اذا أردت أن نبقي صديقين فاني انبهك بانني لن التحمل سماع

تلميحات عن زوجي .

- هل فيه كل الصفات المتوجبة في الزوج ؟ لا نفسي . احبك بانني

سأقول ما اريد قوله هذه المرة فقط وهو ان الرجل الذي تحبه المرأة يجب أن

يكون صديقاً وسيداً ... عطوفاً وسوطاً . والان قول لي بانني على خطأ

وان المرأة لا تريد هذه الصفات .

- طبعاً .

- انشعنت مرغمة ولكن صورة كامبلا راسخة في ذهنها ولا تستطيع

محوها ... كامبلا المرأة التي اختبرت فرح حب روداري لها حياً عتيقاً

ويهيحنا في آن معاً . ثم اخافت قائلة :

- كل امرأة تحلم بحب رائع متعدد الوجوه وأستطيع القول بأن الرجال

لا يختلفون في ذلك عن النساء . لكن الحب ليس كاللباس الذي يمكن

صفله حتى درجة الكمال .

- او كالباقوت ... آه . وحسناً تقريباً . انظري يا إلفي ، لقد اقترنا

من البحر !

ا كانت بيوت سكان الشواطئ ملتصقة بالرفأ وبحائط البحر حيث

يتحدر الرمل الصلدي حتى يلامس المياه . وهناك حاجز خشبي طوله

حوالي نصف ميل يحبس الرفأ من فلالطم الأمواج وعند الحاجز وقرب

الأرصعة زوارق صيد بأشعة متعددة الألوان . وعندما اقترت العربة من

أكواخ السمك وصلت الى انق إلفي رائحة السمك وذايعت العربة سيرها

في طريق خفيف ومنمرج صاعدة نحو المطعم . ورافقت العربة في صعودها

رائحة البحر والسمك ومالت إلفي الى الأمام لتستع نظرها بمراى زرقة

البحر والأشعة الملونة والزوارق شباك الصيد الخضراء والقرمزية

وعمران الرجال الأشداء وهم يخوضون في الماء عائدين وعلى اكتافهم أو

وؤرهم سلال ملأى بالسمك . قالت إلفي :

- طبعاً حذ . حضرت البارحة حفلة كوكيتل مع شقيقة

روداري ... كان كل واحد يرفع حاجبيه بمناسبة أو بغير مناسبة . ورايت

نفسى مثل مندريلا فخشت أن يتهلل ثوب الأبيض ويتحول الى خرق .

ضحك راف وقفز الى الأرض بعدما توقففت العربة في فناء يتخل للبرء

انه نحت في صخر التل . ورايت إلفي نبات الدلفي الزهري يعمرش

بأغصانه فوق الجدران ويسند شرفات خشية واقواساً يؤدي بدون ترتيب

الى جميع أنحاء المطعم وكل ذلك حلفت للأنظار بيقع المطبخ هنا وهناك

ويعتظرو البديع الجذاب ... وذكرها هذا المكان ينفهى الجزيرة حيث

احتت إلفي بتكوليا وطقها .

وفيما كانت إلفي تنظر بحدة في ما حولها وهي واقفة في الشمس المحرقة

أن راف وأخذها من يدها وقادها الى الداخل حيث اشار الى خادم المطعم

أن يجهز لها مائدة لائقة . فأخذها الى مائدة تظللها أغصان الكزبرة . بدا

لإلفي انها مفصولان عن باقي الزبائن وان الخدمة تقدم لها بعناية لها طابع

يميز طبقه اللاتينيون عندما يقومون على خدمة خاصة بالناس . قائمة الطعام مزدهرة ومنوعة ونظر راف الى إلفي مستضراً :

- هل نطلب قريديس من الحجم الكبير مع الليمون والخيز المحمص والزبد ؟

- هذا مثير للقبالية .

بالإضافة الى هواء البحر الذي ينهها . وقال راف للخادم :

- أضف كدأة البحر على القريديس .

والفت الخادم نحو إلفي مسكاً بقلبه ليدون طلبها وقال :

- شيء آخر يا سيورا ؟

كشفت عن رأسها وأمانته الى التوراء وسطع شعاع الشمس عليه من خلال اغصان الكرمه وأبرز رشاقة عنقها . اما عيناها فشئت منها نظرة تحفظ وهدهود ولما رفعتها بدت كبركة ماء . وزاد من هدوء مظهرها يريق المجوهرات في اصابعها وعلى معصمها . . . هدوء يشبه برودة المطر الهاديء الخفيف واليوم انداف .

قالت إلفي لراف :

- انت اعتر لي

- حساً . افترج لحم عجل بعظمه والملح وساطة من الخضار . ونصير

انك لا بد جائعة بعد هذه الرحلة .

- انت ساحر يا راف . لو عدت الى شفتي لاكتفيت بعجة بالبيض

غير .

فطعت كلامها عندما لاحظت كيف أخذت تقبض على حرف الطاولة

بشدة ، الا انها تابعت :

- بحلولي وجودي هنا . هذا النوع من المطاعم يجذبني اكثر بكثير من

المطاعم الثمينة .

- هذا ما اعتقدته .

واستلقى الى ظهر كرسية الخيزران وأخذ ينفوس في إلفي ، ثم قال :

- تبدين هادئة جداً .

- اخلع مشرتك . خذ راحتك بغير رسميات .

- لم لا ؟

خلع مشرتة وألقاها على ظهر كرسية وبدأ عنقه اكثر سمرة وبرزت معالم وجهه . ورغم مظهر المهرج الذي يبدو فيه اجباناً الا ان رفقته لطيفة ولا يخلو حديثه من مواضيع مثيرة . فملكها الاستغراب ان تكون اكثر راحة في رفقته منها في رفقة زوجها .

الى الخادم بسلة خبز مقطع ومعها صحن من الزبد الذهبي اللون . تبع ذلك طبق القريديس وبجانبه صلصة الليمون والأعشاب وطبق الكمأة الذهبية .

وتحدثا بعد الغداء عن مختلف المواضيع وعن مهنة راف واهله العجورية وشمل حديثها بعض التفاهات التي كانت تضحكها .

لدى إلفي احساس بأن راف قلما يتكلم عن أشياء عميقة او جدية . ووجه مرحه وجريئة وبذلك صفة حسن التمييز والدقة عما جعله يتبنى مهنة التصميم . وكان قبل ذلك مصمماً في احد المسارح وأسرها ان لندن هدفه حيث يأمل ان يفتح صالون ازياء فلندن هي الآن مركز الأزياء العصرية وهو لا ينكر ان له طموحاً كبيراً .

- انت لست مطلقاً ما كنت اتصوره عن الذكور من مصممي ازياء

النساء . هل لك عائلة في روما يا راف ؟

سأله وهي تنفوس في حركات وجهه ولم تقو على اخفاء ابتسامة خفيفة .

- هل يظهر علي انني يتيم وحيد ؟

- من المؤكد انك تنجح في ابعاد الوحدة عنك ولكن يخل لي انك مثلي

بلا اقارب .

- لا اقارب البتة ، حتى ولا حبيبة .

- لا تدعني الى عدم تصديق ما تقول . انت ماهر في اعجاب الجنس

اللطيف .

- هل اعجبتك يا إلفي ؟

- استهلكت كل الطعام الذي اخترته لي .

- في كل الأحوال ، الآن وقد تزوجت ألم يصبح لك عائلة ؟ كنت في

فيلا الجزيرة . . . اخبريني . . . كيف هي ؟

- جميلة ، غامضة ، وأثاثها من طراز ايطالي فائق .

- سمعت ان امه كانت ساحرة حمراء الشعر وانها ماتت بفاجعة .

- نعم . سانشا ماتت وهي شابة .

- كالزهرة ، هيه ؟

قال واقتطف زهرة من بين الأزهار على الجدار وقدمها إلى إلفي التي أخذت تشم رائحتها الزكية ، وفجأة فطنت أنها بعيدة كثيراً عن روما وإذا عاد روداري إلى الشقة هذه لن يجدها وكانت قد أعلنت أنكرا بذهابها إلى صالون التزيين فقط ولكن إذا واثما الخط فإنه سيفترض بأنها ذهبت لتجول بين الخوانيت أو لتزور بعض الأماكن التاريخية . لا يجب أن يعلم روداري برحلتها هذه إلى البحر . ألم يسأل عنه عندما رآه يكلمها في ذلك اليوم في قاعة عرض الأزياء ؟ فقد عسى ولاحظ بعينه الثابتين جاذبية المصمم كما تجلبها النساء والتي لا يجلبها أي زوج في نزعات بحرية .

- إلفي ... تبدين بعيدة عن هنا .

أفاقت من غيائها في عالم الفزع فقالت له :

- كنت أفكر ... لا يجب أن تبقى هنا طويلاً يا راف ، وقد يتساءل

روداري عن سبب تأخري وسيصر على معرفة مكان وجودي .

نظر إليها بتعجب ثم سألها سؤالاً غامضاً :

- وهل مشغوبته ؟

- لا ... ليس علي أن أخبره بكل شيء أفعله ، اليس كذلك ؟

- إن قضية وضع ساعات مع صديق وتناول وجبة طعام وتورد الوجه من

جاء هواء البحر ليست جريمة .

- الرياح أخذت بالمحبوب ... أرجو ألا يتغير الطقس .

- الرياح أكثر انطلافاً في الساحل . وأعدك أننا سترجع إلى روما بعد أن

نتنزه قليلاً على الشاطئ . انظري إلى الزوجة التي تدعونا .

وعندما ألفت نظرة على البحر تحتها عادت بها الذاكرة إلى تلك اللحظة

الروحية في الجزيرة عندما اتاهت الأرض تحت أقدام روداري وهو يتعارك

مع نكولينا . وأجابت إلفي :

- صحيح . دعنا نزل إلى البحر .

- حسناً . ولكن سناكل بعض الفراولة مع القشدة كالأولاد .

أشار إلى الخادم وقدم الطلب إليه . لم يسع إلفي إلا أن ضحكت . لأن

مرح راف لا يقاوم ولا يخسر المرء شيئاً في رفقته . وذهشت إلفي لحجم

الفاكهة وقالت برهبة :

- انها يخجهم الخوخ .

- كلي فقط ولا تحالي الأشياء . هل مسرورة أنت لأنك لم تنصاعي

لنهورك عندما ذكرت أن النخلص مني هذا الصباح كأنني كنت اختلط

للاعتداء على عقافك ؟

- تجعلني أشعر كأنني قار صغير .

- ولكن لم يكن القار مرقعياً ، بل وجلاً وحسب وهو واقف على الرصيف

يتدافعه جمهور المارة غير مباليين ... وهذا ما جعلني أتحدثك من يدك .

- هذه شهامة منك يا راف ولكني لست تلك العاجزة . لا تنسى أي

كنت عرصة ومهنة التعريض خشنة على الرغم من الطقم الأزرق

والأبيض . المرضى ليسوا شجعاناً أو عازفين بالجميل . بعضهم

صحب الرأس .

- كم سأحب لستك الناعمة على جيتي الساخن لو كنت مريضاً ولكني

دائماً أنعم بصحة جيدة وأحمل معي نعويذة غجرية تحميني من الحوادث

المفاجئة ...

- تخيل لي أنك تملك موهبة تدبير أمورك بنفسك .

- نعم ... ولكن اعترفي بأنك تتمتعين بوقتك . لا يعرف مخلوق أننا

هنا ، ولشيء عودتنا إلى روما سأترقب هناك قبل أن نصلي إلى بيتك ، ولن

اطلع أحداً عن رحلتنا اليوم ويمكنك أن تدعي بأنك أمضيت هذه

الساعات وأنت تتسكعين مثلاً في حدائق الفيلاصرة

- أي أكثر الكذب .

- حسناً . تستطيعين البوح بالحقيقة ؟

وبعد تفكير قصير أجابته :

- نعم ، ولكن بصعوبة . والآن ، هل نشي في نزعة يا سنيور ؟

- بل هل نسبح ؟ من الممكن استئجار البسة سباحة والماء ملائم جداً ،

وإذا كنت لا تعرفين السباحة فسأعلمك .

- أستطيع السباحة يا سيد حافق ...

نظرت إلى الماء الأزرق الصافي وقدرت برودته . كانت قد تعلمت

السباحة عندما عملت مدة سنة في بيت للحضانة قرب البحر وكانت

السباحة جزءاً من عملها عندما كانت تنزل الأطفال إلى الماء على أيمان

كونها مائة بالمائة .

وتذكرت احدى الليالي وهي في فيلا الجزيرة اذ نزلت لتسبح في البحيرة مع روداري . كانت تلك ساعة مشيرة مليئة بالعبادة التي تمررت فيها بعد ثلاثت في صياح الشئ .

شجرت البامدة والسخط مرة اخرى وقيل باقواض والى لم لا في
استقامتها استجار قبة لتغطي تسريحة شجرها الجديدة .

طلب راف الحساب وبعد أن مدده قال له هذا إن في إمكانه الحصول على لباس السباحة من المطعم ذاته . فمعظم الزبائن يقتنون بالبحر وتطليب هم السباحة فيه . هل يفضل السنيور والسنيورا في مرافقته ؟ سحب الخادم كرسى إلفي فنهضت بذوة أن تجوز على النظر إلى راف . تعلم أن نظرة الرجال الأبطالين في الزواج نظرة مترفة بشكل غريب ، ولذا فإنه من الطبيعي أن يفرض الخادم أن امرأة لائقة خاتم زواج في اصحابها هي حتماً زوجة الرجل الذي تناولت الطعام معه . جعلها مرفقها هذا تشعر بالندب ، ولولا تلك التزعة التي تلاحظها لتثور على روداري لتعلقت بأعذار راف وأجبرته على اغلائها إلى بيتها .

بقي لسانها معقوداً وهما نازلان إلى البحر تاركين جودتهما يقط في نوم
منادي، في عرته . لقد كل منها منشقة حول خصره فوق ثياب السباحة
المزوكشة . وكانت خطوات اقدامهما ترن على السلم . السكون شامل
وروائح الأزهار منتشرة . واختلط أزيز الصرصر بصوت الريح التي كانت
تغصص صواري الزوارق عسائل . هناك العديد من الزوارق من جميع
الاشكال يحاها وأشرعتها وشباكها وسلاسلها وتماثيلها الأمامية الرمزية .
كل ذلك كان يبدو مخدراً في الشمس بقطبه ضباب رقيق تفوح منه رائحة
البحر .

وَقَفْتُ فِي بَجَانِبِ الْحَائِطِ الْمَهْتَرِ، مِنْ تَلَاظِمِ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ عَلَيْهِ وَامْتَدَّ
نَظْرِي إِلَى الْبُيُوتِ السَّابِقَةِ عَلَى طُولِ الشَّاطِئِ، بِدُونِ أَيِّ تَسْبِيحٍ إِلَى الْحَدَائِقِ
الَّتِي تَصِلُ حَقْقَ الْمَاءِ، وَرَأَيْتُ عُرُوقَ تَبَعِ الْيَمِينِ أَمَامَ أَحَدِ الْبُيُوتِ
وَأَعْجَبْتُ بِعَنَاقِيدِ الْيَمِينِ الْمَدْلَاةِ مِنْ حَقِيقِ الْعُرُوقِ.

كل شيء بدا غافيا. ولما وحدهما لم يقعا تحت مظلة سحر الحرارة
الجلود المبطرين على قرية الصيد... ولم يعكر صفو هذا المنزه إلا

التي تقف نظرة فرأيا امرأة تشدب شجرة تين وتحادثها وهي تعمل .

تعداد صفحات: ۱۱۱

ما تسمى بالآذان تقبل؟

هناك قول إيطالي مأثور يتضح بالاعتماد العدمي وراء أبواب مغلقة في

المؤمنين

لكني استبكرت

كَمْ رُفِطَ الْيَهُودُ يَحْيَىٰ قَبْلَ

يا فتى ذلك .
لا تسي ذلك يا راف .

رَكَعَتِ وَسَبَّحَتْهُ إِلَى الْمَاءِ . وَيَدُ الْإِنْسَانِ

مرعت وزراء زورقاً راس على الرمل وفي الخيال خلعت فستانها وملبسها
أخلى وأرتدت ثوب استحمام يكون اليرقان وغطاء راس بخفضة النفاخ

رجعت من محبتها وهي تضحك ومبرحيت عن بعد:

Figure 1

برو داند و احد آنكه عريان فيها جمه الاسير النجیل مرتديا
حمام ذهبي اللون. ضحككت التي بطنية واندفعت مسرعة الى

شهرت بالویم تقصیر و جهل

مغيا للقاء القارئ

سبغت راف عتف اجميل اجميل اء ورائه بنخط في الماء مثلياً اليه
جه المعبود واخذ مسح كالدقن الصغر

- خذ مكانك . . . استعد . . . الى الامام !

انضوت حركة ذراعها تتناسق مع حركة ذراعي راف وازدادت حملاً عندما رآته ينظر اليها ووضعت نصب عينها الانتصار عليه . وعرفت من كنية الماء الذي كان يرتفع فوق يديه ورجليه انه ليس ذا خيرة في السباحة مثلها . . . ومن طريقة انسابه في الماء التي لا تشبه خيرة زوجها في الانساب . وحتى هنا رغم بعد المكان لم تتخلص من سطوة روداري عليها وفي كل مرة تحاول التخلص منه اثناء السباحة ترى نفسها في نهاية الامر بين ذراعيه المتلئين في ضوء هلال تشبه بقرن ذهبي للشيطان ! ولما كانت غارقة في أفكارها لم تسمع صوت الزورق الذي كان آتياً بسرعة فائقة حول منعطف الخليج وهو يثير أمواجاً من الماء في طريقه نحوها وفي اللحظة الأخيرة فقط انبه سائقها الى وجودهما فانحاز عن راف الذي حاذ عن طريقه بسرعة فائقة . الشيء الذي لم يتمكن الذي من عمله ورفعته كتل الماء الناتجة الى اعلى كقطعة فلين وصارت تدور حول نفسها بلا حول واحسث انها تحسرت كثيراً لحسرتها الماء التي كانت تدفعها قوة سرعة الزورق في كتل خفيفة . جاهدت كثيراً لتسعيد انقاسها وسقطت انجراً في حوض بها اطرافها لا تلتفت الغرة عن الحركة . احسث بانها على وشك ان تفقد حواسها واستحوذ على فكرها الشوش الخوف من انها لن ترى روداري مرة اخرى .

وجود . . . مشاهد . . . كانت تصخب في رأسها عندما تفادلتها كتل الماء اجنوية . . . بعدما انقضيا وقتاً مريحاً كطفلين يوشن . . . الآن يحيط بها الظلام من كل جانب .

٨ - مكان لشخص ثالث

احسث بشغور غريب وكانت واعية بانها في غرفة غريبة أيضاً . دخلت الشمس بنورها الباهت عبر شباك النافذة الحديدية ورسنت غاذج على الجدران البيضاء . ولم تدرك انها تضغط بأصابعها على برسم غطاء السرير المجدول . كل شيء في الغرفة غير مألوف لديها . . . الى ان دارت برأسها على الوسادة ووقعت عيناها الغائمان على شخص كان منحني فوقها . عرفت صاحب هذا الوجه المصاوم والشعر الأسود في أعناق اغماق ووجهه . كانت قد تعرفت عليه قبل ان تنفي به تالياً وجدت ذلك في حياة ثانية . . . لم يقل لها هو نفسه بانها كانت عمدة لروما في الماضي الخاضع البعيد ؟

- أهذا انت ؟ شيء ما حدث لي . . . لا . . . لا اذكر ما هو بالضبط .

احسث والعبارة تخرج من فمها بصوت ضعيف ان لشفتيها الجافتين طعماً مالحاً ، كما احسث بالغبان بينما بدا الشحوب على وجهها جلياً .

- ستتذكرين عينا قريب .

مد ذراعه تحت ظهرها ورفعها لتجلس مستقلة الى الوسائد ورائها . احسث بقوة هذه الذراع وحرارتها . ووضع كاساً فيه ماء على شفتيها فشربت بتلهف متسائلة عن سبب بلادة حركتها وضعفها .

- شعرت كالي جافة . . .

- لا أغرو بعد ان ابتليت كل هذا الماء المالح .

جددت فيه وبدات تشعر بالارتباك والخوف . رأت في وجهه نظرة . . .

kwakeb

قاسية .

- اوه . . . هل كنت على وشك الغرق ؟

بدأت ذاكرتها تعود اليها وامتلأت عينها بالرغب وهي تتذكر الأحداث التي أدت بها الى وضعها الحالي وكل نقطة تذكرها كانت بمثابة طعنة في قلبها خاصة ان نظراته بدت خالية من الشفقة . واجاب :

- نعم . ولكن ستفانو أنفذك واعادك الى الشاطئ في الزورق الذي تسبب في كل هذه المشاكل . افرغوا رثيك من الماء وأثوابك الى هنا ورأى سبيلك لبقية وجسراً من أن يتصل بي . فحملني لانشيت في طوافه الى هنا وكنت ما تزلين غثة عن الوعي عندما وصفت . . . وكل ما يقال هو اني صدمت عندما وجدت روجي في هذه احلك بها كنت موقناً بأنها في امان في البيت .

- لم . . . اراي سوء في تناول الغداء مع راف . . . خاصة انه لا يبدو عليك انك تهتم كثيراً .

- اهتم في عدم تورط امرائي مع رجل آخر .

لم يابه لدموعها وبات الغضب في الفتحاح منخره وبروز وجته واحمرأ عينيه . واضرب مؤثناً :

- انك دائي نهمين في انحاء مطهر المرأة وما ان اثير طهري لك حتى تقعي في مشاكل . قد ازعزع كيائك يا لافي .

أظهرت ابتسامة مرغمة عليها تحرك مشاعره فقالت :

- ارجوك . لا تفعل هذا . اشعر بشيء عريب في رأسي . . . كأنه يحشو بالقطن .

- تناولت مسكنات لتساعدك على النوم كل الليل فتخلصك من آثار الصدمة التي ألأت بجهازك

- هل اتهم من ذلك ان كل هذا حدث البارحة ؟

- نعم . نعمت بمجازفتك الصغيرة مع راف ستيفانو يوم أمس وبقيت أنا طيلة ليلي هنا . أما هو فعاد الى روما مع لانشيتي .

تلقت كل هذه المعلومات بألم كبير ولاحظت ان زوجها لم يكن حليق الاخر وان ثيابه مفرج عند أياقة وريطة عنقه مسجلة . وكان طاهراً انه لم يتمض غيماً ، فاختل قلبها ينفض بسرعة لأنه بسببها امضى ليلته ساهراً

وربما قلقتا عليها .

- كل شيء كان سليماً وبرئاً . . . كنا كالأطفال نلعب في الشمس يا روداري (قالت مائة بعدها له) صدقتي .

- اميل للاعطةك بأنه لو لم تنهي من حادثة الزورق لكنت سقطت في حائل صديقت الماتر . يقولون لي بأنه يغسل نفسه لوتاريو ، ذاك الخليع المعروف في كتاب رو لانكليزي وفي قصة دون كيشوت أو كتاب غوته الاثالي . أتعرفون عن لوتاريو ؟

- ليس معظم الرجال مثله ؟

أحد فحما يصغر ويبدأ ويبدأ وهو يتخلص من تأثير المسكنات . ولكن روداري ، من دون الرجال ، ينصب نفسه قاضياً على راف . . . راف هذا الذي انقذ حياتها ؟

- اظن انك فضلت لو اني غرقت . . . فقد ينفلت هذا من ارتباكك في الاقرار بفشل زواجنا

- تنكسين وكأنك ما زلت مصابة بالدوار (قال وهو يحك عنقه) لا تعرضت للمخطر لو انك لم تنقادي لتكلمات هذا الشاب العسولة وطيشه .

وصيلة نولاً ما خوف شديد جعلها تنكمش على نفسها عندما مد يده ووضعها على مؤخرة عنقها وقال :

- هل تصقدين بأن احب ان ينشر في الجرائد خبر عيبك العائش ؟ لو لم استعمل نفوتي وأهدد لكنت قرأت عن حادث مشرقع لزوجتي في السحر مع رجل آخر . يا للسوء ، أنت ترتعشين ، هل أصابك برد . . .

حي . . . تكلمي !

- انا مرتعبة منك . الا تشعر بالاشفاق يا روداري ؟

تغير وجهه من عابس الى خائف . قال :

- يجب ان تتاولي شراءاً ساخناً وشيئاً مقلداً . هي تشعرين بالقابلية ؟ توقفت قبل ان تحب لتخبر رد فعلها على اقتراحه وراحت ان شعورها بالغبان تلاشي تقريباً فقالت :

- اعتقد كذلك . . . ينض مع الخبز المحمص ينمضي .

ينض وأفقاً وتناول سحاحة التلفون وطلب الخبز المحمص للافني ويضاً مقلداً بالكلوات ويريق قهوة وكمية من الكريما الطازجة . . . وقال مضيقاً

بصوت جهوري :

- للسنيوزا ، زوجتي .

احتارت إلفي في موقف تتخذه من هذا الرجل الذي يتبدل من الغضب إلى القلق . ما شعوره نحوها بالضبط ؟ ما نوع الاتصال الذي جعله يقسو برغم أنها كانت على قارب قوسين من الموت ؟ ألا يستطيع هو ؟ هل يتوجب عليها أن ترضي طلباته بينما هو يخطط للقاء مع كاميللا ؟ تنهدت بحسرة وقالت :

- لا أريد الموت يا روداري لأنني سأخسرك ... ولكن يا حبيبي الغريب ، لماذا أبالي بك بينما أنت لا تبالي إلا بكبريائك ومركزك ؟ لماذا تسمح لك يقول هذه الأشياء لي وأنا عائلة بكل شيء عن نكوليت وعائلة أيف حبيبك من أحب مع شخص آخر ... عن حب حتمي كحتمية وجود النجوم ؟

دخل الخادم بعربة تحمل الفطور وبدأ عليه احترام سيكون الغرفة ربما خوفاً من روداري الواقف بقوامه المديد عند النافذة فلم يجسر حتى على النظر إلى السرير .

- أتوك العربية هنا (قال بلهجة الأمر) سأقوم على خدمة السنيوزا بصبي واسكب القهوة لها . من الممكن أن نطلب إلى كاتب الاستقبال بحجز سيارة تأخذنا إلى روما خلال ساعتين من الآن بينما تكون زوجتي جاهزة .

- نعم يا سنيور .

انسحب الخادم وأغلق الباب بهدوء . واقرب روداري من غربة الطعام وعمل شفته ابتسامة خفيفة وياشر في تحضير الصحن والشاي . مد إلفي فنجان قهوة فوقها كزينة فوجدتها تزييناً لحلقها الجاف . قالت هامسة :

- لذيذ . كنت اتخوف لقهوة كهذه .

وفي واقفاً بجانب السرير حاملاً فنجان قهوة وتغرلت عيناها تأثراً بالعبارة المرحة التي تفوهت بها بعد أن اقتربا من الحقيقة .

- سنضي بقية الأسبوع في روما . وسنذهب بعد ذلك إلى فيلادلفيا حيث نكثين مع جدتي .

- الكونيتية ؟

بقيت اللعقة في نصف الطريق بين الفنجان وضربها لدهشتها لهذا الاقتراح .

- نعم . هكذا أعرف أنك في أمان وقد يفيدك هذا . يجب أن اتفاهم مع الجدة الآن بعدما تزوجت . أن الأولاد لكي تتدخل الجراح القديمة .

- ألا نتي في يا روداري بعد الآن ؟

- هل بوهت لي أنني أستطيع أن أثق بك ؟ لا أرغب في أن أطلب مرة أخرى على النلقون ويقال لي بأن حادثاً وقع لزوجتي . هذا قراري . ستبقين في الفيلا مع جدتي .

- هل فكرت في أن موقفها مني قد يكون مثل موقفها من أمك ؟ نفص كمن شعر بالألم وفقرس في إلفي وهي شبه عارية تبدل ثيابها . وأردت تقول :

- لا أريد الذهاب إلى مكان حيث أكون مكروهة ... لأنك أنت امرت بذلك . إذا كنت تريد أزاحني من طريقك ...

- أريدك في مكان حيث تكونين بعيدة عن متناول الشبان الثلاثين المتعنين ، وستبقى هلين في الفيلا لتكون رفيقة لك وستعاملينها بالحسنى . إنها بحاجة إلى شابة تصادقها . أما من جهة جدتي فإن لك روحاً قوية كافية لتصد مضايقتها عنك وإذا لم تقلحي فسبكون حجابها معي .

- سنحاول مضايقتي عندما نعلم بسبب وضعي تحت حراسها . وهل تتصورين أنني سأطلعها على عمليات الطائشة ؟ كني البضة قبل أن تبرد .

- حاضر يا سنيور . سأفرض بأنني سأعامل منذ الآن كطفلة منزهة موضوعة تحت المراقبة ؟

- لا تبالي .

انحنى إلى الأمام ودلها باطعامها قطعة من التين الفاجر وبحركة هذه ذات المعنى الخاص دل على أنها ليست طفلة في نظره . أكلت الفاكهة والتفت العيون وكادت ترتقي في أحضانها ...

- سنضي في تصوير مشاهد الغيلام لمدة أسبوعين . وسنصور بعد مشاهدة المهمة في صقلية حيث الحرارة مرتفعة الآن . لذا أرى من الأفضل

أن تبقى في كوزينا . قد تشجعين في سحر هذه المستبدة التي تحب طرقتها في الحياة حياً كحياً .

- كما تحبها أنت أيضاً . وتسير الأمور حسب رغباتك . فقد تزوجتي لترضي ميلك للانتقام وتعقد بأنك تستطيع أن تعطيني كغذاء لائبة ما عليها إلا أن تتلقى أوامرك وتخضع لرغباتك . وفي النهاية تخزن هذه العروس في بيت جدتك لتقوم بجولاتك للمتعة .

- سأقوم بجولات . هذا صحيح . ولكنها جولات عمل . انزعني هذا الانفعال من قلبك والا ستعرضين تعقيل . إن فريق العمل في فيلم عطائي خارج الاستوديوهات فريق صاحب . شديد الانقياد وكثير الانضباط . ستاجر عملات لأخذ المصنف وهذا يستوجب ملاحظة وشرحا ومساومة . أنا اعلم وأنت تبقين وحدك مدة طويلة إذا لم تذهبي إلى بيت الجدة . وهكذا التردد مع شاب لا تبني أحرا له نظامه في طهارتك . - وهل يهيك ذلك يا روداري ؟

- يعني لأنك جزء من اسم لورفونانو وتقاليدهم . عقيدتنا هي الأمانة والقلب الواحد .

- تطفون هذا على الزوجة فقط على ما أفكر ؟
- ماذا تعين ملاحظتك هذه ؟ أنت التي حدثت عن الطريق يا عزيزتي .
- أنا لم أجد .

- مستحيل هي قريب (علفت على كلامه بحدّة) أنك تنظر ليلة المظلة المرافضة حيث مربة الأفعنة وذكريات مدينة البندقية .
- يا للشيطان . . .

امسك بكتفها بشدة ألتها وأضاف :

- ما يخص الماضي يا إلهي لا يتعلق بمستقبلنا . . . هل تسمعين ؟

- نعم . . . سميتك (وألفت من قبضك) أريد أن استحم ثم أليسي نياي . فقد لا يتأخر وصول السيارة .

تركها المطعم بعد ساعة من الزمن وعاداً مسرعين إلى روما . كانت إلهي غائبة في السيارة تراقب منظر البحر المظلم وكان أحداث يوم أمس وقعت عند أجيال مصت . هي أغرب ما يفسد الإنسان أشياء رهبة بهذه السرعة . والواقع أن عجز وجودها وكيانها هو روداري نفسه . عازيته ومع ذلك

استلمت له . لا أحبها شيء سوى حينها له .

تهدت . . . إذا كانت قوة حب لكاميلاً بمقدار حبها هي فانها تفهم لماذا

بلاحتها . يستولي الحب على القلب وعلى الأفعال ويدفع بك إلى فعل وقول أشياء للحبيب لا تعلم أن يقولها لغيره من الناس .

- هل تشعرين بالارتياح ؟ هل تشعرين بأي ألم في جسديك ؟
- أعاد روداري وضع السجادة الصغيرة على مكتبها كما كانت قبلاً وقد أصر على تغطيتها برغم حرارة النهار .

هزت رأسها نفيًا . برقت الشمس على حجر الباقوت في خافتها .

نعم . شيء في جسمها يؤلمها : قلبها ! ويوجد له علاج واحد فقط .

وصلا الشقة واعتذرت إلهي لأنها ترقب في أحد غفوة على الكوسى

الطويل في غرفتها . قدم لها ملوكار غداء خفيفاً من لحم الدجاج على صينية

مع بعض الأزهار . تأثرت بهذا كثيراً . وكل كل خادم صالحي شعرت بأن شيئاً

ما حدث فغير عن احساسه بدون كلام .

- املاكار .

- نعم يا سيورا ؟

- هل اخبروك زوجي بأي شيء في فيلا جدته أثناء عيابه في صقلية ؟

- نعم . ذكر لي السيور ذلك . ستكون الشقة خاوية يا سيورا .

- ومع ذلك لم يفض على وجودي في روما زمن طويل .

قال وهو يتلفت حوله :

- كانت هذه الغرفة مخصصة للضيوف قبل زواج السيور ثم أن

مزخرفون وانتما في شهر العمل وغيروا ديكورها إلى ما هي عليه الآن حسب

أوامره . أنها تليق بك يا سيورا .

- أي ضيف أو صيفة استعمل هذه الغرفة قبل مجيئي يا املاكار ؟

حاولت أن تجعل سؤالا عادياً لا فضولياً وأخذت تتنشق رائحة الأزهار

كي تحفي ما في داخلها من تلف لحوايه . يجب أن تعرف وأن تتحمل حتى

النهاية قبل أن يأخذها روداري من الشقة تعيش مع الكونتيسة . . . المرأة

التي باستبدادها جلبت الشناعة لأمة . اجابها املاكار بشيء من التردد :

- للسيور اصدقائه عديدون .

- وجدت كتاباً على الطاولة في الشرفة . هل كان يخص الضيف أو

الضيقة التي انضمت بعض الوقت هنا والتي اعتقد بان اسمها كامبلا ؟
- نعم يا سيور .

لحظت ألغر نظرة العذاب في عيني ابتكار الذي تتجاذبه امانته لسيده
وشعوره لربة البيت الشابة التحلة المتكشمة في الكرسي الواسع . وتابع
كلامه قائلاً :

- اقامت هنا مرة واحدة فقط (وانخفض صوته خوفاً من أن يسمع)
كانت الكونتيسة الشابة نعيمة جداً وانت تغالبي السيور في ساعة متأخرة
من إحدى الليالي وكانت لا تزال هنا عندما أتيت للتنظيف في الصباح
واستطعت أن أرى من وجهها أنها بككت . . . وحالاً بعد ذلك تزوجت من
عظيمها .

أحست ببرودة الثلج في يديها وهي ممسكة بفضجان القهوة وقالت له :
- نهمت الآن . اشكرك لأطلاعي على ذلك يا ابتكار . من المتوجب
علي أن أعرف .

أخفى لها رأسه وانسحب من الغرفة بهدوء . وسمعت بعد ذلك شخصاً
يتكلم في المر وتوترت اعصابها عندما فتح الباب ودخل روداري يرافقه
رجل ذو شعر رمادي لابساً طقم أسود أيقاً وحاملاً حقيبة سوداء صغيرة .
- طلبت من طبيب العائلة أن يجري فحصاً عليك . هذا الدكتور
روسي يا عزيزي .

عيس روداري وهو يعرف الدكتور عليها عندما وقع نظره على وجهها
الشاحب .

- ان في حالة جيدة .

- حسناً ، ولكنني أحب أن أتأكد بنفسني (ونظر الطبيب الى روداري
وتابع يقول) أفضل ان انقروا بزواجك يا روداري تصبني العصبية اذا حام
الأدراج حولي .

ولما لم يكن روداري المتحكم بمعظم الحالات ليلقي الأوامر على الطبيب
انضم وعمرح وهو يزكفيه استلاماً تاركاً ألغر يدي الذي الدكتور
روسي .

- اذن تزوجت من أحد مواطني ، فيه ؟

تناول يدها وكان وهو يدفق في نبضها وينفوس في وجهها بعينين

ثاقبتين . وتابع كلامه قائلاً :

- هل تحبين ايطاليا يا سيورا أو هل يبدو كل شيء جديداً وقريباً ؟

- اسمع يا حضرة الطبيب (قالت وهي تصحك بعصبية) كنت عرضة

قبل زواجي وأعرف اني على ما يرام .

- من المؤكد ان الأسس كان شديداً عليك عندما تخلت عن مهنتك

وعندما رأيت نفسك عروساً بلا عمل معين . الرجال في ايطاليا لا يرغبون

في أن تعمل زوجاتهم خارج المنزل . . . ارحوك . افتحي ثوبك قليلاً .

وضع المسامح على قلبها ثم على ركبتيها وطلب منها ان تنفخ بعنق .

- اظن انه يجب ان اعطيت بعض الحيات لآلة لينة الخفيفة . لا ترويه

ان تحدث التهابات في رثيتك . . . قلقي زوجك كثيراً وخشي من أن يؤدي

حادثك اني اصابتك بذات الرئة . وكما تعلمين ماتت امه شابة على الرحالة

كهنه والرجال الايطاليون يفعلون لأي سبب حتى الذين مثل روداري .

زورت إلغري فستانها وأحست برعشة في يديها وفي الحال انارت وجهها

ابسامة حلوة وقالت :

- هل حقاً قلقي بشأني ؟

تطلع فيها الطبيب وهو يكتب لها وصفة الحيات وقال :

- قلقي كثيراً وأصر بالتلفون على ان آتي اليك بأقصى سرعة كأنك على

وشبك الولادة . ليساعدني الله اذا حدث ذلك . فسيتطلب مني أفضل

الممرضات ليضمن على خدمتك ومبشري غزناً كاملاً من الألعاب ويستمني

أن يحصل على بركة البابا . وهذا ما يجعلنا نعتقد ان بعض الرجال لا

يتزوجون الا للحصول على مولود ذكر .

ضحك الطبيب وتناول حبة فاكهة من صينية ألغري . وقالت معلقة :

- اعتقد ذلك يا دكتور روسي .

نظر اليها بعينين ماكترتين شاملاً جسمها وقال :

- من يريد مولوداً ذكراً عليه أن يتزوج من نساء وفيات ثويات . هل

تريدين اعطائه طفلاً ؟

- اذا رغب في ذلك . وأحاله رغباً (ثلاث استنساها) وبما هذا ما

سبب له القلق بشأني . اذ يريد أن يحتفظ بلقب العائلة بالرغم من انه لا

يستعمله لنفسه .

- عائلته عريقة في الحب والنسب ، وتعود جذور آل فورتوناتو الى
النافسي الروماني ... انظري اليه ... (ولكنه صحك ثم قال) ولكنك
أخذت أكثر من نظرة ... أخذه هو .

- الا تخافوا يا دكتور انه بوليني أكثر من نظرة فقط ؟

- احذروا ؟ لا افهم ما تعنين .

- ليس لي جمال ايطالي بسلب الالب كما لست ثرية وفاتنة .

- أنت يا سيورا لطيفة ووسيلة .

- هل هذا يرضي روحانياً عريقاً وفاً سلطان ؟ أنت شعشت عندما دخلت

هذه الغرفة وراقبتني كما يفعل كل واحد عندما يراني لأول مرة ، فأشعر

باني ... غير وافية . كنت أجيد عملي وأنا عرضة وكنت أكيدة من عدم

اوتكاتب أخطاء مربكة .

- أنت بعد في أول زواجك .

أخذ الطبيب يدها وقال بعد أن درس أظافرها الصفراء

- هل أنت حامل ؟

جفت لسؤاله الصريح وأجابت

- لا ادري ، قد اكون .

- هل يترك ان تكوني حاملاً ؟ من النساء من لا يرغبن في ولادة

مبكورة .

- قد يساعدني ذلك على الاحتفاظ به . الا تعتقد ذلك ؟ ساكون اماً ...

قطعت كلامها فجأة عندما رأت في ذهنها صورة الطفل نيكولا في

الجزيرة الذي فيه كل مواصفات والده الشديد الجاذبية . ابتسمت

وبقيها ...

رفعت يدها الى رأسها الذي كان يدور في دوامة . الطفل هبة

خيممة من الرجل ولكن يجب ان يولد الطفل من الحب ويترعرع في ظله وأن

يعرف مكانه في العالم . نهض الطبيب وقال وهو يوضب خचितه :

- سأعود لزيارتك بعد وقت قليل ...

ثم اضاف وهو يتطلع في الغرفة باعجاب :

- هل هذه الرسوم على الجدران من رسم مائيه الفرنسي الانطباعي

وتلك الرافعة الباليهينا من رسم ديفيد الفرنسي الانطباعي ايضاً ؟ يبدو لي

انك سيادة مدللة .

تسحت للطبيب وهي في كرسبها الطويل وابتدت في ثوبها الحريري

وشعرها الممعد وراقبتها في اصابعها وعمل مصممها صورة حية لما يكون

رسمه مائيه نفسه . وقالت :

- روداري دائم السخة . هنا كل ما يلائم عروس فورتوناتو . ولكني

اكون سعيدة لدرجة قصوى لو .

- احب ليس وسيلة للسعادة فقط . انه المعذاب ايضاً ولظهم من نعم

هم . وزواج بلا من يتخلله الضجر وصيف بلا شتاء يحضر أكثر من

نصف جهالة .

- اري انك رجل فيلسوف يا دكتور روسي . وكونك لانيباً تعطي

الاشياء صورة جذابة . وأنا اشكرك لزيارتك لي .

- هذا من دواعي سروري يا سيورا . ابي صديق آل فورتوناتو

وطبيبهم الخاص ، وستريتي مستعداً لحديث آخر كهذا كثيراً احتجت

لسماعه . ان زوجك رجل ذو مطوعة مدمرة وشعرين بالانطواء امامه

بطبيعة الحال وتساملين عن قدرتك في ارضائه . يجب ان ترضيه ...

أنت زوجته . الى اللقاء . قد اراك في فيلا كورفينا حيث أذهب

لحضر حفلة دم الكوبية . هل تعرفين هلين ؟

- نعم ، وأحبها كثيراً .

- هلين شابه ويجب ان تزوج ثانية وتحب طفلين على الأقل . لها قلب

عصوف تمنحه لاعمالها الاجتماعية ولصالات عرض الفنون الجميلة . الا

تعتقدين انها تهلر جمالها الجذاب ؟

- نعم . ولكن الذي يجب حياً صادقاً مرة واحدة يستحيل عليه أن يحب

مرة أخرى .

- بدون حب من نوع أو من آخر لا تنطق الحياة . وحاولي أن تقنعي

هلين لثني بعض الدعوات التي تلقاها من الشان . وإذا دأومت علي

رفض الحب مرة ثانية رغم مشاكساته ومنصح امرأة منبلدة الشعور وبدلاً

من مخلوق حقيقي مستحول الى شكل وصورة . لا يأتي الحب بالمحزات

ولكنه يؤنسنا .

- في ظني ان لك انيساً نادراً يا دكتور .

- كلا مع الأسف . . . ان اشغالي في ترميم الأجسام والعقول لا يترك لي مجالاً للزواج . نعم . اعرف ما يحول في خاطرك . كيف اجروا على تقليد النصح هذين لتجد زوجاً لنفسها . . . ولكن هلمن امرأة وعرفت الزواج من قبل . ولا يستحسن أن تبقى المرأة وحدها ، متروكة الكونتيسة المحجوز يوماً ما وحيدة في تلك الفيلا على فلال ساوين .

طرفت حينئذ تحت أظفاله الرمادية السمكة وتغاضت عن حيوية خارج عمل مهنته . وتابع حديثه قائلاً :

- يذكر التاريخ كيف اختطف الرومان النساء السابينات بدون أن يخلوا بأخيلة والفن والشعر . هذه أشياء جميلة في مكانها وزمانها ، ولكن

توقف عن الكلام واتخذ بهزأته التقاد لنفسه وهو يتخذه لحواليه :
- سأخبر روداري أنك لست في الحالة التي كان يخشى وجودك فيها . استرحي الآن . رجلك ساحق وسأطلب منه أن يتركك وحدك لبضعة ساعات . الوداع ثانية يا ستورا .
الوداع يا دكتور .

أخذت إلفي بالتأمل في هلمن والنساء السابينات . هل من الممكن أن يكون الطبيب محباً هلمن لا يصفها حيلة الكونتيسة بل يصفها أروسة جذابة ؟ . . . قد لا يخلو من بعض الشعور ليتكلم بهذا الشكل عن اختطاف السابينات على يد جنود لا نساء هم ليقتلوا الوقت منهن أيام الشتاء .

تثنت إلفي بحجر اليافوت في معصمها . للحب وجوه غريبة حقاً . فالنساء يقبلن حباً سامياً ودائماً . حلواً وأحداً . لكن من الصعب معرفة نظرة الرجال إلى الحب . هل يختلطون بين الشهوة والحب ؟ هل يعتقدون أن في استطاعة المرأة أن يقاسمها الرجل في قلبها وجسدها كلها بدون أن تقاسمهم المرأة في جنهم وجسدهم ؟

لا تتصور إلفي التقاسم إلا بينها وبين روداري . ونجاة خطر لها أن تراه ولو لنضع دقائق . اشتتت أن تنظر إلى وجهه الأسمر المدمر ورشح في ذهنها أن ابنها هي فقط مبيشه .

دخل امليكار بهدوء ليأخذ الصينية وسأله إذا كان السبور مشغلاً في

مكنه .

- خرج السبور لفترة وجيزة يا سيدتي . قال انه سيعود في موعد الغداء .

حاولت الظهور بتقبل الخبر كأنه شيء عادي لتخفي قفزة فكرها نحو كاميللا .

- ربما ذهب إلى الاستوديوهات وقد يتأخر قليلاً . يمكنك ترك العمل بأمر هذا المساء وسأطبخ العشاء بنفسى .

- شكراً يا ستورا . هناك قيلم أريد مشاهدته .

- هل انت من المعجبين بالأفلام يا امليكار ؟

- أيتها تشل الوقت يا ستورا . استمتع كثيراً بالأفلام المثبتة على كيب السبور .

- انت كثير الاغلاص له .

- من يستطيع أن يكون غير ذلك ؟ لقد دفع مصاريف المستشفى عندما مرضت والدتي وقدم لنا شقة جميلة ليست بعيدة من هنا . انه شخص ذو كرم عظيم .

- صحيح يا امليكار .

لعبت بأصابعها بشيء في مشعلها الخفيف الأسود ولا عادت وحيدة في غرفتها انجذبت بأفكارها إلى الملاهي العصرية التي غلبتها نكولينا والتي لا تستطيع أن تستعملها في الجريرة ومنها الأثواب البراقة الطويلة والأحذية ذات الكعب العالي المستعملة في الرقص .

روداري راقص ماهر كغيره من الشباب اللاتفي وله أذن قوية في الأيقاع الموزون . راقصته إلفي مرات كثيرة على شرفة الفيلا المطلقة على البحيرة على أنغام موسيقى ناعمة كلها حين . ارتفعت لتذكرها سحر وجودها بين ذراعيه .

بدت هذه الذكريات كحللم كله سحر عته زمالة مطبوعة على الآلة الكاتبة ومبلغ من تلك مرصود في المصرف لتأمين طفل ضد العوز . انقضت حينئذ لتعيد إلى ذهنها صورة ذلك الطفل ذي الوجه الزيتوني والمعين السوداوين الواسعين والرموش المتجمدة والذقن الصغيرة التي تتوسطها تحويضة صغيرة كأن رأس اصبع طبعها هناك .

- لا ... (صرخت فجأة) آه ، كلا يا رودياري .

ترك املاكار عمله عند الخامسة مساء وقامت إلفي بتحضير العشاء . وجدت في البراد شرائح من لحم العجل والكثير من البندورة والفطر الصغير وعزمت على طبخ نجدة باللحم ، وجبة لا تجد في حال تأخر رودياري . قطعت بطيخا أصفر وجنزيلا في شرائح ووضعت بجانبها عذبة من السيكار الرقيق الذي يفضلها رودياري . عادت بعد ذلك إلى غرفتها وبعد حمام بالماء الفاتر ليست بعناية فائقة أحد فساتينها الجديدة التي تسلمتها البارحة وعلقها املاكار في الخزانة البيضاء بأبوابها ذات الفتححات في وسطها والمليئة من الداخل بخشب الأرز والمرايا التي تساعد على رؤية نفسها من جميع الزوايا . ثوبها له لون وحادي بلون القصب . . . هذا هو الثوب الذي صممه راف لها .

راف . . . من الواجب أن تتصل به غدا لشكره على انقائه حياتها ، حدثت في عينيها في المرأة . كيف تشكر انسانا على عمل جسيم كهذا ؟ الكلمات لا تكفي ورودياري حرم عليها مقابلة راف مرة أخرى . أخرجت سحنتها من العذبة ووضعتها حول عنقها . انها لا تخشى سقوطها الآن لأن رودياري كان قد أخذ السحنة إلى صانع المجوهرات في الجزيرة ليقوي مشبكها . مرت بأصابعها على المنة لأول مرة . يعني مئة صلاة تنسأ لها مضي امرأة غيرها .

نظمت عليها أفكارها وبين التلفون في الصالون الصغير ، تأمرعت لترد عليه مطمئنة إلى أن المشكل هو رودياري الذي يتصل ليعلمها بأنه سيأخر عن العشاء .

- انا أت إلى البيت يا عزيزي - كان هذا رودياري - ويصر لانتباهي ان يأتي معي . هل لديك أي مانع ؟ هل لدينا ما يكفي لثلاثة ؟

اطمأن بالما لأنه أت وقالت وهي تنسم :
- طبعاً . لأن املاكار يخبز كفاية من الأطعمة وسأزيد من كمية المقبلات ، الفليون ، مثلاً ؟

- عظيم ، بجانب غيره من الأشياء .

- شرائح لحم العجل مع الفطر ؟

- مقبول جداً .

- بسم مخضلان ؟

انقبض قلبها قليلاً وهي تسأل سؤالاً فيه شيء من الهزء . هل سيحتفل

بقراعتها الوثنيك ؟

- سأتي لك بشراب منشط ولذيذ . قال روسي ان لوتك شاحبة ويحتفل

بان اقامتك في الفيلاستيفيك . من يطبخ العشاء ، انت ؟

- نعم يا سيور . منحت املاكار اجازة هذا المساء .

- انهم من هذا أنك تودين البقاء معي ؟

- لا . مجرد رغبة معي في احداث الفرق الكهربائي المدهش . هل اتوقع

قدومك في خلال ساعة من الآن ؟

- نعم . الا تعارضين اذا دعوت للعشاء ابرز مدير اعلام في إيطاليا ؟ الا

تعشرين ذلك كثيراً عليك ؟

- لست مضطرة يا رودياري . انا في حال طيبة وأن الأولاد لا يعرف اني هذا

الرجل الشهير . هل هو ضخم وهادر مثل اورسون ولز ؟

- تنظري تري . وداعاً الآن .

سمعت بضحك قبل أن يعيد الساعة إلى مكانها . وظلت إلفي صامتة

بعدة وجبة . لا شيء وعشاء . . . وفراق قريب لمدة اسابيع . دقت

الساعة وجاءت إلى وقعها . عليها الآن البدء بتحضير الفليون وصلصة

لرعدة ومكان لشخص ثالث .

kwakeb

٩ - في سبيل الحب

سمعت إني المفتح يدور في قعر الباب الأمامي ونشرت استعداداً لتلقي هذا المدير الواسع الشهرة والذي تطلق من السلطة الانكليزية المعروفة بعد زواج دلم سبع سنوات . وتعرفه إني أن نظرة رجال السينا الى الزواج سوداء كظلمتهم الى الحب ويعتبرون أن العيش مدة سبع سنوات مع المرأة ذاتها لم يعمل فذ .

فتح باب الصالون الصغير ودخل روداري ووجه نظره اليها وهي واقفة عند نافذة الشرفة تطلع الى روما في ضوء الشمس . بدا كأن ضئافه يعكس الساء في مثل هذا الوقت من المساء يلونه الزماني الناعم المخلوط بلحسات بنسجة خفيفة ويلهسان الباقوت والمؤلف . وزاد من صفاء عينها تسريحة شعرها وأضفى على وجهها امر الشفاء الغرمزي لفحة من البهجة .

ها قد آتيا يا عزيزتي .

بدا الانسراح على وجه روداري الذي يؤينه زوجته .

تفضل بالدخول يا نيكولا . اعرفك بزوجتي .

دخل نيكولا الغرفة بتعجل . فذرت عمره يصير روداري ودهشت لأول وهلة للمشابهة بينها مع خلاف في لون بشرة نيكولا العاتجة المائلة الى الزيتون الخفيف كأهل جنوب إيطاليا . له نظرة لاتينية صريحة في عينين صنوبريتين وله فم شبه مفوس فوق دقن مشققة . كان لباساً طقياً صيفياً أيضاً ويعمل في بدء عتاييد حزب ارجواني اللون . قال نيكولا :

اشتريت عبئاً . يعني اشتريت دراقاً . . . ارجو أن تكوني استعدت كامل صحتك بعد حادثة امي ؟

تداني ابتسامته على الوثوق من نفسه ومظهره جميل بلا شك ، ولكنها شعرت فوراً بنزعة استعداد له . بدا لها كأنها نظرت من خلال مرآة سوداء ورات انعكاساً مشؤوماً لروداري . كان الانسراح فيها قوياً لدرجة أنها تراجعت قليلاً لحظة تناول يدها ليقبلها كمن يحاول تفادي لسعة أفعى . أنت عني يا صديقي . عروسك الانكليزية عجولة . . . مني على الأقل .

نظر روداري الى زوجته نظرة تسلية جزئياً ثم فضوله . فانه يرى النساء واللواتح بالاعلام يرتكن أمام شريكه ولكنه حقيق لا لاحظ نظره الاستعداد في عيني إني .

صاحب هذه هنا . وضع لاثباتي العيب بجانب زجاجة الشراب التي آت بها روداري لزوجته .

ارغمت إني نفسها لتخيب بحرارة :

أريد أن ألق نظرة على القرن . سينجز العشاء في أي لحظة . أسرع الى المطبخ وأحست بنفبات مريضة ومشيء من الخوف وهي تتخصص بحريات الظلام . كانت تتصور هذا المدير يحجم دمية الأطفال الكبيرة وصاحب صوت جهوري وعفوية واسعة . لكن الغريب انه يشبه روداري في بعض ملامحه . شكرت المولى على أن زوجها لا يربي سائعين مثله ولا يلبس خاقاً في كل يد .

كانوا جالسين على الشرفة عندما عادت الى الصالون الصغير . ناداهما روداري :

تعال وانظري الشمس تغيب الآن والسماء وليعة جمال . . . حاولت أن تضبط اعصابها فعادت وانفسدت الى الرحلين في الشرفة التي تبدو معققة فوق حطة روما التاريخية . يشبه غروب الشمس فوق روما نارا غيبقة . شعلة من غطاء ارجواني يكتسح باطراره القصب والأبراج التي تبدو ظلالاً سوداء شائعة نحو السماء في ضوء شمس يتلاشى في أبهة شحد أحست بلحمة روداري على معصمها ولما وقعت نظرها اليه رأت ملامحه الجاذبية مرسومة واضحة على لوحة السماء . قال زوجها :

- تشبه روما مسرحاً كبيراً معداً لتمثيلية . النساء متارة وتحن الممثلون فيه .

- هذا المكان مثالي لسكنى مؤمنة (قال لانشيان) الشرفات تزين الذكريات وشرفة مطلة على روما تضيء رومانطيقية ، وتذكرنا بروميو وجولييت ، وبدائي الذي سحره وجه ساحر لغناء شابة . من المراسف انك تمنهن الكتابة يا روداري . ان الدم الارستوقراطي الذي يجري في عروقك وسحرك القاتل سيجعلان مني في الفيلم قطعة نقدية على شبك التذاكر .

- لا تخف يا نيكولا . ستصبح مليونيراً قبل سن الأربعين ولن يشكو أهل نابولي أبداً من أن اولادهم لا ينون لانفسهم اسماً أو ثروة . لكن هل تقارن قطعة غرود بعروب شمس عجيد . . . بضحكة ترون في هدوء الليل . . . وبظرة تشع من عيني . . . أو بشارع يتهادى بين البحر والسما . ٩

لست لانشيان نظره على إلفي وأحست كأنه طعنها في صدرها في الظلام وقال :

- لا سموات ولا بحار . لست لي تلك المشاة يا سيورا هذه هذا السحر الصالح . واسمحي لي بأن أعتك على نورك . انه في بساطة كوشاح حورية في عين ماء لا تخشى أن تنعزى منه . . . والأشياء التي بهذه البساطة تكلف غالباً .

وعلى الفور وبطريقة ليقة ولكن خطيرة قصد لانشيان ادخال راف ستيفانو في الجو . قال انه عاد انسى مع زاف الى روما وأنه يعلم انه مصمم ازياه في مؤسسة اداليا حيث يوصي روداري ثياب امرأته بحكم الصداقة التي تربطه بصاحبة المؤسسة .

عند هذا ضغط روداري بأصابعه على معصم إلفي وأرجأها بعد ذلك فحبت الالم الخفيف الذي أحست به . قال روداري :

- لنذهب الى المائدة . فقد غابت الشمس الآن .

نعم . اختفت الشمس وغطى الظلام روما فأخذت الأنوار تراقص هنا وهناك وتشع وتلألأ في شوارعها . وأخذ الناس يتوافدون على المقاهي والحدائق ويتناولون طعامهم وشراهم . وانسجبت إلفي واستعدت لتقديم

طعام العشاء الذي فقدت كل شهية له . كان الجو مرحاً في الظاهر على الأقل لكن طغى عليه جو التوتر الباطني . وفاجأت إلفي لانشيان وهو يمدق فيها أكثر من مرة وتهلك شعره الأسود على جبينه الزيتوني اللون وشرب نخبها عند نهاية العشاء قائلاً :

- نخب عينيك يا سيورا . لعينيك لون الغبر .

عندما دخلوا الصالون الصغير لتناول القهوة أخذ لانشيان يمحوس في إحدى الغرف كالفهد .

- قهوتك يا سيورا .

- شكراً (وتفرس في عينها وأضاف) لماذا لا تذهبتي نيكولا لأكل الناس يدعوني بهذا الاسم . . . آوه ، تقريباً كل الناس . والفضل على اسمي الشخصي روبرتو (ضحك معتبراً هذا مزحة شخصية) لا يوافقني ان يخلط الناس بيني وبين نجم الأفلام الإيطالية الآخر . عيا . ادعيني نيكولا .

- جان لك ان تعرف ان النساء الانكليزيات يترددن كثيراً في رفع الكلفة مع شخص يتعرفن عليه لأول مرة . لزمها اسبوع لتناديني روداري في فندق

لرب عندما تعرياً ولا تستطيع حتى الآن أن تعتمد على مناداتي بداري .

- كلا (قالت وهوات نحوها على الديوان) اني افضل كلمة روداري إذ

أراه أكثر ملاءمة لك من الأسم المصغر . وداري اسم صياني .

- ولكن عاطفي وحنون . (وأضاف لانشيان) هل يوحي زوجك اليك بالحيوف والاحترام ؟

- ان احبي رأسي يا سيور لكل شخص موهوب . عندما عملت في

أحد المستشفيات لأول مرة كنت اندمض للمعية الأطباء الجراحين . وكما

قالت امرأة شابة مريضة ، ليس شياهم الذي يخيف بل حذقهم . وأحياناً

أفكر في أن النظام من الكتاب يشرحون بنفس طريقة الجراحين .

- مغارنتك تحليلية .

جلس روداري على كرسي عريض من الجلد ومزى ثنية يطلونه الأبيض

وهو ينظر الى إلفي نظرة ساخرة . وردت على كلمته محزنة :

- آوه . كلا . انا لا اعني . . . المسألة انك تستطيع ان تفتت القلب

بكلماتك كما يشرح الطبيب باليد . والجراحون في معظمهم ليسوا

عندي الاحساس أو الشفقة . تعرفت على جراح مدعش في المستشفى الوطني للقلب . كان دائماً يخصص جزءاً من وقته تشيية بضع دقائق في حديث ودي مع مرضاه الذين كانوا يجيئون بطبيعة الحال .

« اسمعت يا داري ؟ ليست عروسة لك بل مصيبة كبيرة بك . التفتت التي الى لانسيان عندما استأثرت بنة ماهرة في صوته ام دلالة على الغيرة من روداري الذي لم يتم نقالعه لا بضع النساء الا ان يحبه . ولا وجه هذا الجنون انظر اليها انعطفت حينها لتخفي نفورها منه وشبه روداري .

قد يتصرف روداري بشراسة احياناً . ولكن غريزتها تقول لها بان لانسيان اسوأ منه بكثير . كلاهما موهوبان ولكنها يستوحيان من سمعي مختلفين . بان مدير الأفلام متأصل من الفة نابولي ، وكونه ماهرأ وداعية ومغامراً قد يستغل خبره ليكتسب الممتلكات والخواتم التي يفلذ بها . بالإضافة الى الشهرة والثروة والجمال والشأن . كل هذا يكون ممتلكته . فلما ان يرفعه عالياً في الاضواء أو أن يتركه الى الحضيض .

تحت نور حل وتشوقت تسرع صوته بقول انه يجب أن يذهب ، الا ان تابع الحديث عن نفسه وعن الأفلام التي عملها والتي تكلمت بجرأة عن حقيقة تحبها صنمو الأفلام أقل جرأة منه . وتابع لانسيان حديث قائلاً : « الحب » جزء مهم اساسي لشجيرة والأفلام على السواء ، ليس انفعالاً عاطفياً ، انه جوهرى .

مد ذراعه في عذارة قمة ظهر الأريكة الخشبية وجذست اعصابه السطية فربما جداً من كفف التي وظل يتكلم متابعاً موضوعه . « فاجئت كالعاصفة » وقد يدوم ايها ولحياناً سنوات ، أو الحياة بطورها أو حتى ليلة واحدة . ولكن ، وبألسنا ، لا يحق لأي رجل أو امرأة المطالبة بتسام كامل منذ اللحظة التي يبدأ فيها حتى بتلاشي والا يصبح ذلك مطلق عبودية .

« هذا يتطلب حباً كاملاً يا صديقي . مشابهاً لحب الراحبة المدعونا ليس لكل واحد الشجاعة الكافية ليصلي بهذا المقدار ولكن العام لا يخلو من عيين من هذا النوع . نعم ، وبالرغم من احتفلك البديهي يا نيكولا بالحب من اجل الشقة .

« الشقة يا صديقي » الشقة ، مليون مرة أكثر من ثوب الراحبة الخشن ومجاجة الأديرة .

صحتك لانساني وانكسبت التي من جراء لسر وجنتها بأعراض اصابعه . اصابتها حالة عضوية وشعور بالتوتر وكانت تصرخ في وجهه انه غير مرغوب فيه في بيتها . . . ولكنه صديق روداري وهي ليست سوى تلك الزوجة الشابة التي ستبقى في كورينثا في غياب زوجها خلال تصوير الأفلام مع لانسيان في جزيرة صقلية .

فهم لانسيان الحب في امر التي كانت قد رتبت في صحن اصولاً بحسن الضيافة قائلاً :

« يجب أن تأكل شيئاً من العنب ، لا ترفضني صليبي والا اعتقدت بانك تصديق الاسطورة القائلة ان الشيطان موجود في كل برة من حبات العنب . ربما هو موجود . الا توين اغراء لونها . . . كشفاء المرأة ؟ . لك مطلق الحرية في أن تأكل منه ما تشاء يا صنيور .

« الا تفضلين تسمي نيكولا ؟ »
« اومضت عينا عندما قلبت رجة عنب في فمه وهو يضحك قائلاً : « ليس لسر وعنب ولكن بلا موسيقى . ولماذا لا تسلينا يا روداري وتعني لنا ؟ هل علمت يا التي ان زوجك غنى في البندقية أثناء تصوير فيلم « الأميرة كابريريس ؟ » قل لي يا صديقي ، هل تروي كتابة تكلمة لتلك القصة ؟ أنت لنا القصة بتجاع كبير ، أتذكر ذلك ؟ الحقيفة اننا لقدنا برينشا في النهاية المأسوية لقصة الحب تلك .

« يمكن اعطاء الحفاقة نهاية أكثر اشرافاً . رأت راعي زوجها يتسم ولكن نعر غيبه كشف عن حرد صيانه بقاد يرسل الدموع من عينيه سبب لها كاية جسيمة . البندقية . . . الخذي الحب في الجدول . . . امرأة جميلة تعرف انها مستزوج برجل آخر . . . برجل اسمه ما . . . منقولتها حسب التقليد اللاتينية . توجد قصة أخرى الكوة لنشاعر ؟

« هيا يا روداري . لست من النوع الجحون . غنى لنا « سلطان القارة » . البياتو موجود ولطالما عانيت لنا في حفلات في الاستوديو والتي والتي ان زوجك مستمتع بالثقة . وحين تبصرها بالأمور يجعلها تؤمن

بحماية القدر وسطوته ويدمغ الحياة وغاوتها .

ونظر إليها ليلفت انتباهها وبدا لها ان عيبه السواديين تقولان لها :
- كان يوم امس من ايام القدر . ألم يكن مكتوباً ؟ ولو كنت وحدك
لفرقت وقصيت .

- عن يا روداري (توسلت إليني اليه) ارجوك . لم اسمعك تفني جدياً
الا بتقطع في الحمام حيث يبدو صوتك كصوت ثور يتمثر في الماء .

- ألف شكر (اجاب زوجها) كلا . ليس لي صوت هذه الليلة والوقت
متأخر . ثم يبدو عليك التعب . وحين أن تنهب الى بيتك يا نيكولا .

- الى شفتي الخاوية عل السطح ؟ (عبي وجهه عزواً) هل سمعت
آخر طريقة يا صديقي ؟ اني ما زلت افقد تلك المرأة الحمراء الشعر

والعاطفة التي ساء حظي ان اتزوجها . لها سحر لعين . كان يجب
حرقها لحرقها ايدي .

علق روداري قائلاً :

- ظننت ان الحب اسطورة وعبودية . اليس كذلك ؟

- كلا . انه جحيم من الشهوات . هذا كل ما هناك . كنت اقره تلك
المخلوقة . ولكن حاجتي اليها تسبب لي آلام في كل لحظة من حياتي .

بعض الاشياء متكاسلاً وسؤى رطبة عتقة وليس شعرة وبدا تطفل
كبير ساخط من نفسه لانه حطم لحيته المفضلة . والتفت الى انني وقال :

- انا شاكر لك لانك تخملني . كان غشاؤك ممتازاً والى معجب بك رغم
انني لم احبك . انه لشيء عريب . حقا ان يدرك الانسان هذه الاشياء

بعض . ولكن ، هل تسمحين لي . . . ان اقول ما تذكرني به عيناك ؟
- شرط ان يكون هذا الشيء زهرة الربيع (ردت عليه بحزم) اصح

هذا القول مأثوراً يوجه لكل الحجلة ووجعة .
- حجلة ؟ عروس فوزنونانو حجلة ؟ اسمي هذا :

عل طول التدريب الهادي . منى
الفجر بخضمين من فضة موى

تصنعه بالرعب قلبها ابتل
هكذا تبتدين لي في ثم الشاعر اوسكار وايلد .

وقف روداري وبلغ في جيب سترته وقال :

.. لا تنس ، ولا تنس دعوات مني انني . انما لا تطلع في ان تصح

حسنة سينمالية .

- هذه خسارة بؤسفة خا . في عينيها شيء من موديلز ومقدار من خربا
غاربو عدا ما فيها من اسرار تميزها . سبدع في دور هيلويز او بياتريس .

بياتريس على الجسر حيث مر داني الاسد العملي واكتشفه الحب الخالد .
منى نبحو الباب وقال :

- طابت ليلتك يا سيورا . من المؤسف حقا انك لن توافيت الى
صقاية .

وقفت انني تطلع الى الباب الذي خرج منه لانشاني وسمعت يسير نحو
الباب الرئيسي . كانت رائحة دخان السجائر ثقلاً الغرفة ومقاطع من

الحديث تروى في انفيها تترك بصماتها فيها . ولحظة شعرت باحياء عاصفي
فارقت بين الرسائل على الارض . استسلمت لنفسي وانتشرت وودوي

ولكنها لم تشعر بالقوة لتطلب من اخوها الى صقاية . لن تستطيع ان تشبه
ومع ذلك لهاها نفس بان شيئاً ما سجدت لزوجها ويكاد يكون هذا

الشيء ملموساً وهو كدالام يترق قلبها ويضع اوصافاً . كانت انصافها
تصرخ لان باحدهما روداري ولكن عندما عاد الى الصالون الصغير وجدها

متكرمة بين التوسلات بلا حراك كلية يلهو بها ويضعها على الرقبة عندما
ينهمك بأشياء اكثر جدية في الحياة من حيوان بيني مدالي ينساق في الحال .

وقف قربها وهو ينظر اليها مبسماً :

- اكتشفت ان نيكولا بعيد من ان يحبه . عيب ؟
- انه متعاطف بنفسه نوعاً ما . هل لفت احدهم نظرك الى الشئ بينكما

ولو بشكل مزخرف ؟
- الكثيرون من الاطفاليين ينشاهون خاصية بسواء الشعر والعينين

وبطريقة نظرتهم الى المرأة . هل يفكر تفكير انكر الاطفال لاختلاف
المرأة الكلي عن الرجل ؟ انها تقيضه حباً ودوراً واحساساً وفي الوقت

نفسه نظيره واكماله ووقامينه وسلواه .
- يبدو منيوك شخصاً كثير الاضطراب والارباك . هل هذا ما يدفعك

الى منحه صداقتك يا روداري ؟ ولررت انه اسهل عليه خلق اعداء له من
كسب اصدقاء . خذ مثلاً طريقة كلامه عن امرأته . تكلم كأنها ملكة وانه

لن يغفر لها جرائمها في الشغل عنه . من المؤكد انها تلاحق كشمسين
مفترسين .

- نعم ، ولذا يجب ابتلاء ضمن حدود المنيعة . ولكن له عبقورية لدرجة
ما في اساليبه ، ولي اصحابي الحفاصة لدعوته الى بيتي وذلك لأنه لم يعد يؤمن
بوجود الصلاح والطيبة والسعادة لأن التي سمجته بهذه الطريقة ، وأمل
هو أن يدرك الصواب قبل فوات الأوان .

- ولكن يظهر أن كل ما يتبعه هو المال . وقلت أنت نفسك أنه سيصبح
مليونيراً قبل من الأربعين .
- قد يحدث ذلك له .

- أي أن يتزوج ؟ (ضحكك الذي هذه الفكرة) ربما مع إحدى الفتيات
اللواتي يبهرن الأفلام . يكفي النظر اليه يا روداري ثرى الشيطان
منجساً فيه .

- ولكن الشيطان في أنا أيضاً . أنت قلت لي ذلك في أكثر من مناسبة .
جلس روداري بجانبها على الأريكة ووضع ذراعه حول جسمها النحيل
وثبت عينيه السوداوين في عينيها ورأت في سوادهما الحالك شعلة ناعمة
ومتوهجة .

جالت بعينها على وجهه المتسلط ولم ترق فيه أثراً للغرور والانغماس في
الأهواء والبخل كما رأت في وجه لامنيالي . وأما شيطان روداري فهو
مرتبط بكاميللا . . . بحب أعظم ودفعه الى بكولييا . قالت التي :
- أنت ناعم وغامض يا روداري . وأنا لا اعرف من أنت وما أنت ،
اعرف لمسك وقبالتك أو غضبك عندما ارتكب شيئاً كالغرق .

- مسكينة أنت . دعيني اصلح أخطائي . أنت ناعمة وحرّ حشوية قد لا
تشمعيلينه يا التي . . . التي ؟
- نعم يا روداري ؟

ابتعد قليلاً عنها ولم يمسها . نظر إليها فقط . ونظراته كهريتها . أحست
فيه تناقضات طبيعة وشهواته الحارة . . . واهتزازات قلبه بقدر ما
أحست بنفضاته . أحمر وجهها وهو يتطلع إليها . . . هل ظن أن الدكتور
روسي وجد أنها حامل ؟
- لا تخفي عني اسراراً يا التي .

- أنت الذي كللك اسراراً يا سيور .

- أنا من الخس اللاتيني وأكبرك سناً . أنا زوجك .

- وعلم أن اتلقى أوامرك ؟

- هل أوامري قاسية جداً ؟ وإذا أبقيتك لي كورفيتا فذلك لخبرك .

- والآن أريد أن أقدم لك هذا .

أخرج شيئاً من جيبه وأحست بأطراف أصابعه الدافئة وقال :

- ابقي كما أنت ريثما أتي بمرآة .

أثرت عن الحائط مرآة قديمة مزخرفة وورعها أمامها بحيث تتمكن من

رؤية نفسها متكئة كعبدية يملكها تتدلى من انبساط قوطان من البافوت المصم

بتخريم دقيق من الذهب الخالص العتيق الايطالي الصنع

والمتينة .

- أوه .

شبهت مذهولة ولستها بأصابعها :

- جميلة حقاً وحية كشملات صغيرة . أنك مسرف لقد الجنون يا

روداري ولكني أحبها فعلاً .

- انها قليل بك وتشجع مع جلدك الأبيض .

وضع المرأة جانباً واقترب منها وأحست بيديه القويين كما أحست

بلمسته مخترق جسمها حتى العظم وأعطت نفسها انطباعاً بأنه قد يضربها

ويدفعها الى الصراخ كما يصرخ المعلمون في لحظات النزاع . وما عساه

يسمع عنده ؟ سيمسح صرخة نابعة من روحها تطلب إليه أن يضرب أو

أن يفكر أن له ابناً من فتاة أخرى .

- كيف مستكبرتي ؟

طوقها بذراع فولاذية وتسمع بقوله :

- هيا يا فتاتي . ماذا ستعطيني بالمقابل ؟

كانت جالسة متكئة برأسها على ذراعه ووجهه أمام وجهها يكاد يلتصق

به وتسلطه الى درجة احتافتها . لم تدرك قبل الآن أن الحب قوة حية تفوق

العقل والشك والوعي . أنه دخلها حياته لأنه انسك انغماس لا يستطيع

العيش وحده . وكانت يدها المحصلة بخدغه موحدة على صدره فوق القلب

الذي كانت نبضاته تصل الى أطراف أصابعها . ورغم هذا القرب فإن

كاميلا وافقة خائلاً بينها .
 - ما تحب أين أقدم لك ؟ لا أمك تقوداً وأذواقك متنوعة يا سيور .
 نظر منياً إليها وقطب حاجبيه وقال :
 - لا اطلب منك شيئاً يشتري بالمال .
 - لكنك تقدم الشياء تشتري ، احسن الثياب ومجوهرات خيالية وغرفة
 مؤثثة بأحسن اثاث . لم تشعري أبداً . . . بالحاجة الى شراء عروس .
 - الا أقدم لك كل ما تشتهي المرأة ؟
 - الشياء باهظة .
 - اعترفي بذلك لا تسرين لها نظرت امرأة ما باهظت الى ثوبك
 ومجوهراتك .
 - والى زوجي ؟
 - اظن بانك تحبين أحياناً كونك عروس لغورونواتو .
 - لا تكن قاسياً يا روداري .
 - وهل هذا قاسي ؟
 - فليست منه . لا تريد الاستسلام لمرأة هذه الخلوة . . . لا تريد أن
 تنفاسمه مع الاخرى .
 - لا . . . لا . . . لا تلمسيني يا روداري .
 ابتعد عنها وقد حثت عيناها نارا وهو يفرس في وجهها الختام وقال غاضباً
 - ألم يرد لي استطاعتك أن تدفعني لي مقابل ما أقدمه لك ؟ يا ملاكي
 المذهب . لا تطرق إلي هكذا . تحريكي لأي سأسمع منك هذه السيوف
 كاملين . . . وهل هذا قد نذهب غداً الى كورفينا وهكذا تتحررين من
 وجودك وحدك معي غدا هذه الليلة . وقد خطر لي ان اذهب الآن وأعمل
 في مكنتي .
 نهض وزود سترته وقال بعدما نظر الى ساعته :
 - اذهبي الى الخراش يا عزيزتي وحاولي أن تنامي . طاب لك ليلتك .
 استدار وخرج من الصالون وسمعه يفتح باب مكتبة وينبع ذلك هدير
 قام . أحست بدموع ساخنة تسيل من عينيها وحاولت إيقافها . وأحست
 بقلبي يتألم وشعرت بشيء يدفعها للركض اليه كي تكلمه عن الحقيقة
 انقطة المرأة . ليست لسانه التي لا تتحملها ، بل حبرتها فيها اذا كان الحب

الذي تمنحه له انما تمنحه لعشيق نكولينا !
 ربت الوسائد على الأريكة وحلت الصبية وتوجهها وذهبت الى
 المطبخ حيث غسلت كل شيء وأعادته الى مكانه وأضت بنظرة حول المطبخ
 لتتأكد من ان املكار سيجد كل شيء كما يحب . ومرت من امام المكتبة
 وهي داهية الى غرفتها ونكتها لم تسمع صوت الآلة الكاتبة . توقفت عند
 الباب وراحت روداري في عيبتها وانما أدلة امام النافذة ينظر الى السماء
 وتسمي السجوم التي تصير بجوارها الدعية وتتألا لم تنامس . ام هو الآن
 مسترخ في كرسيه الجلدي العريض الذي جلست فيه مرة وراحت نفسها
 لقطة صغيرة بالنسبة الى حجمه ؟ تعرف الغرفة بكل تفاصيلها حيث يكتب
 مؤلفاته الشهيرة .
 من موجودات مكتبة الكتب الايطالي الضخم والمصباح الزجاجي
 الناقوس المكون المتصب في احدى الروايات يقابل في زاوية اخرى كأس من
 عصر بورجيا له جانب لامع وله فتحة يصب منه الماء بضع قطرات من
 السم . وعلى المكتب آلة كاتبة بضطاء من جلد السمك حاضرة
 للاتصال . وبالأضافة الى ذلك رسوم تزوين جدران الغرفة تسر لها
 العين . الغرفة سيحد بها ولكن حلوة بما فيها من خزائن عتيقة مرصعة
 بالنحاس الذهبي تحنوي على ملقائه وتذكيراته ، ويكتمل جمال الغرفة
 بالسجادة العريضة المسجدة لوناً مع الستائر القرمزية .
 روداري سولع ببيتته كهله وهو يحتاج اليها . انها جزء من طبيعته التي تنم
 عن ميرة خاصة فيه وسلطان وسلطة طبيعيين وألمية فكرية . ولا تنكر انها
 تترك وتسكر عندما يطورها بين ذراعيه فتش كل شيء .
 لا ان مواهب هذه خطرة لأنها تنفع بالناس الى حبه وتغاضبهم عن
 مقولاته وعلى زمني الآن أن تجد القوة والشجاعة الكافية لأن تسأله - ربما
 احدى عودته من حفلة - عن طفل نكولينا الذي الرعوش السوداء والتشويشة
 في وسط ذلك ؟

kwakeb

١٠ - فجأة قبل طلوع الضوء

سارت بها السيارة في المقاطعة الساكنة حيث أثير اللطيف الشامع وراء مدينة روما وحيث نبات اللوت يلمع كالنحاس في ضوء الشمس وتنعج الأعنيد وجداول الماء بالأزهار . أما صفاء النهار فبدا ذهبياً وبنهجا بالكروم ويساقين الزيتون . امتلأ الهواء بغير الصيف وتطايير شعر الغي حول رأسها لأن السيارة كانت مكشوفة . ودلت زرق السماء ونقاوته على طقس جميل سيديم بضعة أيام .

سيكون موارها حاولوا ولكن ليها ألى موارها لأن روداري سيكون عاليا من فيلا كورفينا . القت نظرة على يديه المسكين بالمقود . الظاهر مقنعة ونظيفة ولا أثر لأي خاتم في أصابعه . وسرت في جسمها رجفة خفيفة لأن هاتين اليدين الجميلتين القاسيتين اختبرناها بقوة ولم نأسف لذلك . ألم يمس في أذنها بلعته الإيطالية التي تتعلمها أن لها جلدأ بنعومة الحرير ؟ ولكن ألم يمس أيضاً مرات ومرات العبارات ذاتها في أذان غيرها من النساء ؟ وكم من مرة اهتزت النسوة بلمساته وقلقه ؟

وبحركة عصبية شذت الغي على سلسلة جزداتها ونظرت الى جانب وجهه ووجدته جامداً وبعبداً . تذكرت عندما عبرا مقاطعة توسكانا يوم زفافهما . وكما تملكها الخوف من المستقبل حينذاك كذلك تملكها الآن . فقط لو تستطيع أن تصرخ بالأسئلة المستحقة على ذهنها : من منا يا روداري تستطيع أن تجلب لك السعادة الحقيقية ؟ أهى الكونتيسة التي وقعت في حبها في مدينة البندقية ؟ أم فتاة الجزيرة اللاتية وجدت في روما ؟ أم الممرضة الانكليزية التي تعرفت عليها في جبال الألب والتي بدت لك

في وجعلها غير عادية والتي نفوت منك عندما لمستها لأول مرة ؟ تلك التي حاولت الفرار منك فلحقت بها وأمسكت بها وأمسكت بقوة عضلاتك مثل ابولو وهو بطارد الجورية في مكان لا ملجأ تحشى فيه . فقط عندما لاحظ روداري ابتسامة خفيفة على شفيتها لم تستطع مقاومتها انقى نظرة عجل عليها ولكن بدون أن يلتفت اليها وفاجأها بسؤاله :

- لماذا تنسرين ؟ هل تاملين والفرح عملاً فليك لي غياب زوجك ؟

- كلا . . . صديقي . . . صافندك .

- أرجو انك لن تنصرفي مندفعاً كالطفل مرة أخرى . وصفلية أبعد من

كورفينا عن روما وقد يغريك هذا .

- اني متأكدة من أن جدتك ستسهر على بعين النسو . ويبدلي احساسى

بأن جدتك أكثر صرامة منك في حراسة أفراد العائلة .

- هل يمكن أن افهم سبب شعورك بهذا ؟

- الكونتيسة امرأة . والت يا سيور رجل بلا اقل شك .

- اراءك تثيرني يا روداري وفي بشي منك تتوقين من كل قلبك انى

غياي . . . لا تحاولي تكرار ذلك والليمة الماضية دليل على ذلك . كونك فتاة

انكليزية تغربين من سيطرة الغير عليك . رتبك بيتك على عدم الاستسلام

الكلى للرجل . فانك تكرهين بعض عادات اللاتينية مثلاً . ولك اراء

واحساسات وأسرار لا ترغب في أن اشاركك فيها ولذا أرى من اللزوم أن

اتقبل طرفك واحترم تحفظاتك . وأرجو أن نسامحين اذا كنت فقدت صبري

معك أحياناً . هناك اعتقاد عند كل لاتيني تقريباً بأن على الآخرين أن يهروا

ما هو له .

- مثل هذه النياوة المندفعة يا روداري ؟ انا اعرف انى من هذه الفتاة وعلى

نفس مستوى الأراضي الشاسعة التي تغرم عليها فيلا كورفينا أو بالأحرى

على خرائب إحدى المزارع الساكنة التي فيها الرومانيون الذين كانوا

يشبهونك ويسلكون مسلكك .

- لا افهم ما تعنين بانتهاجهم مسلماً كمنسلكي .

- فرأت كتب التاريخ يا روداري . الخطف الرومان الفتيات الساكنات

كالدجاج وسخرن من مقاومتهم الشديدة ومن نوسلاتهم . النساء هن

شعور واحساس، وليس مجرد شيء أو العوبة.

بحر الأمان اليوم يا عزيزي (قال روداري ضاحكاً) الذي فيه تقطع النساء عن تقديم التسليّة والمتعة. وكل كلام عن المساواة بين الرجل والمرأة هراء. كيف يمكن للمرأة أن تكون مساوية للرجل وهي صاحبة الفتنة والجمال؟ وهي صاحبة القوة التي باتسامها تثير المشاعر؟

المساواة؟ لا يوجد شيء كهذا ولن يوجد. المرأة تحمل سر الحياة في جسدها وإذا لاحتها الرجل واستولى عليها فانه يريد دهنمة الحياة. هذه غريزته البدائية. وإذا صحت كتب التاريخ فقد تعلقت النسوة السابنيات بمختطفيهن المحاربين الرومان ولم يعدن الى المزارع ليعلنن بالماشية.

دخلت السيارة الآن طريقاً برزاً جانبياً وعرفنا، بغير حذراً مزروعة ويندو انه ملك خاص. بقيت إلقي ملجومة اللسان بقوة اقناعه ولكن في لحظة فقط انصهرت في نفسها معاني كدسها وكسها من يقدر في ربه بجانب السرير كما قال عندما رأى طفلاً شبيهاً له يولد من فتاة عادية حطمت قلبها؟ أحست إلقي بقلبيها يرف كجناسي عصفور خيس.

دخلت السيارة طريقاً ترتفع التلال على جانبيه معشوشية بالخشايش البرية، ومزركشة بأنواع الأزهار المشترة هنا وهناك. لم يحرك المندوه حولها سوى طنين اجراس الماعز من حين لآخر ومحرك السيارة طبعاً. هذه هي المشاهد التي رسمها عظماء الرسامين الايطاليين. مشاهد لم تؤثر فيها السنوات ولا حتى الأجيال. وفي هذه الحقول بالذات نشبت النساء السابنيات فأزات من الجنود الذين اختطفوهن بلا واحة من بيتهن الريفية وحملوهن الى خيامهم حيث التدرع والسيوف.

لأن هذا المشهد الريفى يلوذ القضة واليقى وكونت أشجار الكستناء حدوداً فاصلة بين المزارع ذات القرميد الأحمر والمصارع الخشبية المدهونة والأقواس حيث تقوم حظائر الحيوانات والسلام الحجرية المؤدية الى غرف العائلة. كيف لا تثير هذه الأبنية التاريخية القديمة الذكريات؟

رأت إلقي نبات الزنبق البروقى منتشراً في كل مكان أزرق ومزدهراً

ولكن أفكارها كانت في هذا الطقس البديع معتمة معتمة

دخلت السيارة الطريق المؤدي الى فيلا كورفينا نظلت أشجار البرو السابعة الواقعة هناك كأنها صفت من الخرس كما حزت اليه إلقي في ذهنها. ولجاءت الى السيارة أمام فيلا بعد آخر منحنى. وصحت إلقي جلالاً فيها وجالاً ببطيئاً هادئاً. أنها في صميم قلبها لآل أثرت فيها احساساً كانت قد اقتضت على تفادي الشعور به اذ حطمت هذا القسم الذي اخذته من نفسها على لا تحب شيئاً غير هذا الرجل الشيطاني الوقع الذي مجادبته الشدة يصحح قانوناً وشرعاً مطاعاً. هذا الرجل الذي يتقبل ورواه لها بشيء ويتحدث ويكتب قداماتكة ولكن بدون أن ينتزع شيء، يكتب

توقفت السيارة عند قاعدة الدوح الحجري وشعرت إلقي بضيق في النفس في هذا الطقس الهادي الخار.

أضحت روداري وتطلع فيها. كان وسيماً وأنيقاً، وثقاً من نفسه، غاملاً بالأمور الدنيوية. انه زوجها وتريد أن تكرمه ولكن احساسها يفترسها فتشكك فيها. تريد أن تفسره لأنه يحجبها عنه بقدر ما تكرمه. تريد اسراع كل الحفنة منه وكس من يولد في قلبه. انطاع حيل الذكورها عندما أحست بيده تأخذها من يدها فعاذت كلماتها من حيث أتت.

لا ينظري الى هذا البيت كأنه معجن. متصل هلين بعد بضع دقائق لتوحيب بناء. اظهرني سرورك بوجودك هنا.

هل هذا امر تلقىه حتى كي اظهر مرجي وغرحي الجنوني؟

بذلك قصيدت فقط لا تجعلهم يعرفون باننا نساخرنا وان اتركك هنا عقاباً لك، اذ سيؤلم ذلك هلين التي تحبك وسيهيج الكونجيسة ان ترى بشائر نيوها مكتوبة في عينيك.

رفع وجهها وفترس فيها وهو يعبس ثم قال:

يبدو لي الآن يا عزيزي ان عينيك المنمرتين تكرهاني. لماذا الآن؟

استغفرت انه يملكك حياتي مع رجل آخر؟ الآن أوقفت اللعبة التي بدأها مع الشاب اللوزي العيين؟

نعم. صحيح ما تقوله. راف شاب غائن، وأتخذ حياتي.

فقط بعد أن كاد يسبب في موتك، لقد نبؤ عندما دعاك للسباحة.

راف لاتيبي وككل لاتيبي يعرف تمام المعرفة رد فعل كل زوج ايطالي في ظرف كهذا عنها بلغت درجة برودة وانحلاص الزوجة

- انا محنة يا روداري ان تصدق حسن قتي.

- كوني محنة لاني ما زلت اعتقد بذلك.

- افترض انك اتيت بي الى هنا لتحافظ على حقني وتبعدني عن كل محاولة

في اقرب يا رجل ليلاتيبي.

تكلمت بطلاقة مظهره تألها لانه يريد منها مسكناً ملائكياً بينما مسكنه ونيته بعيدان كل البعد عن راحة القداة. سلمت عينها الراععتان من النظر الى هذا الشخص الساطي وشعرت بالكره نحو انفعالاتها. كيف تصدح حين هذا الرجل وتعرف بأنه العاشق السري للفيلا؟ وتعرف انه صاحب الحرف في أسفل الكلمة الموجهة الى كوليوتا التي احتفظت بها تحت وسادتها في غرفتها في مقهى الجزيرة؟

- انظري الى البيت (قال روداري امرأة) هل له هيئة السجن؟

يلو تقدم على واجهة المني ولكنه جمل. وهو مني من الحجر الذي اكتسب مع الزمن صبغة الشمس. ويرى واجهة البيت بيت الخوخة الارجوانية والدفل العظرة. اما فوايزون السلم والشرفة فهو من الحديد وعلى حامي الباب المحفور فصاحك كجوهريين. ومن الاكيد ان هذه الفيلا نعمت بزمان كله حيور ورومانطيقية، والان تغط في نيات في حرارة الشمس وتوقع ولكن يكون أمل سماع اصوات المرح وصدى اصوات الشبان وحفيف الفساتين الخيرية والحلب الذي يحكي البيوت القديمة منها والحديقة.

يتبع جمال الفيلا من هندستها الباروكية التي سادت في القرن السابع عشر. والفيلا برج يغطي معنى على سحرها وأعمدة المدخل السقوف تلفها الكرمة وتتلوى حتى تصل الشرفات وتغطيها بمعلقة من خضرة اورانها.

البيت ليس محناً بل مسكناً يحضر قلب إني لان حيا الفيلا. حلم حياها ولكن غير تلك التي تتطرد الآن. كان يجب أن تحيا من الطرة الاولى كما أحبت روداري ذلك الحب الذي عيب كل أعماها.

- والان (قال وهو ما زال محسناً بذاتها) هل تظنين انني سأفعل عليك في

البرج مع اشغال التطريز لتسلي بها ؟

- لم اتعلم التطريز ابداً.

- حقاً؟ كنت اظن ان كل النساء ماهرات فيه وخاصة في تطريز الحقائق.

ولكنهن يستطعن تفصيل الخبر الى أي ملأج فلا تمنهن.

- ارجوك. كيف هو ذلك.

لمنصت به عندما ظهرت امرأة رشقة من باب جانبي. قالت هذه

هذه. فاضرعت نحوها في الباحة لتحتيها. ترتدي بشلوناً قاتماً وقميصاً

فاتحة. وحبث وابسامة عريضة تير وجهها:

- سرورنا عندما اتصلت تلفونياً يا روداري. هل انت راجل الى صقاية

فوراً؟

- يبدو انك مسرورة بالتخلص مني.

تكلّم بحفاة وهو خارج من السيارة ليقتح حولها ويخرج حجاب إني.

- كلا. ليس هذا. لا توفد الى بعدك بل يطلب لي ان تكون في رقة إني

وانت مشغل بأفلامك في وقت تكون فيه صقاية أقرب الى فون خاصة

بالنسبة الى إني القادة من انكلتوا الباردة والخضراء.

تسجكت إني وهم يدخلون الفيلا من باب جانبي وقالت:

- نعم انكلا بضط من حرارة الشمس التي تصل أحياناً حوال أربع

وعشرين درجة مئوية فيشعر الإنسان بالحر في مستشفيات لندن.

قالت هلين كان بها تريد ان تبرز فرار روداري بتركه زوجته في الفيلا:

- وعلاوة على ذلك، تحدث لازلة في صقاية. والان يا إني. حاراً بك

في كورفيا؟ تعرف افيلا بأنها من بين اعمل البيوت في ايطاليا. احبها طبعاً،

ولكن الحب يجعل امره يتعلم على بعض المقصات. ونسي جلد السرج

بالطفل غير الشرعي ذلك لانه كان اصلاً حراً من قصر قديم تيمم. وحجر

الفيلا والبرج ايضاً وهذا ما جعل لون الحجريين يشابه. مثل الزوج

وامرأته التي تصغره سناً واللذين قترج ألوانها مع مر الزمن وتتأرب

أذواقها فتشابه فيبدو كأنها ذوق واحد.

ادعش هذا القول إني. هل تعتقد هلين بأن الزمن سيربطها بروداري

ليمتزجان؟ نعم. فهي مخلوقة رومانطيقية وقد تصاب بضدة لو اطلعت

على حقيقة شخبها ذي النظرات الباهرة وموهبة الكتابة. قد تشاكس مع

أخيها ولكنها فخورة به وبالأسم الذي اكتسبه في عالم الأدب. والدليل على ذلك الإحصاءة التي استقبلته بها والتي أظهرت انتخارها به وحبيها له. حرّ هذا الشهيد في قلب إلفي وضبطت أنه لم كانت مستخرج من لهما. كانت تنظر إليه بعينين واسعتين في أول أيام زواجها وكان انتخارها به بدون حدود بالرغم من أن زكيتها اصطكتا عندما ركعت بجانبه أثناء الإفراق وتكلمت مع ذاتها قائلة :

- زوجي. هذا الرجل الطويل المستقيم ذو الشهرة الرائعة تلفظ لقوة باللاتينية بأني له روحاً وجسداً وأن عليه أن يعيبي... الحجة بكل تأكيد أحل وأرق كلمة يتلفظ بها إنسان.

بهرها اليهو الكبير الذي بنى رومانطيقياً مثل واجهة البيت. السقف تغطيه لوحات جصية يبدو أنها رسمت بعد حفرها بمهارة لا توجد إلا لدى الرسامين الإيطاليين ودعنت بطلاء معدني صاف متناسق الألوان. يقف السقف على أعمدة تحملها تماثيل منحوتة ورؤس اليهو مبلطة بالرخام وعلى جوانب اليهو قناطر فيها أرائك منجدة بالقماش المقصّب وأوان ثمية ومرايا في إطارات ملصبة. ويوجه عام أن الأثر الذي يتركه هذا المظهر مدهش جداً والنقطة الفنية هي السلم المتفرع المصنوع من حديد مصبوب موزن بأوراق وأزهار متشابكة ومتوج بقبة. والسلم في جملة يشبه قصص مصور

وترى إلفي نفسها في فسائنها الأبيض والورشاح الملثف حول عنقها في غير محلها وسط هذا المحيط الإيطالي بينما كانت هالين وزوجها قبل وفاته متلائمين معه تماماً كأنها صورتان نزلتا من السقف الميثولوجي بملاحهما وتفاحيهما اللاتينية وعيونهما المعبرة وحواجبهما وشعرهما الملقف للأنظار. ولا غرو أن يكون الرسامون الإيطاليون هذه للهارة. فلم ينتصهم الوحى ولا الوجوه لبرسجوها ولا المشاهد الطبيعية بأشجار الزيتون على متحدراتها أو بساتين الخضضيات أو المذات التي تذكرك بالأميرات والمواطف والأهراء.

في تلك اللحظة فقد نكشفت لإلفي حبيها هذه الأرض التي أنفها غريبة عنها وأصبحت عروساً ليها. لن تتحمل حتى فكرة الرحيل عن هذه الأرض الربيعية ونبات الأزالية والدفل وعن أطفالها العسلي الشرة ذوي

العيون السوداء وعن اللبالي الناعمة... وعن البهجة الحسية التي يشعر بها المرء وراء الجدران الدافئة وعن ازدهار أشجار الفركاه. وعن اكتشافها لحنى الإيطاليين بروحهم وكياستهم في طريقة حبهم. أي المزيج بين الروحاني والسيطاني.

أعنت النظر في آية فيها زنايق طويلة تبدو كأنها أبواب ملائكة تنظر أن يفتح أحد فيها فتصدم. وجدت نفسها شابة صغيرة بلا حاية مشترك بعد وقت قصير بين أيدي جنة روداري الكونتيسة في فوروناتي.

لم تدركها اعتراضها رعدة خفيفة عندما رأت روداري أتيا حيث هي واقفة عند السلم الحديدي وهو ينظر إليها بعينين ساخرتين :

- لا تحبني في هذا السلم طويلاً لو عرّس مع أه قاف ليحترق. فلذا هذا الانكماش يا إلفي والبؤس ؟ أه... لأن كعب حدائك قصير. رأيت نفسي أطول مما أنا وعملًا على وشك أن التهمك.

أنزلت نظرهما من وجهه إلى كتفه العريض الناعمي الملمس والقولاني القوة وداخلها احساس غريب من الضعف. فسودعها عن قريب وسيعود بسيارته إلى روما ليستغل الطائفة إلى صقلية. تفضل أن يبقى بجانبها ولكنها تحس عذاب الفتنة والآنكش إلى قلب لهما كأنه سيتزعج عنها الطاهر من قلبها. تريد هذا الرجل لها بكلية ولا تتحمل أن تحمل ثلث قلبه فقط. هذا حذاء الريف. لا تستطيع الفتاة صعود التلال والسير في انطرق البرية في حذاء المدينة. وقد أركض عارية القدمين كالنساء السابيات.

اختفت ابتسامته وخل محلها عروس خفيف:

- لا فافع من أن تحلي دور امرأة سابية ولكن عليك الانتظار حتى عودتي لنهي النعمة معاً. انتهي. فافواه هنا مسكر. ملكي ملك الطفلة كما يحملوك. لكن أباك ثم أباك والاندفاع الأرعن مثل ذلك اليوم. قد يغضون النظر في انكشرا عن عروس شابة تصانق شاباً ولكن الإيطاليين هنا غير متساهلين في نظرياتهم. الزواج شيء مقدس.

وجهت إليه عيني قد تدون متشاكمتين ليو لهما لم تظهر انشور المشور والمرتكتين. قالت معلقة:

- هل هو حقاً مقدس يا روداري؟ مقدس بالنسبة إليك. أي له شرع خاص بالأزواج وآخر خاص بالزوجات.

الرجل هو السيد إذا كان هذا ما تعنين. أم هل انت الثوبة وغير منطقية؟

- يتزوج كلاهما فيصبحان واحداً في عقلك كرجل، اليس كذلك؟
وسمت ابتسامة خفيفة والتفت الى المكان حيث كان واقفاً مع هلين
يشاهدان. اخضت هلين وحذرهما عزيزتها بأنها ذهبت لتأتي بالكوثيسية.
تسارعت نبضات قلبها في صدرها وشدت على أضلاعها لتستبقي قلبها
كمن يستبقي عصفوراً في قفص. وتوترت اعصابها كلية عندما أخذ
روداري يدها وانحنى رثماً ليقبلها. تراجعت عنه قائلة:
- لا... جددك قادمة.

- تعلم جددى أننا متزوجان. فلم هذا الحياء المفاجئ؟ أي احدوك. لن
نحمل نصيب الجبن في حال تجاهلك ذلك ستكتشف الجدة بأنى صفتك
على ففاك بدل ان اعانقك.

- انا واثقة من ان ذلك سيسبب لنا سروراً عظيماً. أليس من الواجب أن
تلتزم العرائس مكانهن في غرفة النوم وغرفة الخضانة؟

غضب وضغط على يدها بشدة فآلها. ولم تستطع أن تكلم صرخة من
المؤكدة انها وصلت الى اذن جدته وهي تدخل البهو وندها على دراع
حفيدتها. وعلى الفور انتزعت إلفي يدها من يد روداري ووقفت تحلق في
جدته كعصفور فاز اصطيد في قفص مذهب. اتسعت حذقة عينيها في
وجهها المكتشب وهي تواجه المرأة التي تسببت في هرب سابينا من زوجها.
كانت الجدة كهلة ولكن ارسوقراطية، أنيقة بشعرها الأزرق الفضي
وفي طقمها الحريري ياقة مشددة. بدا وجهها منحوتاً من ماضي الأسلاف
خطته السنين وشمس ايطاليا. كانت شفتاها الرقيقتان خفيفتي الحمرة
وتدلّت من اذنيها لآلىء سوداء. وفي اصابها خرازم مرصعة بالانماص
والآلىء السوداء. رأت إلفي فيها خليطاً من ميسالينا زوجة الامبراطور
كلاروديوس المذرة، وفي عينيها السراوين مطبوعة لم تحب بعد. من الواضح
ان هذه المرأة تمتعت بسطة كبيرة في حياتها ولا تزال تمارسها كما يتبين من
طريقة مشيتها بجانب هلين.

- اذن، هذه الفتاة زوجتك يا روداري؟

تكلمت بشيء من الحزن ولكن يناقض ذلك ومضة اهتمام كبير في نظرها

كان الكوثيسية لم تتوقع أن ترى امامها امرأة بهذا الشباب وبهذه الشفرة
الناعمة وبهذا الحياء. امرأة مستعدة لتجابه الروماني القوي الارادة الذي
تزوجته.

- عندما سمعت أن حفيدى اتخذ له امرأة اجنية، تحملت في الحال انها
مغناج اقتحمت حياته بغوايتها كما يحدث للرجال الأثرياء والناجحين، ولا
يختلف روماري عن غيره من البشر بالرغم من انه يشبه رجلاً من البروقز
(وابتسمت الجدة وأضافت) لست مغناج يا طفلي.

- أمل الا اكون كذلك (اجابت إلفي بسخط) كنت محرومة عندما
تعرفت على روداري. وكنت فتاة عاملة منذ السادسة عشرة.

لم يخل هذا الكلام من شيء من التحدي لأن هذه المرأة ستحتقر حقاً أي
عروس خفيدها إن لم تنحدر من الارستوقراطية الايطالية... تماماً كما
احتقرت سابينا.

ولكن السنين تلين حتى عريكة انماض الأكثر استبداداً ونظرت
الكوثيسية الى إلفي بعين فيها احترام واضح وقالت:

- لم يخبرني شيئاً عنك. لم يعطني أية تفاصيل. فقط أرسل بريقة قصيرة
من روما تنبئني بزواجه بفتاة غير ايطالية ولا لقب لها، هذا كان بمثابة تهجم
على طبعاً. ويعتبرني حفيدى متزمتة صارمة.

- وأنت، هل اعتقدت بأنى ركضت وراء الثروة؟

كما تخبرات على مجابهة روداري هكذا تخبرات على مجابهة هذه المرأة التي لا
نكاد تقوى على الصمود واثقة على ساقها المشتين حتى أن هلين ساعدتها
بالجلوس على كرسي مقصّب اشبه بعرضى وعلى مسند تحت قدميها المتعلتين
حذاء من الأطللس بربطة ازرق من الفضة. وبدت وهي جالسة على هذا
الكرسي نحيلة كتمثال نحت من عاج قديم نعين، وكانت يدها المرتكزتين
على ذواعي الكرسي بحجم قدميها الصغيرتين كما كانتا مثقلتين بخرازم
مرصعة بأحجار كبيرة.

- انا دائماً من الرأي الراسخ بأن الايطالي الذي يتزوج في منتصف
الثلاثينات يكون اما متيماً بالمرأة التي تزوجها أو متبرماً بأصدقائه. وبما انك
لست ذات جمال فتان فمسألة الافتتان تصبح خارجة عن الموضوع.
روداري من آل فورتونانو ولا لم يجد الثيرم له سبيلاً ابداً الى عائلتنا فهذا

أيضاً يخرج عن الموضوع.

وقامت الكونثيسة بحركة يديها كأن هذا اللقاء مع عروسي ووداري جردها من سلاحها ومن ملكة الكلام. لكنها تابعت تقول:

- ربما تزوجك عن وليم بك، عيه؟ ربما شعر الأمد الروماني بحاجة إلى يد نظيفة على جلده الأسمر. أنك حقاً شجاعة وانكليزية حسرة يا طفلي لتجاسري وتحمدي كبرياء فورتونانو.

اجابت إلفي مبسطة:

- اظن انه كذلك.

ولكنها احست بالأسد الروماني يشملل بجانبها كأنه أراد أن يقول قوياً بأن شيئاً من هذا لم يكن السبب المباشر في زواجه بمرسة انكليزية كلها حياة. انه أراد فقط الانتقام من كاميللا ومن هذه السيدة العجوز المستبدة التي دفعت بامه إلى اليأس وعن غير قصد منها إلى الموت. ان روداري فرد من آل فورتونانو مفترس بحبه، غيور على شرف عائلك وغير مستعد مطلقاً للمضو عن الامانة.

التفت الكونثيسة إلى هلين بهيابة وهي لم تحف حياة عبيد وفلات:

- يجب أن نتناول القهوة يا هلين. هلا طلبت أحضرها؟

- حالاً يا حذني. وفلات لإلفي - تناول كرسياً يا عزيزتي. وأنت أيضاً يا روداري. بدل أن نقف حيث أنت مسيطراً علينا بحجمك.

- لا يجب أن أتاخر، اذ علي أن اقبل لانثياني في مطار روما ثم أطيح إلى

صقلية

- لانثياني؟ قبا أنه من رجل (بدت هلين متبرمة) انه بسالفية الأسودين

وبعيني النفاذيين اللتين تمرّيان كل امرأة تنظران إليها بذكرتي برجال الابتزاز. ماذا تشاركه؟ ليس من النوع الذي يلقى بك.

- وأنت لماذا تعملين بكل قواك في الأمور الاجتماعية؟ ربما تحملين في قلبنا شفقة بالغير أكثر مما نتصور.

- لا اتصور انه يحتاج إلى مساعدة (قالت هلين غير مصدقة) اما الناس في المركز الاجتماعي فيحتاجون إلى مساعدة ومزاينة ويستحقون المشقة والاهتمام. ولكن لا شيء من شياً أصحراً بكرس من هذه الحصول على المال ولغواية النساء. اسائل نفسي عن عدد الفتيات الحالمات ومحبات

الأفلام اللواتي وقعن في المشاكل بعد مقابلة بنهن وبين نابوليون السينا المتعالي.

- يا له من خطاب طويل (قال روداري ضاحكاً) بحسن بك ان تطلي القهوة لأخذ منها نصيبي في ما تبقى لي من الوقت.

- آله نابوليون، وساحضر القهوة بنفسني. هل يسمح لك وقتك بتناول قطعة من الحلوى؟

- بالكروز والفسدة؟

كان عابساً وهو جالس قرب احد الأعمدة واضعاً يده في جيب بظلمونه وغارقاً في التفكير وكأن ذكر الكروز وسحر هذا البيت واجتماعه بأفراد العائلة انسبه تفكيره وأعادت إلى ذهنه ذكريات طيش الشياطين وأحلامه. وعلى ذكر الكروز تذكرت إلفي يوم اشترى كروزاً في روما وأكله بين خرائب المدينة التاريخية.

لا تذكره هذه الفيلا السائنية بالعناصر الأسورية القائمة على الجزيرة.

وهنا لا اشباح ولا اسرار تهبه شخصياً، وفي كل الأحوال لن يستقر في الفيلا وكل لحظة تصدر عن ساعة الحائط الغريبة قرب لحظة وداعه.

استعدت إلفي ساعة وداع. . . صحيح انها تظهر بجانبها خيبة من حين لآخر الا انها تألم لابتعاده عنها. نظرت اليه وهو جالس بجانب

العمود ورد عليها بنظرة خلت من كل اشارة خائن. هل سيقب كل ذلك الوقت في صقلية أم سيدفعه تشوفه إلى كاميللا للمذهب إليها مساء حفلة

الرقص حيث ميشيح القناع عن وجهها الجميل؟

اتت هلين بصينية القهوة والحلوى وبدأ لإلفي ان هذه اللحظة الأخيرة قبل توديعه هي لحظة ذات جتاحين، ربما جناحا القدر الذي يخطط لفصلها

عن بعض.

رفع نظره إلى ساعة الحائط وهيض قلبها مع هذه النظرة. انحنى ليقبل جده على خدها. وضعت جده يدها على كتفه وتمت بضع كلمات

بالإيطالية لم تستطع إلفي سماعها غير انها احست بانها تتعلق بها. تيبس جسمها عندما انتصب روداري وتطلع إليها بعينين فيها انفعال لا تستطيع وصفه. . . ثم أبدل اجفانه ولم تعد ترى طيب نظراته.

- علي أن اذهب يا هلين. وجدت الكعك بالكروز للذيأ ولن أنسى

بهمه. اخرجني معي يا إلفي لتودعني.

تأدها كقطعة ونزلا السلم الى حيث البارة السوداء. ورغم حرارة الشمس شعرت إلفي بقشعريرة برده وهي تقدم وجبتها لبقلة روداري. تنقاد اليه في كل شيء كالطفل وزفت وجوها اليه عندما لمس ذقنها. هل هذا تأثير كلام جدته له؟ هل انقلب الجدة واقفت على عروبه وهمت في اذنه بانها ستقيم الحفلات تكريماً لها بعد عودته من صقلية لتعرفها على اصدقاء العائلة؟ واذا صدف وحدث ذلك فيصعب عليها الانفلات من رباط هذا الزواج الذي عقده بدون أي تفكير. في إيطاليا ما زال يعتبر الزواج سرا مقدساً. وهذا ما قاله هو بالذات.

نلمست أصابعه الوشاح حول رقبتها وقال:

- يبدو ان الجدة وقعت تحت تأثير عينك الراسعتين وصارت ضحية لها. ربما ذلك بتأثير السن التي لبت عزيمتها، ولذا يمكنني ان اتركك هنا في كورفينا بدون أن يعرف نومي الخلق في صقلية حيث نام على الشرفات بسبب الحرارة المرتفعة في الداخل.

كانت تشعر بلمساته كسهام صغيرة تنفذ الى قلبها:

- لا أريدك أن تقلق بسببي يا روداري لأنني أعرف تماماً أنك ستشتغل بأشياء أكثر أهمية معي.

- نتكلمين كما تتكلم الزوجة الغليظة. الجدة محفة في قولها بأن جمالكم ليس قائماً...

- ولن يكون أبداً (ازداد وخز ذلك السهام) يجب أن تساعني اذا سهوت عن تذكيرك بزهرة جنوبية.

تخففت منه وجعلت الدرجات راكضة وتابعها بنظرة وهي واقفة في القعة في ثوبها الأبيض. وبدأ لها أنه متردد كان هذه اللحظة مؤاتية ليقر قلبها حبه للمرأة التي تراها إلفي في خيلتها بكل وضوح. قد لا يلتقيان مطلقاً غير ان إلفي تعرف مناعتها.

- الوداع.

لوح بيده ودخل البارة وعندما ادار محركها رأت إلفي عصفوراً يطير من شجرة غار قريبة. انفتحت نحوها لحظة. ظلت في مكانها الى أن خيم

سكون على المكان كان يقطعه صوت الزيز بين الأشجار وأحست بقلبها ينفض المألوس بسبب شكوكها في الجزيرة بل لعلمها بحبه لكافيل. رحل ولم تمن له رحلة سعيدة، فقد خفتها العبارة في آخر لحظة وخافت ان تكشف عن صفتها فبكي.

ظلت واقفة مدة طويلة على رأس الدرج الى أن ظهرت تباشير الغروب في السماء وأخذ النسيم يحرك ورق الأشجار. لماذا لم تصرخ له وتقول:

- لا تنفب يا روداري. حدسي يقول لي ان شيئاً رهيباً سيقع...
لماذا امتنعت عن تحذيره؟ ربما لأنه لن يستمع اليها أولن ينتبه الى عمق التوسل في عينيها. ثم لماذا هذا الادعاء بأن لها مطوعة عليه؟ لو أنه يحبها لتبين عبارة الحرف الغريب في عينيها والذي لا تستطيع تفسيره.

سمعت وقع اقدام وراحت نفسها مرغمة على الانسجام لطنين عنقها انضمت هذه الأخيرة اليها وحببتها ذاكرة أشياء غابرة لعلمها بأن إلفي قد تكون حزينة:

- كان اليوم جميلاً. هل ترغبين يا عزيزتي بخولة في الحدائق؟ سأريك شجرة الكشمير التي يوجد لها توأم في الجزيرة وسترين التشابه في عدة أوجه بين الحبيبتين.

طبعاً لم تنق إلفي ان رؤية هذه الأشياء المألوفة متسبب لها سروراً وألماً أقوى مما تستطيع الكلمات التعبير عنه ولذا ظلت تهتمس وأوقات برأسها حائرة.

اخرتها من الحدائق الحبيبة للمحديقة ثم دخلتا بوابة صغيرة ومشت بين امسجة من الأس والغار ودخلتا حديقة ماغنوليا بتوسطها عين جميلة بأرضية خضراء وفي بركة العين سمك من أشكال مختلفة وعلى سطح مائها تعوم أوراق الزنقي. ركعت إلفي على حافة البركة وأخذت تلعب بمائها الرطب وبدأ لها ان القنابل الحجرية المنحوتة دبت فيها الحياة وشاركتها في لعبها وكانت الطيور تلعب بين اشجار السرو القديمة. وذكرها الزنابق العاشمة بزنانق الماء للرسم مائية وبأمسيات الجزيرة عندما كان روداري يمسك بيدها وهما ينزهان معاً في حدائقها... فهل ستكون كورفينا نهاية المطاف وبداية الكابوس؟ ولما رفعت عينيها هالكا أن ترى هلين تنظر اليها بقلق. ربت هلين على شعرها الأشقر شفقة بالسكينة التي بدت لها في ثوبها الأبيض

نحيلة كالطيف وسألناها عما بها.

- اظن اني حقاً ومكتبة يا هلين، ولكنني اقدر عمق حزرك عندما فقدت فلافيو. كثيراً ما يتبادر الى ذهني هذا السؤال... هل انباك حذرك. بقدوم الكارثة؟ هل شعرت باقتراب النذير؟

جلست هلين بالقرب من إلفي وأخذت يدها وقالت بحجة على سؤالها:
- كان الخوف يلزمي وكنت اجلس وأراقب سباق السيارات وأنا ارتجف خلعاً. ولم اصدق ان الحادث وقع له، بل لم استوعب حقيقة، وعشت هذه المأساة مرة وفي كل مرة ارى فيها لب النيران ينتشر على حلبة السباق واسمع هتاف المشاهدين من حولي وصراخ النزاع. مررت الأسابيع والأشهر بعد موت فلافيو وكأني في غشية. كنت اتكلم وأبدو حية ولكنني لم اكن اشعر بشيء ومنضى علي زمن طويل وأنا على هذه الحال.
- مسكينة هلين (نسبت إلفي وجلبها وقبلتها على خديها) ما كان يجب ان اسالك عن المأساة.

- بل على العكس. انا مسرورة اني استطعت التكلم عنها في نهاية الأمر. أنت تحبين روداري وتحافين عليه أثناء بعده عنك. وهذا طبيعي. وقال لي على الهاتف انك كنت منزوعة قليلاً فعادك الدكتور روسي. هل اعجبك هذا الطبيب؟ انا مدينة له لإنجازه في الابقاء على صوابي بعد فقدان فلافيو. كان في منتهى اللطف وقد اخرجني من الحالة التي كنت فيها. وهو الذي ادخلني في أعمال الشؤون الاجتماعية حيث اصدفه بين الحين والآخر. انه أحد القديسين الذين اعرفهم!

ابتسمت إلفي اذ تذكرت اعتقادها بأن الدكتور روسي يحب الأرملة الشابة جداً وسيرفع هذا الحب صوته يوماً ما، وسيفرض مطالبه الجنسية وحيثما ستجد هلين التي تأملت في شبابها ملاذاً في الرجل الذي يختلف تماماً في مزاجه عن زوجها الفقيد. فهو أكبر منه سناً وأكثر حكمة وكله اخلاص في تكريس جهوده للحفاظ على حياة الانسان. يكفي المرأة ان تعشق الشيطان مرة واحدة فقط.

- اعتقد يا عزيزتي بأن لك قلباً كبيراً (قالت هلين وهي تلعب بخاتم الزواج الذي في اصبع إلفي) ومن حسن الحظ ان روداري وجدك في الوقت المناسب فقد شاعت بصدده اشاعات عن امرأة متزوجة لرجل آخر...

ويؤلمني ان يتورط أخي في شيء من هذا النوع. انه من عائلة لورنوفاتو واحساساتنا عميقة. ونفسنا الصاعدة عندما نعرفنا عليك وتأكدنا من طيبة قلبك.

- انا، طيبة؟ من اصعب الأمور ان تكوني طيبة عندما يتلفظ زوجك شوقاً الى جمال عرفة وفقدته. طبعاً تعرفين يا هلين ان اخاك تزوجني كرد فعل خسارته كاميلاً؟

- هذا ينسب لي سروراً اذ سبغت على نسيانها. هل الجمال كل شيء؟ أين القلب والروح والحنان بعد زوال الجمال؟ يزول الجمال ويختلف قشرته ورائحه. وهؤلاء النسوة لا يحسن الا أنفسهم. لم يتعلمن كيف يقدمن حباً حقيقياً للرجل.

- ولكن هل يعرف الرجل ذلك؟

جال نظر إلفي في أرجاء الحديقة المعنمة حيث بدت الأشجار كظلال سوداء وبدا كأن قناديل الماء تلعب في الماء. وصلت الى سمعهن اجرام من المساء عن التلال برنينها المؤثر في هدوء الخس.

قد يكون روداري على متن طائرة نفالة جالساً بجانب الكوة يتباحث في افلامه مع لانشياي... أو غارقاً في تأملاته يتاجي النجوم من الكوة ايها. وفجأة أحست إلفي بالبرد يغزو جسمها وفقرت واقفة وقالت:

- لدخل... اريد أن... أن ارى النور. اريد ان اسمع الموسيقى. هل لديكم فونوغراف، نستطيع استعماله؟
- بكل تأكيد يا عزيزتي.

كان البيت مضاء عندما دخلنا البيت وكانت الخادمة تغلق النوافذ وتسد السائر فتفصل الخارج المعتم عن الداخل المثير. ولكن هذا العمل جعل إلفي تفكر في ان هذا الاغلاق حجب النجوم ايضاً، وروداري موجود هناك بين النجوم ينظر اليها بعين قلقة.

رات هلين لمعاناً قوياً في عيني إلفي الرماديتين وقالت لها:
- دعيني ادلك على الغرفة حيث تسامين.

أفاق إلفي بصورة مفاجئة في عمق الليل الهادي وبقيت حيث هي تحديق في الظلام ولا تسمع سوى تكنتكة إحدى ساعات البيت. وهذه التكنتكة لم تزعجها بل جلست في فراشها وأصغت بكل حواسها الى

أصوات الليل . أخذت هذه الأصوات تتضح شيئاً شيئاً وارتفع تسارع
نض قلبها عندما سمعت أصوات وقع أقدام على شرفة غرفتها . جددت في
مكانها وبعد جهد جهيد ثمنت من مد يدها الى المصباح بجانب سريرها .
ضغطت على الزر فكشف النور عن أثاث ابطال وورق الجدران وعن
الستائر المسدلة على باب الشرفة الذي لم يكن مغلقاً تماماً بقصد تهوية
الغرفة .

ثبتت عضلاتها وصراحت عندما رأت بدأ تحرك الستائر المقصبة ورجلاً
تجلاً يقف هناك ، وبسرعة البرق ذكرها هذا المشهد بليلة مماثلة عندما
تسلل رجل من الشرفة الى غرفتها وفي مكان غير هذا المكان .
بقيت عينها مفتوحة لا ترفان وارتبط لسانها أمام منظر الدخيل
الطويل القامة . كان شعره مشعثاً وعينه تلمعان كعيني القط .
- روداري . . .

- عرفت غرفتك . . . جميع الأبواب الخارجية مقفلة ومدعمة
بمزاليح . . . حسب أوامر الجدة حرصاً على المجوهرات .
لم تصدق ما رأت بعدما اعتقدت بأنه كان بعيداً جداً . أمي في حلم ؟
أخذ يقترب ويبدأ من سريرها كان كل غريزة فيها وعصب نجاوت
على الفور مع قربه منها .

- روداري . . . لقد تسلفت وتعرضت للسقوط .
- شحوب وجهك . . . لقد اخفكتك .
- ظننتك في صقلية .

- لم اذهب . كانت حقبي معدة وطلب املكاز سيارة تاكسي وكنت
حاملأ حقبي الشخصية في يدي . . . وفجأة شعرت بأن لا أستطيع أن
اسافر . بقيت أرى عينيك تحديقاً في . . . تخذلتني بعدم الذهاب ، وأراد
القدر ألا اذهب ، فلو ذهبت . . .

ظل واقفاً بجانب السرير يحديق النظر فيها ، رأت اثر صدمة واضحة في
عينيه وعلامات الوهن والضعف فيه كما لم تعرفه من قبل .

- رأيت ان آتي اليك قبل انبلاج الفجر . . . قبل ان نسمي الخبر في
الراديو عن تحطم الطائرة . وتعتقدين بأن كنت بين ركاياها . هل فهمت
الآن ؟

جلس على حافة السرير وغاد دفيه جسمه الأسمر قريباً منها كما لاحظ
هو الآخر عودة الدفء الى وجنتيها عندما تفرست فيها عيناه السمران
اللان متعوت من احاطها لو لزم الأمر .

- نعم ، تحطمت الطائرة وهي تهب على ارض المطار في صقلية حيث
حضر من له علاقة بأفلامنا لاستقبالي انا ولاشيائ وبعد أن اتصلوا تلفونياً
باستديوهاتنا في روما وأطلعهم احدي السكرتيرات على مكائلي مع نيكولا
واي عدلت عن السفر الى صقلية عادوا فاتفصوا بي .

صمت روداري بعض الوقت مد في أثنائه يده وتلمس احجار الياقوت
على صدرها وتابع حديثه قائلاً :

- لم يبق احد من الركاب على قيد الحياة ونيكولا المسكين احدهم . فقد
انت النيران على الطائرة ومن فيها . صحيح انه لم يكن ملاكاً ولكن كانت له
مواهبه . ويدونه ستشعر صناعة الأفلام بالنقص ؟
تذكرت التي حيوية الرجل وحركاته الخفيفة في الصالون الصغير حيث
شبهت بخفة الفهد .

- لانشياز ؟ ! للهول . . . ولكن كادت تكون المصيبة أعظم يا
روداري . اعظم بشئ لو كنت انت على متن الطائرة يا حبيبي . . .
احتقت عبراتها وانعد لسانها . لم تستطع الا النظر اليه لتعنص حقيقته
بكاملها بكل جزء فيه . حاسة سادسة كانت قد حذرتها من أن شيئاً مريباً
يكتنف هذه الرحلة . رأت بعينها وشكرت السموات على أن روداري وأها
ثو الآخر وها هو الآن بجانبها ، يلمسها لمس اليد ويحتاج اليها متناسياً كل
ما عداها من النساء .

- رأيت عينيك تتوسلان الي كي أبني . ولم يغب وجهك عن ناظري
طوال طريق عودتي الى روما وكانت عينك تحديقاً في . رأي نيكولا لانشياز
قوة الاستبصار في عينيك ، وبدعشتني ان يرى نيكولا ذلك من بين جميع
الناس . وقد ضحكك عندما اتصلت به لأخبره بالغاء رحلتي ، ولا تزال
ضحكته ترن في اذني . . . وقال لي : هل تعجز عن الابتعاد ولو قليلاً عن
عروسك الانكليزية ؟ لكنني لا اعتريك مجنوناً رومانطقياً . كان ذلك يحدث
لي كلما المتني اليس الساحرة عن علي .

نهذ روداري وطوق خصرها بذراعه وقال :

- ان انفساخ زواجها شيء يؤسف له وكنت أمل أن أراه مستقراً مرة

أخرى...

لم تقع إلقي مطلقاً في صمت متواصل كهذا. إلا أنها كانت لحس بامتزاج ضربات قلبها بضربات قلب روداري. وبحركة عصبية خلج سرته وضمها إليه كأنه شعر بحاجة ماسة إلى الحنان وشعرت هي بتعطشها لحيوته.

- هل تذكرين فتاة الجزيرة التي كادت تغرق بنفسها في الماء؟

قال روداري وهو يتخرق عينيها بنظرة:

- نادتي روبيرنو عندما أمسكت بها، وتخيل لي الآن أنها أما أرادت الاستنجاد به أو أنها كانت تهذي من الخوف وحرارة الشمس فحسني لانشيائي. وفي اعتقادي بأنه وقع في حيا بعد أن هجرته اليس، وعند عودتي إلى روما ذكرت له قضية الفتاة معتمداً في رأيي على الشبه الواقع بينه وبين الطفل وعلى الاسم روبيرنو مما جعلني اعتقد بأن لانشيائي هو عشيق الفتاة. قال لي أن حياتها مؤمنة وأملت أن عزة نفسه الإيطالية سترغمه على الاقرار بأبوة الطفل. شيء مؤسف حقاً. لكن تأتي الرياح بما لا تشهي السفن.

الآن وقد تبين لإنقي فداحة خطاها باتهام زوجها وضمت رأسها على قلبه وضغطت بقوة كأنها تريد أن تعبر عن ندمها وعن حياها وعن عمق رغبتها في سماع المزيد من الاعترافات. ناقت لأن تعرف لماذا أت إليها خلسة في ظلام الليل بينما كان في مكانه أن يتصل بها هاتفياً في الصبح الباكر ليطمئنها على سلامته وعلى أنه ليس في عداد ضحايا الحادث. لماذا يحتضنها هكذا ولا يفصل بين قلبيهما غير تمبصها الخفيف وقميصه؟ لماذا أظهر لها حياً جامعاً بينها هو يجب كاميليا؟

- كم أنا مسرورة بسلامتك.

أخذت تهمس كلمات ناعمة في محاولة مقاومة مع طبيعته الخشنة المتعالية والقوية، وذلك أملاً منها ممزوجاً باليأس بأنه سيعنف معها ليرهن أنه يريد منها أكثر من مجرد كلمات مجاملة.

- مسرورة بسلامتي؟ (شدتها إليه بقوة) احطم أعلى رقم في السرعة لأصل إلى هنا. وانسلق حبال الهواء مخاطرأ بحياتي لأكون بجانبك وتقولين

فقط بانك مسرورة؟ ظننت أنك ستستقبليني بشيء من الحنان.

أبعدت وجهها عنه ونظرت في عيبيه تتعمق في لحيها الغامض:

- شيء منه؟ لماذا يجب أن احطم قلبي من أجلك وأنت تحطم قلبك من أجل تلك المرأة التي ارتبطت بحبيها في البندقية؟ والتي أخذتها إلى الجزيرة؟ والتي أمضت ليلتها في شقتك في روما...؟ لقد سمعتك تتكلم معها بالتلفون وترتب موعداً في حفلة الرقص المقنعة.

لم تعد قادرة على متابعة الكلام وضحك ضحكة فيها حشجة، بينما كانت عيناها تنقلان في كل ذرة من جسمها.

- تريدان أن تعرفي كل شيء عن كاميليا إذن؟ كانت جميلة وساحرة

كأجل رسم على الجدران أو كتشال مصقول من البرونز الأصفر. ولم أعرف في حياتي كلها امرأة مثلها. كان لها جمال للتمتع بالنظر إليه فقط لا بلمسه، ولها شفتان للآثارة وليس للتقبل، ولها جسم في منتهى الكمال لا يليق به اللباس الأنيق ولكني لم أخلق كي اجثو أمامها عند قاعدة تمثالها. نعم، أنت في إحدى الليالي إلى شفتي وكان خطيبها قد عاد من أميركا وكان يلج على الاسراع بالزواج منها. أما هي فكانت تصر على الزواج مني مضحية بثروته من أجل، ولكني كنت قد شعنت من كبرياتها ومللت من خوفها أن أمس شعرها لئلا تفقد تسريحته أو أقبليها خشية أن الطبخ تلويثه وجهها وضجرت من تلميحاتها أن المرأة زهرة يجب الاعتناء بها على هذا الأساس.

وتابع يقول بحماس:

- نعم. لم تكن زهرة كاميليا فحسب بل كانت تعيش وتتحرك كالكاميليا.

وكانت نبتة في مستبب زجاجي موجودة فيه للحفاظ عليها ليس إلا.

نظر الواحد منها إلى الآخر وما لبث أن دفن رأسه بين كتفها وعنقها.

- في أول الأمر يا عزيزتي كنت أرى فيك رمزا غاضباً من النساء الباردات

الترفعات والعاقرات في العطاء. ثم بدأت احبك واشتهيك بكل حرارة من

ناوي اللاتينية ولكني لم أكن واثقاً منك، فقد كنت تظهرين أحياناً خوفاً من

تلفاتي إليك.

- سمع حياً. أرجوك. سم هذا التلطف حياً.

- أولم أعبر عن ذلك بجسمي؟ وفي كل مرة؟ إلا تعرفين يا إلقي أن

الأفعال أقوى من الأقوال؟ يا عجنتي المحبوبة، كثيراً ما اشتبهت أن أكلك

- روداري .

- نعم ؟ هذا هو اسمي ، وانت لي يا معبودتي الآن ، هذه الليلة ، غداً ، وكل يوم يأتي بعده لياليه احضك فيه ولا أفلتك . تصوري الصدمة التي ستصنع الخادمة في الصباح عندما ترى رجلاً عمداً بجانبك . قولي لي ، ما هي قصة الحفلة الراقصة المفعنة ؟

- سمعتك تتصل هاتفياً . . . وتتكلم بحنين عن البندقية فافترضت انك كنت تتكلم مع كاميللا . فقد قلت انك متلفي بها في الحفلة الراقصة الخيرية وستعرف عليها مهما حدثت في التحقي وراء قناعها !

- تراقصت عينا ووضعت طرف اصبعه بين عينيها القلقتين وقال :
- فهمت . ألم تسمعي بالمسجلات يا طفلي الحفلة ؟ يستعملها الكتاب لتسجيل افكارهم . دائما اسجل ملاحق لتصميم كتي وهذا يعطيني نموذجاً عن سير الحوار بين الممثلين .

- اوه . . . ؟

نزول عليها الفهم كحة لؤلؤ .

- فهمت الآن . اي انك غني قوالك على الآلة .
- نعم ، وسأبقي عليك اراقتي اذا فاعنتي بمهارات عن كاميللا . هل سأقبل قتالاً بارداً عندما استطيع ان اقبل دفئا حياً كله شيا وب وعطف وقلب ينطفي ؟

افترت شفتاه عن ابتسامة كلها حنان .

- تعالي يا سابيتي . دعيني اعانقك على طريق النعيم .
ابتسمت هناك . . . غداً ستدخل الكآبة الى قلبيهما حرناً على بيكولا وعلى الفتاة التي انجت له طفلاً . اما هذه الليلة فهي احتكار للرومان الذي خرج من الظلام واتر ليؤاسيها .

دفنت اصابعها في شعره الأسود وحسن قاتلاً وهو يظفي النور .
- يا سابيتي . . .